



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

**مجلة**

# **الدراسات الدعوية**

**مجلة علمية دورية محكمة**

**العدد الثالث عشر**

**ربيع الآخر ١٤٤٤هـ**



## المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣

بريد الجمعية الإلكتروني:

[baserah@imamu.edu.sa](mailto:baserah@imamu.edu.sa)

المشرف العام

د. شبيب بن حسن الحقباني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ.د. خالد بن هدوب المهيدب

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن إبراهيم الطويل

أ.د. خالد بن حسن العبري

د. طالب بن أحمد الهمامي

أ.د. سلطان بن عمر الحصين

أ.د. علي بن أحمد الأحمد

أمين المجلة

د. راشد بن محمد الجاسر

ردمک: ۳۸۸۴ - ۱۶۵۸      إيداع: ۹۲۴ / ۱۴۲۹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

- ١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة والدراسات الإسلامية المعاصرة.
- ٢- أن يكون متمسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- ٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.
- ٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٦- أن يكون ملتزماً بعلامات التقييم المتعارف عليها.
- ٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٨- أن لا يكون مستألاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبد الوهاب بن لطف الديلمي ط ١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين

قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

- ١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.
- ٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين (العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A٤).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ Traditional Arabic.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة (A٤) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة. خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠) ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني. سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر. ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه. تبيينه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.



## مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
وبعد:

انطلاقاً من حرص الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في مواصلة رسالتها العلمية في دعم وتأصيل الدراسات الدعوية الرامية لترسيخ مبدأ الوسطية السمحاء الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، والذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفق منهج قائم على نبد الأفكار والأطروحات الحزبية، وتجلية المفاهيم المغلوطة عن الدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها، وتقديم دراسات نوعية متخصصة، وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الثالث عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

- ١) العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.
  - ٢) مسؤولية الدعوة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا.
  - ٣) المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه.
  - ٤) المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).
  - ٥) معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة نظرية.
  - ٦) معالجات التطرف في السنة النبوية.
- نتطلع أن تكون هذه الأبحاث العلمية إضافة مميزة للعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى، والباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة.
- وبهذه المناسبة فإننا نثيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات

الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد  
الجمعية الإلكتروني [baserah@imamu.edu.sa](mailto:baserah@imamu.edu.sa)، وفق اشتراطات

النشر العلمي،،

وفقنا الله وإياكم لكل خير ...

رئيس هيئة التحرير

أ. د خالد بن هدوب المهيدب

## الفهرس

الصفحة	الباحث	الموضوع
٧		قواعد النشر
٩		مقدمة العدد
١١		الفهرس
٨٠-١٣	د. أمل بنت محمد العجلان	١/ العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى
١٤٢-٨١	د. عبد العزيز بن محمد الحمدان	٢/ مسؤولية الدعوة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا
٢١٠-١٤٣	د. مسعود بن بشير المحمدي	٣/ المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة <small>رضي الله عنه</small>
٢٨٨-٢١١	د. سويلم بن حاضر العتيبي	٤/ المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)
٣٣٠-٢٨٩	د. حسن بن يحيى ظافر الشهري	٥/ معالم الحسبة في قصص موسى <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم دراسة نظرية
٤٠٤-٣٣١	د. سعد بن عبيد الرفدي	٦/ معالجات التطرف في السنة النبوية



البحث رقم (١)

العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

د. أمل بنت محمد العجلان

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة

بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد (٤):

فلقد كان قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١ .

(٣) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠-٧١ .

(٤) هذه خطبة الحاجة كما في حديث عبدالله بن مسعود . رضي الله عنه - قال: علمنا النبي ﷺ خطبة الحاجة (الحمد لله نحمده ونستعينه)، وقد صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ٣٠٦ [ كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ] حديث رقم (٢١١٨) ، ص ٣٦٨ .

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ

كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴿١﴾ ، من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم، مما يدل على الجهد العظيم الذي بذله المصطفى ﷺ حتى تحقق له مراد ربه، فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، وهداها إلى صراط مستقيم، واليوم تشتد الحاجة لإنقاذ الأمة، وإبعادها عن ظلمات الجهل والتخلف إلى نور العلم والإيمان.

ومن أجل ذلك فقد اجتهد الدعوة والمصلحون لتحقيق هذا الهدف العظيم وتنوعت أساليبهم ووسائلهم واجتهاداتهم الدعوية وفقاً لذلك، ولذا كان من الصفات الواجب توفرها في الدعوة ليقوموا بهذه المهمة الكبيرة والشرف العظيم إظهار العزة في الدعوة.

**أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

تأتي أهمية الموضوع من ارتباطه بثلاثة جوانب عظيمة هي:

- القرآن والسنة النبوية المطهرة، فهما الوحي المعصوم، ومصدر الشرع، وهداية الله للعالمين.

- الدعوة، وقد تولاهما الله بنفسه حيث قال تعالى: في سورة يونس: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿٢﴾ ، ثم جعلها وظيفة الأنبياء والمرسلين حين قال عزوجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ ﴿٣﴾ ، بل إنها من أحسن الأقوال وأشرفها بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

(١) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.



أَلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾<sup>(١)</sup> ، كما قد ربط خيرية هذه الأمة بقيامها بهذا الواجب في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾<sup>(٢)</sup> .

- العزة، وهي صفة من صفات الداعية، كما أنها يمكن أن تكون من الأساليب الناجحة في الدعوة، ولأهمية التزام الداعية بتلك الصفة أو اتخاذها هذا الأسلوب رأيت أن أذكره هنا، كما أن هناك توافق بين معني العزة والدعوة إذ من العزة أن يقوم المسلم بإظهار دينه والدعوة إليه، ومن أساليب الدعوة إظهار العزة، ولهذا تكون العلاقة بين الدعوة وإظهار العزة علاقة عموم وخصوص.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فتكمن فيما يلي:

- عدم وضوح المفهوم الشرعي للعزة في الدعوة مما يجعل بعض الدعاة يتخلون عن تلك الصفة، لذا ساغ ذكر مشروعية العزة وأنواعها وضوابطها، ثم أثرها على الدعوة.

- تطلعت في واقع عالمنا الإسلامي، فوجدت أن بعض المسلمين قد ضعفوا أو استكانوا، وتسلمت عليهم قوى البغي والعدوان، وتداعت عليهم قوى الباطل كتداعي الأكلة إلى قصعتها كما أخبر الصادق الأمين عليه السلام حين قال: ((يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله ، وما

(١) سورة فصّلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت<sup>(١)</sup>، ولا بد للمسلم من إبراء ذمته بالمشاركة للتخلص مما أصاب هذه الأمة من ضعف.

- إغفال عدد ممن كتبوا في مجال الدعوة للعزة كصفة يجب أن يتحلى بها الدعاة أو كأسلوب في الدعوة.

### ثانياً: أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى ما يلي:

- توضيح السند الشرعي للعزة في الدعوة.
- بيان أنواع العزة في الدعوة.
- إبراز ضوابط العزة عند الدعاة.
- إلقاء الضوء على آثار العزة على الدعوة.

### ثالثاً: الدراسات السابقة :

باستعراض الدراسات السابقة في هذا المجال لا تكاد توجد دراسة علمية متخصصة في موضوع العزة في الدعوة، لكن هناك من الدراسات تحدثت عن جوانب نفسية أخرى في الدعوة كتأليف القلوب في الدعوة<sup>(٢)</sup>، والفتور في حياة الداعية<sup>(٣)</sup>، والإيجابية في حياة الداعية<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، حديث رقم (٤٢٩٧٠)، ص ٧٦٩.

(٢) تأليف القلوب في الدعوة لعبد العزيز الروضان: ١٤١٩ هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام.

(٣) الفتور في حياة الداعية لعثمان محمد دفع الله، مجلة معالم الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان

(٤) الإيجابية في حياة الداعية لمحمد أحمد الراشد، دار البشير، جدة.

وكل هذه البحوث وغيرها وإن كانت في نفس المجال إلا أنها لم تتناول موضوع الدراسة وهو العزة، مما يثبت أن هذا الموضوع لم يحظ حتى الآن باهتمام الباحثين في تخصص الدعوة ولذلك يرحي أن تقدم مثل هذه الدراسة المقترحة إضافة جديدة لمكتبة التخصص وخدمة للباحثين في هذا المجال .

#### رابعاً: تساؤلات الدراسة:

في هذه الدراسة ستسعى الباحثة إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات تمثل الإجابة عليها في النهاية أهداف البحث، وهذه التساؤلات هي:

- ما مشروعية العزة؟
- ما أنواع العزة؟
- ما الضوابط الشرعية للعزة عند الدعاة؟
- ما آثار العزة في الدعوة؟

#### خامساً: منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة وصفية، لأنها تستهدف وصفاً لظاهرة ما سواء كانت في صورة كمية أو كمية، وتتم بوصف الأوضاع و الأحوال القائمة في مجتمع ما<sup>(١)</sup>، والظاهرة التي تسعى الباحثة لدراستها هي العزة في الدعوة وفي إطار هذا النوع من البحوث ستستخدم الباحثة المنهج الوثائقي الذي هو الجمع المتأني والدقيق للسجلات و الوثائق ذات العلاقة بموضوع و مشكلة البحث ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل

(١) انظر: أساليب ومنهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لأحمد الصباب، دار البلاد، جدة،

بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث الأصلية<sup>(١)</sup>، وسيكون ذلك بالعودة للمصادر الأصلية التي اهتمت بالعزة في الدعوة و أبرز آثارها .

### سادساً: التعريف بمفردات عنوان البحث:

أولاً: العزة

في اللغة: تأتي العزة بمعنى المشقة، وتأتي بمعنى الأنفة والحمية كما وتأتي بمعنى التشدد والتكبر، وتأتي أيضاً بمعنى الغلظة<sup>(٢)</sup> مما سيرد ذكره في أنواع العزة من حيث المعنى<sup>(٣)</sup> .  
في الاصطلاح: لم تجد الباحثة خلال اطلاعها من قام بالتعريف الاصطلاحي لمعنى العزة إلا من خلال تكرار وإعادة ما تم ذكره في المعنى اللغوي كالقول بأن العزة هي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب<sup>(٤)</sup> ، أو بأنها القوة والغلبة والحمية والأنفة<sup>(٥)</sup> .

ثانياً: الدعوة

في اللغة: تأتي الدعوة بمعنى النداء والطلب والدعوة للطعام والدين أو المذهب حقاً كان أم باطلاً<sup>(٦)</sup> .

في الاصطلاح:

تطلق الدعوة في الاصطلاح ويراد بها أحد هذه المعاني:

---

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية للدكتور صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ، ص ٢٠٦.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط ١، بيروت، ج ٥، ص ٣٧٤.

(٣) كما في صفحة ٣٢.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ١٥ ص ٢١٩.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ج ٢، ص ٥٩٨.

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج ١٤، ص ٢٥٧.

أولاً/ الدين: ومنه تعريف الأستاذ محمد الراوي في كتابة الدعوة الإسلامية دعوة عالمية بأن الدعوة إلى الله هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصالح الدين والآخرة<sup>(١)</sup>.

ومنه أيضاً تعريف الدعوة في كتاب التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته فقال إن الدعوة هي نداء الحق للخلق ليوحدوا المعبود ويعبدوا الواحد حنفاء لله غير مشركين به متبعين غير مبتدعين<sup>(٢)</sup>.

ثانياً / النشر والتبليغ: ومنه تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- للدعوة: (هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا . وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، والبعث بعد موته ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه)<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً / التعريف الاجرائي للعزة في الدعوة :

كافة الأعمال والأقوال والأحوال التي يقوم بها الداعية ليرفع نفسه ودعوته عن كل أسباب الذل والمهانة.

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لمحمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣: ١٤١١هـ، ص ٣٩.

(٢) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، لعبد رب النبي أبو السعود، دار التوفيق، القاهرة، ط ١،

١٤١٢هـ، ١٩٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، ط ١ : ١٤١٦هـ ، ج ١٥ ، ص ١٥٧.

### سابعاً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الدراسة.
- الدراسات السابقة
- تساؤلات الدراسة.
- منهج الدراسة.
- التعريف بمفردات عنوان البحث.
- تقسيمات الدراسة.

### المبحث الأول: مشروعية العزة.

المطلب الأول: منزلة العزة في الإسلام.

المطلب الثاني: طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة.

### المبحث الثاني: أنواع العزة.

المطلب الأول: أنواع العزة من حيث المعنى.

المطلب الثاني: أنواع العزة من حيث المصدر.

المطلب الثالث: أنواع العزة من حيث المدح والذم.

### المبحث الثالث: ضوابط العزة في الدعوة.

المطلب الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة

الصحيحة والإجماع عند الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة عند الدعوة إلى

الله.

المطلب الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة عند الدعوة إلى الله.

## المبحث الرابع: أثر العزة على الدعوة

المطلب الأول : وجوب تحديد مفهوم العزة

المطلب الثاني : الوضوح في الدعوة

المطلب الثالث : العزة بحسب المقدرة

المطلب الرابع : مشروعية المهجرة عند الحاجة إليها

المطلب الخامس : كسب الرزق

المطلب السادس : الحرص على تحبيب الدعوة بالعزة

المطلب السابع : الولاء والبراء

المطلب الثامن : فتح باب الأمل بالتوبة

المطلب التاسع : الستر عند الخطأ

المطلب العاشر : الحوار مع المدعو

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

## المبحث الأول مشروعية العزة

توطئة:

لقد جاءت بعض الشواهد الشرعية الدالة على مشروعية العزة ، سواءً كانت شواهد قرآنية تشتمل على صفة العزة صراحة أم ضمناً، أو أحاديث شريفة قولية كانت أم حكاية عن أفعال يرويها أحد الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم .. وستذكر الباحثة هذه الشواهد لتكون بمثابة مقدمات وإرشادات لبيان منزلة العزة في الإسلام، ثم تبين طرق القرآن الكريم والسنة النبوية في تقرير هذا الأمر العظيم على النحو التالي:

**المطلب الأول: منزلة العزة في الإسلام:** ويحتوي على أربعة مسائل:

- ١- ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى.
- ٢- العزة صفة من صفات القرآن الكريم.
- ٣- العزة صفة للرسول ﷺ وسائر المؤمنين.
- ٤- كثرة ورود العزة في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني: طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة:** ويحتوي على عدة طرق:

- ١- أسلوب النهي الصريح عن المهانة والذل.
- ٢- أسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي إلى العزة.
- ٣- أسلوب الأمر بما يستوجب العزة.
- ٤- أسلوب استعراض الأمم السابقة التي استجابت لدعوة الحق واستشعرت العزة.



## المطلب الأول

## منزلة العزة في الإسلام

## المسألة الأولى: ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى

ارتبطت العزة باسم من أسماء الله الحسنى، فالله هو العزيز وهو المعز، لأنه الغالب لكل شيء، بل هو الذي ليس كمثلته شيء، وإذا كان سبحانه هو الموصوف بالعزة التامة المطلقة فهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن عزة المولى سبحانه متضمنة لعزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة<sup>(١)</sup>.

ومما يُعلم أن لكل اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته تأثيراً معيناً في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتطلبه استشعر ذلك وتجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه، فالعبد الذي يعلم أن الله هو العزيز والمعز، يعلم أن الله مانعه من أعدائه، ولن يصلوا إليه إلا بإذنه تعالى، فلا يذل ولا يخنع لكافر، لأن الذلة للمخلوق ليست من أخلاق المسلم أو صفاته، فمن تولاه الله وكان في حماه لا يصح أن ينكس رأسه أو يهبط عن المستوى الرفيع الذي وضعه الله فيه.

كما أن على المسلم أن يسعى للاتصاف والتحلي بذات الصفة (العزة)، على ما يليق به، فذلك يقوي عزيمته، ويرفع معنوياته، ويشعره أن الله سنده، فيمضي في حياته مرفوع الرأس، معتزلاً بربه، فهو في معترك الحياة وبين مشكلاتها المتعددة يحتاج لمن يعزه ويشد من أزره، ولذلك كانت عزة الله للمؤمنين خير سند وأفضل عون تشد من أزرهم وتقوي عزيمتهم.

(١) انظر: نهضة الأعين النواظر لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ص ٤٣٤.

### المسألة الثانية: العزة صفة من صفات القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو منهج الإسلام، فمن اتبعه اهتدى في طريقه ونجح في دعوته وعصمه الله من الضلال، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾<sup>(١)</sup> بل لقد وصفه الله عز وجل بالعزة فقد أعزه لأنه كلامه وحفظه من الباطل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول الطبري - رحمه الله - : (وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريفاً أو تغييراً من إنسي وجني وشيطان وارد)<sup>(٣)</sup>، فعزير أي يصعب مناله ووجود مثله، فهو منيع الجناب، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، فلا الشيطان يستطيع أن يأتي بمثله، وممتنع عن الناس أن يقولوا بمثله، لأن كل عزيز نفيس.

### المسألة الثالثة: العزة صفة للرسول ﷺ وللمؤمنين:

مدح القرآن الكريم الرسول ﷺ ومؤمني هذه الأمة حين وصفهم بالعزة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. حيث يأتي الله سبحانه ورسوله والمؤمنين إلى جانبه ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم عظيم لا يكرمه إلا الله، وأي تكريم بعد هذا التكريم!! وهذا يوضح كلام ابن كثير - رحمه الله - حين قال: (أخبر تعالى بأن العزة كلها لله

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢ .

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤١ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن للطبري، دار هجر للطباعة، مصر، ط ١: ١٤٢٢، ج ٢٠، ص ٤٤٣ .

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨ .

وحده لا شريك له ولمن جعلها له عند تفسير قوله: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup> (٢).

كما وصفهم أيضاً بـ ﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي جانبهم لين على المؤمنين غليظ على الكافرين، ويترفعون كذلك عن الاعتناء بما عند الكافرين من العزة الكاذبة التي لا يعبأ بأمرها الدين، كما أدب الله تعالى بذلك نبيه الكريم في قوله عز وجل: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (هذه صفات المؤمنين الكامل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعزراً على خصمه وعدوه)<sup>(٥)</sup>.

#### المسألة الرابعة: كثرة ورود العزة في القرآن والسنة:

يكثر ورود العزة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويتنوع هذا الورد، فقد يأتي بلفظ العزة ومعناها أحياناً، أو بمعنى العزة دون لفظها أحياناً أخرى، ومن ذلك:

أولاً: النصوص التي ورد فيها لفظ العزة ومعناها: ورد في القرآن الكريم العزة كاسم من أسماء الله الحسنى في سبعة وثمانين موضعاً، وقرن بالحكيم في سبعة وأربعين موضعاً، وقرن بالعليم في ستة مواضع، وبالرحيم في ثلاثة عشر، وبالقوي في ستة مواضع،

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، ط ١: ١٤٢، ص ٥٤٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٠٥١.

وبالغفار وبذي انتقام والحميد ثلاثاً ثلاثاً، وبالغفور مرتين والوهاب والمقتدر والجبار مرة مرة<sup>(١)</sup>.

كما ورد إثبات العزة كلها لله في أربعة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>، وورد بلفظ رب العزة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وجاء القسم بعزة الله في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ولم يرد المعز بلفظ الاسم، وإنما جاء بلفظ الفعل في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة عبد العزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ١٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

ثانياً: النصوص التي ورد فيها معنى العزة دون لفظها، وهي كثيرة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

### ١- الأمر بالصدع بالدعوة:

قال ابن القيم - رحمه الله - : وأقام بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله تعالى مستخفياً، ثم أنزل عليه ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)، فأعلن بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين (٢)، والصدع فيه معنى القوة والوضوح والصلابة، وهكذا المسلم حينما يدعو إلى ربه دعوة الواثق من قوله فهو يعلو بدعوته، بل ويرفع بها صوته، لا ينجل ولا يستحي من عرض دينه أو الحديث عنه.

### ٢- المضي قدماً في الدعوة رغم المساومات. ومن ذلك الحوار الذي دار بين

النبي ﷺ وسيد من سادات مكة وذلك في بداية الدعوة الإسلامية، فيروي ابن هشام في السيرة أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السعة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، فقال النبي ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال له عتبة ما قال، حتى إذا فرغ قال له: أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال:

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣: ١٤٠٦هـ، ج ١، ص ٨٦.

نعم. قال: فاسمع مني، قال: أفعل. فأخذ الرسول يتلو من سورة فصلت، حتى انتهى إلى الآية ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على الماضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات، حيث عرض عليه عدة أمور هي الملك والمال والسيادة والجاه والدواء، وكلها عروض سخية جداً لا يستطيع أن يقاومها صاحب دنيا ولا يمكن أن يردها عاقل إن كان باحثاً عن متاع الدنيا وزينتها، إذ يخبره أنه ماضٍ بدعوته رغم تلك المساومات لأنه نبي لا مدع للنبوة ولا طالب ملك ولا رئاسة ولا مال، وأن ما يأتيه هو الملك من عند الله سبحانه، فيرجع بعدها عتبه مذعوراً متعجباً من تلك الأنفة والكبرياء والعزة حتى قال قومه إنه عاد بغير وجهه الذي ذهب به فقالوا.. (سحره والله محمد) حقاً إنها القوة المستمدة من عزة الله عز وجل.

٣- بذل الجهد في كسب العيش للاستغناء عن الناس. قال رسول الله ﷺ :

(ما من نبي إلا وقد رعى الغنم)<sup>(٣)</sup>، رعى الأنبياء للأغنام منذ صغرهم، واعتمادهم في مكسبهم على أنفسهم يشعر بأهمية اعتماد الداعية إلى الله على نفسه، وأن لا يتعلق بما في أيدي الناس، لأنه لو تعلق أو مالت نفسه إلى ما في يد غيره لجامله<sup>(٤)</sup> وخضع له وهان عنده، والدعوة لا خضوع فيها، أو مهانة، فالداعية يربأ بنفسه أن يعيش على صدقاتهم وأعطياتهم، ولن يتقبل الناس من ذل عندهم أو خضع. ومنه ما ذكره البخاري

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مؤسسة علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، حديث رقم (٢٢٦٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٥: ٤٢٨ هـ، ص ٤٠٣.

(٤) فقه السيرة لزيد الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط ٣، ٤٢٨ هـ، ص ٧٦.

- رحمه الله - في باب ما قيل في الرماح: (وجعل رزقي تحت ظل رحمي)<sup>(١)</sup> ثم قال ابن حجر - رحمه الله -: في هذا الحديث إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب، ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب، ثم قال: والحكمة في الاقتصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف أن عادتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق<sup>(٢)</sup>. ولذا فلا شك أن الذي يعين الداعية على إظهار تلك العزة هو أن يملك زمام نفسه، ويطلب رزقه بنفسه، وأن يتغلب على هواه، ويسيطر على شهواته وأن يؤثر ما عند الله على ما عند الناس، وأن يبأس مما في أيديهم، فإذا ما كان كذلك استطاع أن يعتز بدينه ويجهر بكلمة الحق دون أن يخشى من الناس.

**٤- إظهار العزة عند الجهاد:** كما حرم الإسلام على المسلم أن يهون أو يستذل أو يستضعف وأمره بإظهار العزة والإباء والكرامة، فإن أولى مكان وزمان لتظهر فيه تلك الخلة واضحة هو الجهاد.

ولذا فقد حذر عليه الصلاة والسلام من عاقبة الذل والهوان عند ترك الجهاد بقوله: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)<sup>(٣)</sup>، فليس المراد في هذا الحديث الشريف ذم من اشتغل بالحرث واهتم بالزرع وإنما المراد ذم من اشتغل بالحرث ورضي بالزرع حتى صار ذلك أكبر

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح، حديث رقم (٢٩١٣)، ص ٥٣٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ج ٦، ص ٩٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، وصححه الألباني، حديث رقم (٣٤٦٢)، ص ٦٢٣.

همه وقدم هذا الانشغال بالدنيا على الآخرة، وعلى مرضاة الله تعالى، لاسيما الجهاد في سبيل الله وترك ما يكون به إعزاز الدين فلم يجاهد في سبيل الله بماله ولا بنفسه ولا بلسانه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ظهرت تلك القوة والشدة والغلبة جلية في غزوات النبي ﷺ أثناء جهاده مع المشركين في العزة والإقدام على الجهاد ثم في العزة أثناء الجهاد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر. ما ذكر في غزوة أحد حين عصا الرماة أمر الرسول ﷺ وانقلبت الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله ﷺ فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال أفي القوم محمد؟ فقال الرسول ﷺ (لا تجيبوه) فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: (لا تجيبوه) فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر -رضي الله عنه - نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يجزيك، قال أبو سفيان: أعل هبل، فقال النبي ﷺ: (أجيبوه) قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي ﷺ (أجيبوه) قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال<sup>(٢)</sup> وأبو سفيان لم يتوقع أن يكونوا أحياء ولا يجيبوه بما يعرفه عنهم من عزة وغلبة وشدة، ثم بقوله ﷺ أجيبوه إظهار عزة المسلم كخلق من أخلاق الرسول ﷺ وافتخاره، بما يحمله من عقيدة دون فخر أو استعلاء.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم (٤٠٤٣) ص ٧٣٤.



ويمثل ذلك نستدل بما حدث في غزوة حنين في السنة الثامنة كما في صحيح البخاري كان يقول: ( أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب )<sup>(١)</sup>.

**٥- قيام الصحابة بما يدل على العزة:** إن المتأمل لمعنى العزة بفهم صحابة رسول الله -رضي الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان وإدراكهم لمعنى العزة وفقاً لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ليجد فيها العزة الواجب الاتصاف بها ، ومن ذلك :

أ- الحرص على إسلام عمر الفاروق -رضي الله عنه - :فقد روى عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه - قول: ( ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)<sup>(٢)</sup>. كما قال ابن مسعود - رضي الله عنه - ( ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر)، وقال صهيب - رضي الله عنه - : (لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به)<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك مشروعية إغاضة الكافر وإدخال الكآبة والحزن عليه، ولكن بدون اعتداء عليه، فإن عمر - رضي الله عنه - بادر إلى الجهر بالإسلام والصلاة بجوار الكعبة فأصاب قريشاً من ذلك كآبة وحزن وأسى لا يوصف، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾<sup>(٤)</sup>، ويقول عز وجل:

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمُ ﴾ حديث رقم (٤٣١٥)، ص٧٧٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، حديث رقم (٣٦٨٤)، ص٦٧٠.

(٣) روضة الأنوار لصفي الرحمن المبار كفوري، مكتبة دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ، ص٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

﴿يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(١)</sup>. ولقد كان لمنزلة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومكانته ومما عرف عنه من قوة الشخصية السبب الأكبر لحرص النبي ﷺ عليه، فقد كان يدعو الله سبحانه وتعالى دعوة خاصة لعمر وأبي جهل أن يهدي إليه أحبهما للإسلام، فعن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، قال وكان أحبهما إليه عمر)<sup>(٢)</sup> وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب)<sup>(٣)</sup>.

ب- وقوف المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - على رأس رسول الله ﷺ لما قدم عليه رسول قبيلة قريش قبل صلح الحديبية، يقول ابن حجر - رحمه الله - : فيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها، من تهريب العدو ولا يعارض النهي عن القيام على رأس الجالس ونحوها، لأنه محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبرياء<sup>(٤)</sup>.

قال الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - : فالقيام على الرجل منهي عنه، اللهم إلا إذا دعت الحاجة لذلك، كأن يخاف أن يعتدي عليه أحد فلا بأس أن يقوم عليه القائم، وكذلك إذا قام عليه الرجل إكراماً له في حال يقصد فيه إكرامه وإهانة العدو مثل

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، رقم الحديث: (٣٦٨١)، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ص ٨٣٥، وقد صححه الألباني.

(٣) سنن ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٠٥)، مكتبة المعارف، الرياض: ط ٢: ١٤٢٩ هـ، ص ٣٤، وقد صححه الألباني.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣٤٠.

ما حصل من المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - في صلح الحديبية<sup>(١)</sup>. ومثل ذلك أيضاً في صلح الحديبية ما فعله الصحابة . رضوان الله عليهم . حيث كان عليه الصلاة والسلام إذا تنخم تلقوا نخامته بأيديهم ثم يمسحون بها وجوههم وصدورهم<sup>(٢)</sup> مع أنهم ما كانوا يفعلون ذلك في العادة لكنهم رغبوا من ذلك إظهار عزة النبي ﷺ وإغاظة العدو بذلك .

ج- موقف أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - مع والدها:

بعد أن نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية قدم أبو سفيان إلى المدينة لمحاولة تجديد العهد وتوثيقه، فذهب لبيت ابنته أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ ، وعندما هم بالجلوس على فراش الرسول ﷺ سحبته أم حبيبة من تحته وطوته بعيداً عنه، فقال أبو سفيان: أراغبة بهذا الفراش يا بنية عني؟ أم بي عنه، فأجابته: بل به عنك لأنه فراش الرسول ﷺ؛ وأنت رجل نجس غير مؤمن، فغضب منها وقال أصابك بعد شر فقالت: لا والله بل خير، فهذه المرأة المؤمنة أعطت أباهما المشرك درساً في الإيمان وهي أن عزة الانتساب لهذا الدين فوق كل عز وشرف، وكما أصاب هذا الموقف أبا سفيان بالحبيبة فقد خاب مسعاه أيضاً عندما قابل الرسول ﷺ وأبى عليه تجديد الصلح فعاد إلى مكة، ولم يحقق ما يريد.

د- التحمل عند مقابلة الوفود، فقد تزايدت الوفود على رسول الله ﷺ، حتى زادت على السبعين وفداً، حسب ما ذكره عامة أهل السير، فمنهم من يريد رد السبايا والمأخوذين، ومنهم من جاء يريد أخذ الأمان لنفسه ولقومه، ومنهم من جاء يباهي أو يفاخر أو يناظر أو يجادل، ومنهم من جاء ليبيدي رغبته في الإسلام، ومنهم من جاء

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ج ١، ص ٢٦١.

(٢) انظر: روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، ص ١٤٠.

مسلماً ويرغب أن يعرف تعاليم الإسلام<sup>(١)</sup>. وقد كان الرسول ﷺ يقابل هذه الوفود بما جبهه الله عليه من البشاشة والكرم والأخلاق الفاضلة، فيحيزهم بما يرضيهم ويرغبهم في الإسلام، ويعلمهم الإيمان والشرائع ليعلموا من خلفه<sup>(٢)</sup>. فقد ورد في صحيح البخاري - رحمه الله - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ جبة من حرير تباع فأتى بها النبي ﷺ، فقال يا رسول الله، اشتر هذه تحمل بها للعيد والوفود، فقال: (إنما هذه لباس من لا خلاق له)<sup>(٣)</sup>. والشاهد من الحديث عدم إنكار النبي ﷺ على عمر - رضي الله عنه - قوله تحمل بها للعيد والوفود، ففيه مشروعية التحمل للعيد وللجمعة ولملاقة الوفود والرؤساء والأعيان. كما أن الاهتمام بلبس الثياب الجميلة والنظيفة ليس من الكبر والغرور في شيء، بل هي مما أمر بها الإسلام وحث عليها، فقد قال ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال، والكبر بطر الحق وغمط الناس)<sup>(٤)</sup>.

## ٦- الحرص على مخالفة اليهود والنصارى ووجود أحكام خاصة للتعامل مع

أهل الذمة: ومن ذلك ما يرويه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا: فقالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه، إلا أنه أمر بعد ذلك بمخالفة اليهود بأن يصام العاشر ويوماً قبله وهو التاسع أو يوماً بعده وهو الحادي عشر، لأن اليهود يفردون اليوم العاشر فتحصل

(١) انظر: روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، ص ١٨٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحمل للوفود، حديث رقم (٣٠٥٤) ص ٥٦٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب في العيدين والتحمل فيه، حديث رقم (٩٤٨) ص ١٧٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم (٩١)، دار الأرقم، بيروت،

ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٦٦.

مخالفتهم بصيام يوم قبله أو يوم بعده، قال (فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع)<sup>(١)</sup>. ومما يُعلم أيضاً أن أهل الذمة قد رضوا بالعيش والاستقرار في بلاد المسلمين ورضوا بسيادة وحكم الشريعة الإسلامية ودانوا بذلة لحكم الدولة الإسلامية، فدفعوا الجزية ولا يحق لهم التطاول ببناء الكنائس والمعابد في بلاد الإسلام وقد جاء في الشروط العمرية: (وألا نضرب ناقوساً إلا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليباً)<sup>(٢)</sup> وكل تلك الأحكام أتت لتبرهن وتدلل على عزة المسلمين وقوتهم وضعف وهوان كل من يعلن عدم رغبته في دخول هذا الدين العزيز.

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، حديث رقم (٢٦٣٦) ص ٥٠٩.

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ج ٢، ص ١١٤.

## المطلب الثاني

### طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة

الطريقة الأولى: أسلوب النهي الصريح عن المهانة والذل:

فقد أمر الله عز وجل بالإقدام والاحتمال والثبات في مواطن الضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، أي لا تضعفوا عن ابتغائهم<sup>(٢)</sup>. كما قال عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَلِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول ابن كثير -رحمه الله-: [ فلا تهنوا أي لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعو إلى السلم) أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم ]<sup>(٤)</sup>. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول الطبري رحمه الله: (ولا تضعفوا بالذي نالكم عن عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحرهم)<sup>(٦)</sup>. في هذه الآيات الكريمة أدب قرآني عظيم، وتوجيه رباني كبير لكل من آمن وجاهد وصبر، يحثهم فيه على عدم الهوان الذي ينافي العزة ويضادها، وينهيهما ويقضي عليها، فهو أمر للمؤمنين بالثبات على العزة حتى في الأوقات العصيبة، لتبقي العزة

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج٧، ص٤٥٤.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٧٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج٦، ص٧٨.

ملازمة لهم، لا تنفك عنهم في الضراء والسراء، في الفرح والحزن، في الحرب والسلم في النصر والهزيمة، ومن ذلك قوله ﷺ : (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها) <sup>(١)</sup> فمعالي الأمور هي التي تدل على شرف الإنسان وعزته ورفعته عن السفاسف وهي الأمور الرديئة أو التافهة التي تقلل من قيمة المرء وتهمينه وتذله.

### الطريقة الثانية: أسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي للعزة:

حين ينهي الشارع عن الحرام فهو ينهي عن كل الطرق الموصلة إليه، وحين يأمر بالواجب فهو يأمر بالسبل الموصلة إليه، ومن ذلك حين أراد أن يدل المسلمين عامة والدعاة بصفة خاصة إلى الطريق الذي يصون عزتهم ويحصنهم ضد الهوان، فقد قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> أي تخزون به عدو الله وعدوكم. فالقوة بدنية كانت أو علمية تجعل صاحبها في موطن هيبة أو اقتدار فلا يسهل أن يهان أو يعتدى عليه من قبل غيره.

الطريقة الثالثة: الأمر بما يستوجب العزة، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا

تُؤْمَرُ﴾ <sup>(٣)</sup> يقول ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره: (يقول تعالى أمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به) ثم يذكر قول ابن مسعود - رضي الله عنه - فيقول: (ما زال النبي ﷺ متخفياً حتى نزلت

(١) المعجم الكبير للطبراني، دار الراجية، الرياض، رقم الحديث ٨ ٠ ٢٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فخرج هو و أصحابه<sup>(١)</sup> ، فالصدع يحمل معنى القوة والوضوح والصلابة، أي بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت لأحد، ذلك الأمر الذي يوجب العزة، فالقرآن الكريم يريد أن يرى في نفس المؤمن الاعتزاز بهذا الدين. وقد نجد في هذه الأيام بعض الشباب المسلم - هदानا الله وإياهم للحق - قليل الثقة بدينه يستحي من ذكر الله سبحانه وتعالى في المجالس بل يستحي حتى من الصلاة على النبي ﷺ يجامل المجاملات الكثيرة على حساب هذا الدين، ويظهر ذلك كثيراً عندما يكون المسلم أو المسلمة في بلد كفر أو بيئة غير مستقيمة، فنجدهم يفقدون العزة ويحرصون على إخفاء هويتهم الإسلامية، فالمقصود بالصدع إذن هو أن يبلغ الدعوة رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً سواه ويجهرون بكلمة الحق وبحكمة وعقل دون أن تأخذهم لومة لائم، فتكون غايتهم من وراء ذلك أن يظهروا العزة التي منحهم الله وأن ما شرعه الله هو الحق الذي يجب أن يكون منهجاً يسير على الناس في حياتهم. فعلى ذلك يكون أصل العزة هو الصدع والإعلان والإعلام والإظهار، لذا كان لزاماً على كل مجتمع مسلم أن يبرز شعائر الدين وعقائده، فيجعل لذلك محلاً واسعاً في حياته، واهتماماً بالغاً لا يقل عن الاهتمام بالجوانب الأخرى، وهو ما من شأنه أن يسهم في النهوض بالأمة وتبوءها مكان الريادة بين الأمم.

**الطريقة الرابعة: تكفل الله عز وجل برزق عبده وأجله ونصره على أعدائه هو أمر له بالعزة:** الله عز وجل هو الركن الشديد الذي يركن إليه العبد كلما حزنه أمر، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٠٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.



تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانِمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ولذا يقول الطبري - رحمه الله - في ولاية الله للذين آمنوا نصيرهم و ظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه<sup>(٣)</sup>. ففي مجموع هذه الآيات وغيرها من كتاب الله ما يقوي عزيمة المؤمن ويرفع من معنويته ويشعره بأن الله سنده فيقطع حياته مرفوع الرأس عزيزاً بعزة الله له كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فلا يذل لمخلوق مهما علا شأنه وارتفع مقامه، فليست الذلة للمخلوق من خلق المسلم لأن من تولاه الله وكان في حماه لا يصح أن ينكس رأسه أو يخضع لأحد. لكن قد يضعف الإنسان ويذل بسبب منصب أو جاه أو مال فيرسل له عز وجل رسالة عاجلة بقوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾<sup>(٥)</sup>، فلا مبرر للضعف والاستكانة، لأن الرزق من الله ليس لمخلوق فيه دخل فلا يستطيع أن يزيد أو يمنعه أو لينقصه ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وكذلك الأجل والأعمار بيد الله سبحانه فليس لأحد فيها علاقة ﴿وَمَا كَانَ لِئَنفُسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُّوَجَّلًا﴾<sup>(٧)</sup>، ومثل الرزق والأجل النصر على الأعداء، فمرده إلى

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ١١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج ٤، ص ٥٦٣.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

الله فهي تجري بقضاء الله وقدره ﴿ وَمَا اللَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١)، فإذا عرف الداعية أن الله قد تكفل برزقه وأجله ونصره على أعدائه واستشعر (لا إله إلا الله) تغلب على ضعفه البشري الناتج على خوفه عن هذه الأمور، فتعلو همته في الدعوة وتقوى عزيمته على تحمل مشاقها وتكاليفها، ثم تعلق بالخالق واستمد عزته من ذلك.

**الطريقة الخامسة: استعراض الأمم السابقة التي استجابت لدعوة الحق واستشعرت العزة، وتمردت على الذل والهوان، فنالت العزة في الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٢).** يقول أبو جعفر الطبري . رحمه الله .: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم من حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم، (وما ضعفوا)، يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم، (وما استكانوا) يعني وما زالوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم، ولكن مضوا قدماً على بصائرهم ومنهاج نبيهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله وإتباعاً لتنزيله ووحيه، (والله يحب الصابرين) يقول: والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله في جهاد عدوه لا من فشل ففر عن عدوه، ولا من أنقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج٦، ص١١٧.

ففي ذلك الثناء في الآية الكريمة السابقة لمن لم يضعف ولم يستكن تحريض للمسلمين يقوم على نبذ الضعف والمهانة والحرص على العزة رغم المشاق والمصاعب التي قد تعترض طريق المسلم. ومن ذلك أيضاً الثناء على تلك العزة الإيمانية التي بدت جلية لسحرة فرعون، فقد جاءوا لنصرة فرعون، ثم لما عرفوا الحق آمنوا بالله ولم يستحووا من الحق، قال تعالى: ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٤٤)</sup> فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا تُقِطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾<sup>(١)</sup>، فتحوّل قلوبهم من منتهى الكفر والضلال إلى منتهى اليقين والإيمان، فأمنوا بعد أن كانوا من المحاربين لله ورسوله، وحسن إيمانهم بل إنهم ثبتوا أمام تهديد فرعون، وذلك التهديد الشديد، فكان ردة فعلهم قوية مليئة بالقوة والثبات واليقين في الله عز وجل.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٤٤-٥٠.

## المبحث الثاني أنواع العزة

### توطئة:

العزة صفة عامة شاملة واسعة النطاق، تتمثل في العزة لله عز وجل، أو العزة من الله عز وجل وهذه تكون لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين، كما قد تكون ممدوحة يؤمر بها شرعاً، وقد تكون مذمومة نُهي عنها الشارع.

لذا ستذكر الباحثة - بإذن الله - أنواع العزة باعتبارات عدة، حتى يتجلى معناها بصورة أوضح، وذلك على النحو التالي:

- المطلب الأول: أنواع العزة من حيث المعنى.
- المطلب الثاني: أنواع العزة من حيث المصدر.
- المطلب الثالث: أنواع العزة من حيث المدح والذم.

## المطلب الأول

## أنواع العزة من حيث المعنى

العزة خلق محمود وهي من أعظم أخلاق الإسلام، فالمسلم لا يهان ولا يستضعف ولا يستخف به، وأعظم ما يعتز به المسلم دينه وكتاب ربه عز وجل، فهي في الأصل حرص المسلم على ألا يُغلب، ولكنها قد تأتي في معانٍ أخرى في النصوص الشرعية.

**أولاً: العزة بمعنى المشقة:** وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿١﴾، أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، فقد جاء بالحديث الصحيح (إن الدين يسر) (٢) فشرعته ﷺ كلها سهلة وسمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله عليه تعالى.

**ثانياً: العزة بمعنى الأنفة والحمية:** وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهَا وَجَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٣٦) ﴿٣﴾، فإذا وعظ المخطئ في قول أو فعل بأن قيل له: اتق الله وارجع إلى طريق الحق والصواب، أبت وامتنع بسبب ما فعله من إثم.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم (٣٩)، ص ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

ثالثاً: العزة بمعنى التشدد والتكبر: وذلك مثل قول الرسول ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - : (هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا ،قال: تعززا ألا يدخلها إلا من أرادوا)<sup>(١)</sup>.

رابعاً: العزة بمعنى الغلظة: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ؕ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾<sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر هنا العزة على الكافرين بعد الذلة على المؤمنين ،حتى لا يتوهم السامع أن الذلة إنما كانت لضعفهم وهوانهم.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم (٣٢٢٥)، ص ٦١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

## المطلب الثاني

## أنواع العزة من حيث المصدر

بعد استقراء النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية وجدت الباحثة أن

العزة تتنوع من حيث المصدر إلى:

أولاً: عزة الله عز وجل<sup>(١)</sup>:

الله عز وجل هو العزيز، والعزيز اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه الممتنع فلا يغلبه شيء، وهو القوي الغالب لكل شيء، وليس كمثلته شيء، وهو سبحانه العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز، وهو سبحانه القوي القاهر، قد عز كل شيء فقهره وهو غير موجود النظير والمثل جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهو المعز الذي يهب العز لمن يشاء من عباده. وعزته سبحانه تشمل المعاني الثلاثة للعزة وهي:

الأول: عزة القوة، وهي صفة العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن

عظمت.

الثاني: عزة الامتناع، لأنه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره

فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع.

الثالث: عزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي مقهورة لله، خاضعة لعظمته،

منقادة لإرادته<sup>(٢)</sup>، كما قد نفى الذل عن نفسه عز وجل ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ

(١) وقد سبق بيان ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى في ص ١٢.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى لحصة الصغير، ص ١٧٢.

يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الدُّلِّ ط  
وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ (١).

ثانياً: العزة بدين الله عز و جل:

كما أن الله عز وجل هو العزيز فهو (المعز) إذ يوصف بالعزة التامة المطلقة يهب العز لمن يشاء من عباده، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢). فالله عز وجل هو الميسر لأسباب المنعة، لأنه يعز من شاء من أوليائه فإما أن يبسط حالهم ويعلي شأنهم، وقد يمتحنهم في الدنيا، ويشبههم على الصبر عليه، وقد يبسط الرزق لأعدائه ويعلي أمرهم في الدنيا ولهم في الآخرة العقاب الأليم، فالمطيع لله عزيز وإن كان فقيراً ليس له أعوان، والعاصي وإن ظهر بمظهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه بالشهوات.

ولذا فيجب أن نؤكد أن العبرة ليست بظهور مظاهر العزة، لكن العبرة بسلامة المنهج وموافقته لأصل العقيدة. وعلى المسلم أن يفتن إلى ألا يظن أن هذه العزة منه وله، بل عليه أن يعلم أنها من عند الله، فليحسن التعبد له. فإذا رأى عزته ثم رأى إعجاب الناس بما عنده من عزة فعلية ألا يُعجب بنفسه، بل إن الناس قد أعجبهم الجميل الذي أظهره الله منك ولم يعلموا بقبيح عندك قد ستره الله عنهم، فلنشكركه . تعالى . جميعاً على هذا الستر ولا نعتز، وكما قال ابن القيم رحمه الله : ( لا تحسب أن نفسك

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١١ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦ .



هي التي ساقنتك إلى فعل الخيرات، بل اعلم أنك عبد أحبك الله فلا تفرط في هذه المحبة  
فينسأك<sup>(١)</sup>.

فإذا تساءلت عن الجمع بين أن العزة لله جميعاً ثم تكون العزة في نصوص أخرى  
لرسوله ﷺ والمؤمنين فيقال: قد يعترض معترض فيقول: كيف نجتمع بين قول الحق  
سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ  
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، والجواب أنه لا تنافي بين الآيتين، لأن العز الذي  
هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة ملك ومخلوق لله وعزه سبحانه هو المصدر لكل  
عز، ومن ثم يكون عز الرسول ﷺ والمؤمنين مستمد من عز الله عز وجل، وعلى هذا  
فالعز كله لله، والعزة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظلت بظل الله  
واحتمت بحماه.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، دار ابن كثير، دمشق، ص ٣٠٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

### المطلب الثالث

#### أنواع العزة بين المدح والذم

جاءت النصوص الشرعية لتمدح إظهار العزة تارة وتذمها تارة، فهي إن كانت لله ورسوله وللمؤمنين فهي الممدوحة، وأما إن كانت للكافرين فهي في الحقيقة ذم وذل ومهانة، قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾<sup>(١)</sup>، فكما تكون العزة خلق حميد إذا قامت على الحق والعدل، واستمدها صاحبها من حمى ربه لا من سواه، فكذلك تكون أحياناً كاذبة أو خلق ذميم حين تقوم على البغي والفساد، فعزة الكافرين تعزز كاذب وكل عز ليس بالله فهو ذل، وعلى هذا الأساس تكون العزة شرعية أو غير شرعية، فإذا اعتر المرء بدينه ورفع نفسه عن المهانة فهو لا يريق ماء وجهه ولا يبذل عرضه فيما يدينسه، سالماً من ألم الهوان، متحرراً من الأهواء، أما غير الشرعية فهي التي ترتبط بالكفر والفسق والنسب ونحوها كالاعتزاز بالجاه والمنصب أو بالكثرة سواء بالمال والعدد، أم بجمال الخلقة أو الثبات وهذه كلها مذمومة، وهنا لا بد أن نفرق بين العزة كمطلب شرعي والكبر المنهي عنه، ليحذر المسلم من إيقاع نفسه مواطن الذم والخطأ، فالعزة تأتي من الاعتزاز بالله سبحانه وتعالى ومن التزامه بالمنهج الصحيح، فهو وإن كان لا يرى له على أحد فضل، ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل لله الذي جعله يقوم بهذه الدعوة، أما الكبر والغرور فهو نيل شهوات النفس بالترفع عن خلق الله والتكبر عليهم والافتخار والتطاول على الغير.

(١) سورة مريم، الآية: ٨١.

### المبحث الثالث ضوابط العزة في الدعوة

توطئة:

لا تخفى أهمية العزة بعدما وضحنا مشروعية العزة وأنواعها، لكنها تحتاج إلى أن تقنن بضوابط وشروط حتى تكون نافعة وبناءة بإذن الله، فالداعية ربما يدخل في نفسه العجب، ويورثه قيامه بالدعوة شعوراً بالترفع والعزة عليهم، فإذا التزم بضوابط العزة زال عنه ذلك الشعور، وفيما يلي أبرز تلك الضوابط:

- الضابط الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة إلى الله.
- الضابط الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة عند الدعوة إلى الله.
- الضابط الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة عند الدعوة إلى الله.

## الضابط الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع

هذا الضابط هو الضابط الأكبر الذي تندرج تحته كل الضوابط إذ لا بد للمسلمين من مرجعية يتفقون عليها ويقفون عندها، وهذه الأمور لا تتحقق إلا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة. يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾<sup>(١)</sup>، والأصل أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم، أي أنها تفيد كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (دين الإسلام مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة)<sup>(٢)</sup>. ولما كان للعزة هذه المنزلة العظيمة وجب أن تكون مبنية على هذه الأصول كتاب الله وسنة نبيه بالإضافة إلى ما أجمعت عليه الأمة، والمتدبر للقرآن الكريم يجده زاحراً بآيات العزة فمنها آيات بينات ذكرت ذلك بالتصريح والعموم، ومنها ما تحدثت عنها بالإشارة والتلميح، وكذلك السنة النبوية المطهرة اشتملت على كثير من الأحاديث التي تدعو للعزة سواء بقوله ﷺ أو بفعله مما قد تبين فيما سبق<sup>(٣)</sup>. فالاعتزاز بدين الله يتحقق بالانقياد لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة والاستسلام لهما والإذعان لذلك.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢٠، ص ١٥٩.

(٣) انظر المبحث الأول ص ١٤.

فالواجب هو تدبر كتاب الله ثم العمل بما جاء به وطاعة الأوامر التي جاءت بالسنة النبوية، واجتناب نواهيها، وتصديق ما فيها، هذا مع الرجوع لكتب السلف الصالح لانتفاع بها ومعرفة الطرق التي نستنبط بها الأحكام من أدلتها.

### الضابط الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة

من الأمور التي يجب أن تركز عليها العزة العلم، أي العلم بشريعة الله عز وجل، فالعلم هو أساس العزة، ولا يمكن أبداً للعزة أن تتم على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على العلم، فكل عزة بلا علم لا بد أن يكون فيها تكبر وغرور، ولنبنين أهمية قيام العزة على علم لا بد أن نعرض حال بعض المسلمين اليوم الذين رغبوا أو أرادوا في العزة دون علم وبصيرة فأخطأوا في ذلك، وقلبوا معنى العزة الواضح في المنظور الإسلامي إلى الاستعداد والتخويف لمن لا يستحق التخويف كالعدوان الذي يمارسه الأفراد بغياً على الإنسان في دينه ودمه وماله وعرضه لأن ذلك عمل إجرامي كبير، وانتهاك لحرمة الأنفس المعصومة والأموال المحترمة، ولعل أبرز أسباب ذلك الاستعداد والتخويف هو الغلو والتطرف في فهم مصطلح العزة، والجهل بحقيقة ذلك الدين الذي ينظر للمخالف على أنه مريض نعالجه بالحوار والإقناع ليرجع عن مخالفته لا على أنه عدو يجب قتاله، لأن الغلو والتشدد والتطرف في فهم العزة الصحيح يقود إلى العنف، ولقد أرشدت النصوص الشرعية الصحيحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى التقييد في الدعوة بالمنهج الصحيح المعتدل للعزة والنهي عن كل ما فيه تطرف وغلو وتنطع. كما أن مجرد التخشين في الدعوة لا يوافق معنى العزة، فلا يصح أن نقول للظالم (يا ظالم، يا من لا يخاف الله) لأن ذلك يحرك فتنة، وفيه تنفير يقلل من أفراد هذه الدعوة ولا يعزها، ألم

يقول تعالى موسى وهارون عليهم السلام ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ وَتَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (١).

على الداعية أن يبين الفرق بين العزة الشرعية والعزة الغير شرعية ويوضح للمدعوين الفرق بين صور العزة الشرعية التي تتمثل بالاعتزاز بالله تبارك وتعالى والاعتزاز بالانتساب للإسلام والاعتزاز برسولنا محمد ﷺ ، وإظهار العزة على الكافرين وخفض الجناح للمؤمنين ، وصور العزة الغير شرعية كالاعتزاز بالآباء و الأجداد أو القبيلة أو الاعتزاز بالمال والعدد أو الاعتزاز بجمال الهيئة أو الثياب.

### الضابط الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة

الحكمة هي إصابة الحق بالقول والعمل، وقد حث الله عز وجل الدعاة على الحكمة عند الدعوة: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢). والعزة صفة للداعية، ولذا فيجب أن يكون الداعية حكيماً في اتصافه بها، فعليه مثلاً اختيار الأسلوب المناسب في الموقف المناسب والحالة المناسبة، لأن ما يصلح لحالة من الأحوال، أو لمعالجة موقف من المواقف أسلوب لا يصلح لغيره، فما يتخذه من أساليب مع دعوة المسلم يختلف عما يتخذه مع غير المسلم، وما يتخذه في الشدة يختلف عن الرخاء، وفي الترغيب بخلاف التهيب، ولذا تتنوع مظاهر الحكمة في العزة على حسب طبيعة الموقف الدعوي ولكن أبرزها:

#### ١- العمل بالعزة:

أي تطبيق ما يقول على نفسه أولاً، وأن يكون قدوة حسنة فيما ينصح به من فضائل أو ينهى عنه من رذائل، فالعمل بالبر أولاً قبل الدعوة إليه، مصداقاً لقوله تعالى:

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، ولقد ورد الدم كثيراً وعظيماً لمن يخالف قوله فعله، ولمن لا يلحق القول الفعل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، فالقدوة الحسنة لها أثرها في النفوس، وإن وافق الفعل القول كان ذلك أبلغ في الفهم والمعرفة وفي القبول والإقبال على هذه الدعوة، وهذا يعني أن يبدأ الداعية بنفسه فالمخالفة بين القول والفعل من أسباب عدم قبول الأمر، وحصول أثره، ومن هنا قال تعالى على لسان نبي من الأنبياء: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالداعية هو أول من يجب عليه أن يعتز بدينه، وتظهر عليه علامات تلك العزة.

## ٢- احترام المدعو وتقديره:

ومع إظهار الداعية لعزته يجب أن يقدر المدعو ويحترمه، فينبغي أن نؤكد على إظهار الاحترام المتبادل وإعطاء كل ذي حق حقه والاعتراف بمنزله ومقامه، فيخاطبه بعبارات لائقة وألقاب مستحقة وأساليب مهذبة، ومن ذلك أيضاً عدم مواجهة أحد بعينه، فلا يؤدب ولا يزجر إن كان في الدعوة العامة ما يكفي، وقد كان النبي ﷺ يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله ﷺ (ما بال أحدكم) فإن ذلك أدعى في قبول الحق والاستجابة له، والعزة ليست للذات والاستعلاء على الناس، وإنما هي للعقيدة، فالعبد إن رزق العزة في دعوته فقد رزق الاستعلاء على هذه الدنيا الزائلة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة الصف، آيات: ٢-٣ .

(٣) سورة هود، الآية: ٨٨ .

### ٣- عدم الإفراط والتفريط في الأخذ بالعزة:

فلا إفراط بتخويف وإرعاب وإرهاب لغير المسلمين ولا تفريط بفقدان الاعتزاز بهذا الدين وأهله وقد تم توضيح قضية عدم الإفراط بالضابط الثاني، أما التفريط فيكون ذلك بالتشبه بالكفار ومحاولة تقليدهم، أو عدم إنكار المنكر أو حتى الوقوع في المعاصي مع الأقران، وإننا نلاحظ في هذا العصر مدى تأثر بعض الشباب بالحضارة الغربية، وإن هذا الحب للغرب أو للبلاد الكافرة والإعجاب بنظمها وقوانينها يجعل شبابنا يحب أفكارهم ولغاتهم وحياتهم حتى ولو لم تكن جيدة، وكلنا أصبحنا نتعجب من جيل اليوم الذي ينزل القرآن بلغته ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ثم يتفاخر بلغته الأجنبية أمام العرب، والأدهى والأمر من ذلك كتابة الكلمات العربية بحروف أجنبية.

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.



## المبحث الرابع

### أثر العزة على الدعوة

توطئة:

لا يخفي على عاقل أن كل فعل من الأفعال ، وكل عمل من الأعمال إنما تعرف أهميته وقيمته من ثمراته المترتبة عليه، ومن آثاره التي يتركها ، وإن من أبرز آثار العزة في الدعوة إلى الله ما يلي:

- المطلب الأول : وجوب تحديد مفهوم العزة
- المطلب الثاني : الوضوح في الدعوة
- المطلب الثالث : العزة بحسب المقدرة
- المطلب الرابع : مشروعية الهجرة عند الحاجة إليها
- المطلب الخامس : كسب الرزق
- المطلب السادس : الحرص على تحييب الدعوة بالعزة
- المطلب السابع : الولاء والبراء
- المطلب الثامن : فتح باب الأمل بالتوبة
- المطلب التاسع : الستر عند الخطأ
- المطلب العاشر : الحوار مع المدعو

## المطلب الأول

### وجوب تحديد مفهوم العزة

إن تحديد المفاهيم أمر في غاية الأهمية، إذ لا يستطيع المرء أن يحكم على أمر من الأمور قبل أن يتصوره، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ومن حكم قبل أن يعلم ماهية الأمر أو يحدد مفهومه فقد أخطأ خطأ فاحشاً.

وإذا أريد فهم لفظ من الألفاظ الشرعية، فلا بد من الرجوع إلى أمرين هما اللغة العربية التي تكلم بها الشارع ومقصود الشارع من الألفاظ<sup>(١)</sup>.

لهذا كله كان من الواجب على الدعاة إلى الله - تعالى - العلم بحقائق الأشياء وإدراك المفاهيم - ما أمكن - بل والحرص عند إطلاق الألفاظ الشرعية، لأن تلك الألفاظ صارت مصادر للخلاف بين الناس، والعزة أحد تلك المفاهيم الواجب بيانها للاختلاف الناس حولها ما بين مفرط و مفرط حيث يقول ابن القيم - رحمه الله - : ( وكل خلق محمود مكنتف بخلقين ذميمين كالجود الذي يكتنفه البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه الذل والمهانة والكبر والعلو، فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقين الذميمين)<sup>(٢)</sup>.

فيجب على الدعاة تحديد مفهوم العزة الصحيح رغبةً في تصحيح الخطأ وإزالة اللبس وكشف الغموض، وبيان بأنها خلق بين خلقين أحدهما الكبر والآخر هو الذل والهوان، ومحاولة ربطها في الحق وبالحق، والتي يكون فيها صاحبها عزيزاً ولو كان فقيراً أو مظلوماً لأنه يعتز بعزة الله تبارك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، فهذه هي العزة المقصودة لأنها اعتزاز بمن يملكها وإذعان له وانتساب لشرعه وهديه ودعوته .

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر لعبد الرحمن اللويحق ط ١٤١٩: ١، ص ١٠.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٣٠٩.

## المطلب الثاني

## الوضوح في الدعوة

يعلم الجميع أنه كلما كانت الدعوة واضحة - باختلاف اطلاقات وأنواع الدعوة - كان القائم عليها والداعي لها واثقاً من صحتها معتزاً بها، ولقد كان من أبرز آثار العزة على الدعوة وضوحها.

فالدعاة لا يخوضون في ظلمات ولا يسيرون متخبطي الخطى ولا يعتمدون على اجتهاداتهم الفردية ولا ينهلون من فراغ، لأنها دعوة تقوم على العلم والبصيرة والهدى والرشاد، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

يقول الشيخ القاسمي - رحمه الله -: (دل قوله تعالى [عَلَى بَصِيرَةٍ] على مزية هذا الدين الحنيف ونهجه الذي انفرد به، وهو أنه لم يطلب التسليم به مجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه ادعى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين، وكرّر عليها بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوام وما فيه من الإحكام والالتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه) (٢) فإذا أدرك الداعية هذا الوضوح إدراكاً كاملاً انطلق بدعوته بكل ثقة وعزة حتى يصل للنتيجة المؤملة والمرجوة من دعوته.

والعلاقة بين الوضوح والعزة علاقة سبب ونتيجة، فلأن الدعوة كانت واضحة كان يحق للداعية أن يعتز بها، ولأن الداعية يعتز بدعوته كان يجب أن تكون واضحة.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي، دار الفكر، بيروت، ط ٢: ١٩٧٨ م، ج ٩، ص ٢٩٥.

### المطلب الثالث

#### العزة حسب المقدرة

من لطف الله عزوجل بعباده ألا يكلفهم فوق طاقتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup> ، يقول القرطبي - رحمه الله - : ( نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عباده من أعمال القلب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف و في مقتضى إدراكه وبنيته).

ولهذا فقد جعل شرط الاستطاعة في جميع الأحكام الشرعية، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إن مدار الشريعة على قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(٢)</sup> المفسر بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ، وعلى قول النبي ﷺ : ( إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)<sup>(٤)(٥)</sup> .

والعزة في الدعوة إلى الله كسائر الأحكام الشرعية التي يشترط لها القدرة والاستطاعة، فلا تجب إلا على من يقدر ويستطيع، ولهذا ورد في الحديث الشريف ( من رأى منك منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٦)</sup> ، كما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، حديث

رقم (٧٢٨٨)، ص ١٣١٩ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٣٨، ص ٢٨٤ .

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٤٩)، ص

جاء أيضاً (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان إلا حبة خردل)<sup>(١)</sup>.

لذا فالقاعدة العامة التي لا بد لكل داعية من معرفتها، حتى يعرف القدر الواجب عليه من إظهار العزة هو التفريق محبة المعروف وكره المنكر وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفعلي، لأن المحبة القلبية للمعروف والكراهية القلبية للمنكر لا مندوحة لمسلم بأي حال من الأحوال وليس وراء ذلك من الإيمان شيء، أما الإنكار أو الأمر الفعلي فهو بحسب الطاقة والاستطاعة، إما باليد أو اللسان وهي الحدود العليا للاستطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي بهما يستطيع الداعية أن يظهر عزته أو أن يعبر عنها بكل ما أوتي من قوة وعلم، أو الاختصار على الأدنى من الاستطاعة كما في المحبة والكره القلبي الذي يجب ألا يتركه الداعية بأي حال من الأحوال.

ومن المعلوم للجميع أن ما يتيسر للداعية من أفعال أو أقوال يظهر بها عزته بدعوته في ظل الحكومات الإسلامية قد لا يتيسر مثله في حكومات الكفر.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٥٠)، ص

## المطلب الرابع

### مشروعية الهجرة عند الحاجة إليها

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾<sup>(١)</sup>، من المعلوم أن الهجرة لإعلاء كلمة الله هي دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، بل إنها برهان لصالح العبد واستقامته، إلا أن الهجرة تعد أيضا تعد آثار العزة على الدعوة، إذ أنها سبب لتفريج كربة الداعية، ونيل العزة والكرامة، وحصول الخيرات، حيث يتيسر له بهجرته أن يُظهر تلك الدعوة ويجاهر بها، فالداعية سيستطيع أن يجد حينها، -بتوفيق الله- أرض خصبة لنبتة الطيب، بخلاف تلك الأرض الجرداء التي تركها بهجرته، وسيُظهر العزة بدينه حين يقيم شعائر دينه بيسر وسهولة، كما ستفتح الهجرة للدعوة مجالات رحبة لم يجدها الداعية بوطنه الأول، كأن يتمكن من أن يتجه لصلاة الجمعة والجماعة في المساجد بيسر وسهولة، بينما ربما كان من الصعب عليه القيام بذلك في بلده الأول، ولا أدل على ذلك من أن رسول الله ﷺ لم يحصل لدعوته العزة والمنعة لها ولأتباعها إلا بعد أن هاجر للمدينة المنورة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۗ﴾<sup>(٢)</sup> أي مكان تكون له فيه المنعة من تعذيب الكفار و أذاهم وسعة في الرزق وعزة وخير للدعوة.

(١) سورة النحل، الآية: ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

## المطلب الخامس

## كسب الرزق

إذا كان الشارع قد رخص للمحتاج أو الفقير أن يعرض حاجته للناس، أو أجاز له أن يطرق أبواب المسألة، فإن ذلك مما لا ينبغي للدعاة أن يسلكوه بحال من الأحوال، بل يجب عليهم أن يتعففوا، ولا يظهروا للناس فقرهم وقلة حالهم، وعليهم أن يستروا ذلك ويكتموه إتصافاً بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾<sup>(١)</sup> حتى يرزقهم الله عز وجل بما وعدهم به رسوله الكريم ﷺ: (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)<sup>(٢)</sup> ولذا فعلى الداعية أن يجتهد ليعتمد على نفسه بطلب أسباب الرزق، امتثالاً للأمر بأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فيطرق أسباب الرزق الحلال، ثم يوطن نفسه على الرضا باليسير، حتى يصل إلى درجة الاستغناء عن الخلق، كما قال عليه الصلاة والسلام: (وارض بما قسم الله لك تكن أغني الناس)<sup>(٤)</sup> ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ لأصحابه: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم كنت

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفاف عن المسألة، حديث رقم (١٤٦٩) ، ص ٢٧٣، و صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر، حديث رقم (١٠٥٣) ، ص٤٦٧.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، حديث رقم (٢٣٠٥)، ص ٥٢١، قال الألباني: حديث حسن.

أرعاها على قراريط لأهل مكة<sup>(١)</sup> فرعي الرسول ﷺ الغنم جعله يستغني عما في أيدي الناس ويعتمد عليهم في ذلك فتبقى قيمته وترتفع منزلته، ويتعد عن الشبة والتشكيك فيه، ولذا نجد أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يؤكدون ذلك لأقوامهم بقولهم : ﴿وَيَقَوْمٌ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾<sup>(٢)</sup> ، ولا شك أن اعتماد الداعية على الكسب الحلال يكسبه الحرية التامة، والقدرة على الدعوة والصدع بها، ولذا قال رسول الله ﷺ : ( ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده)<sup>(٣)</sup> فصاحب الدعوة لن تكون لدعوته أي قيمة في الناس، و لن يحق له أن يعتز بتلك الدعوة إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته، أو على أساس من عطايا الناس، ولذا كان الداعية أخرى الناس بأن يعتمد في معيشتة على جهده الشخصي حتى لا يكون لأحد من الناس عليه منة أو فضل، فيعوقه ذلك من أن يصدع بالدعوة.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، حديث رقم (٢٢٦٢)، ص

.٤٠٣

(٢) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم (٢٠٧٢)، ص

.٣٧٣



## المطلب السادس

## الحرص على تحبيب الدعوة بالعزة

كان للعزة في الدعوة أثر عظيم في فتح قلوب العباد وترغيبهم في الاستجابة لدين الله، فحذب قلوب كانوا من ألد أعداء هذا الدين فاستظلوا بظله الظليل لأن الناس تميل للعزة والترفع وتأنف من الذل والهوان.

ولا يخفى على من يقرأ في السيرة المطهرة حديث: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن)<sup>(١)</sup> وقد كان ذلك في فتح مكة، وذلك لعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه رجل يحب الفخر والاعتزاز بالنفس، ولم تكن هذه الجملة إلا استمالة منه لأبي سفيان رضي الله عنه - لأنه لم يكن هناك حاجة لدخول بيته مادام بإمكانه أن يدخل داره هو ليكون آمناً.

فإذا علم المدعو أن هذا الدين هو دين العزة والقوة، واستمد بتمسكه بهذه الدعوة قوته من قوتها وعزته من عزتها ناسب ذلك ما جُبلت عليه نفوسهم البشرية من نيل لذلك ورغبةً فيه. فالدعوة موجهة لتلك النفس البشرية، ويجب النظر لها بواقعية تراعي طبيعتها وما جُبلت عليه، لأنها كانت تعتز بأيام الجاهلية بقبيلتها أو نسبها أو عرقها فحاء النبي ﷺ ورباهم على أن يغيروا مسار تلك العزة إلى العزة بالله ومنهجه وشرعه فهو حين سمعهم ينادي بعضهم بالأنصار ياللمهاجرين أجاهم: (دعوها فإنها خبيثة)<sup>(٢)</sup> وقال

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خير مكة، حديث رقم (٣٠٢١)، ص ٥٤٢، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما يُنهى من دعوى الجاهلية، حديث رقم (٣٥١٩)، ص

(ماهذا، دعوى أهل الجاهلية ؟) <sup>(١)</sup> ، فلا اعتزاز إلا بالإسلام ولا انتماء إلا إلى الإسلام. ولأن هذا الدين هو دين العزة والرفعة كان متسقاً مع الفطرة البشرية فإن من مهمة رجال الدعوة أن يحسنوا عرض هذا الدين للبشر من جهة صفاتهم وأساليبهم في عرض الدعوة، فليس أحد من الناس يعلم بهذه الدعوة وعزتها إلا وأحب أن يستجيب لها ويطيع أوامرها ما لم تعرض له عوارض الحسد والكبر ونحوها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (٢٥٨٤)، ص

## المطلب السابع

## الولاء والبراء

نهى الله - عز وجل - المؤمنين عن مولاة الكافرين بالحبّة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ومن يفعل ذلك فقد سلك الطريق الخاطئ وانحرف عن الطريق الصحيح وذلك الوعيد الشديد الذي ورد في قوله عز وجل: [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ]<sup>(٢)</sup> أي أنه قد انقطع عن الله وليس له في دين الله نصيب لأن مولاة الكافرين لا يجتمع مع الإيمان، وأن هذه العقيدة، أعني عقيدة الولاء والبراء من أبرز آثار العزة على المؤمنين بصفة عامة والدعاة بصفة خاصة، إذا يجب عليهم أن يظهروا العزة على الكافرين والذلة وخفض الجناح للمؤمنين، فعلى الداعية أن يُري الكافر من نفسه عزة وقوة واستعلاء، لا كبراً ولا بطراً، بل إظهاراً لقوة هذا الدين وعزته، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فهم رحماء في ما بينهم إلا أنهم أشداء على الكفار وأقوياء في مواجهتهم، وفي مقابل ذلك يكون من أعتز بالكفار من يهود أو نصارى أو تقرب منهم أو فضلهم على إخوانه المؤمنين به صفة من صفات النفاق، لقوله

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَهُمْ  
عِنْدَهُمْ  
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١).

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

## المطلب الثامن

## فتح باب الأمل أمام المدعو بالتوبة

لقد أثنى الله على التائب من الذنب في قوله - تعالى - : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> ، ويقول - عزوجل - : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup> ، كم قد حث على التوبة وشجع عليها بقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، ولقد كانت التوبة والرجوع إلى الحق من أجل الأخلاق التي دعا إليها الإسلام ، بل وحث على الالتزام بها ، فالمسلم دائم الخطأ ، ولهذا فهو بحاجة مستمرة إلى تجديد تلك التوبة ، والرجوع إلى الحق . ولقد كان فتح باب الأمل أمام المدعو بالتوبة من آثار العزة في الدعوة ، فالتوبة من آثار العزة على المدعو ، لأن الإنسان ضعيف معرض للخطأ في كل زمان ومكان ، حيث يقول الرسول ﷺ : (كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون)<sup>(٤)</sup> ، والتوبة هي الطريق الوحيد للرجوع والاستقامة والتقوى ، ومن ثم إظهار المدعو لعزته بدينه ، لأنه لو لم يفتح الله أمام خلقه هذا الباب لأدى ذلك لعدم نجاة أحد منهم ، كما يؤدي أيضاً إلى الطغيان والتجبر حين ييأس العصاة من التوبة والمغفرة ، فعلى الدعاة ألا ييأسوا مدعويهم من الصلاح والهدى ، و لا

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ٤٩، حديث رقم

(٢٤٩٩)، ص ٥٦٣، قال الألباني: حديث حسن.

أن يقنطوهم باستحالة رجوعهم للاستقامة التي هي الطريق لعزتهم بدينهم، كما ينبغي أن يكونوا شديدي الحرص على هداية مدعويهم مهما بدر منهم من تحد وعناد ومناصفة بالعداء القولي أو الفعلي تجاه الدعوة و الدعاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الاسلامية لعبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط ١:

## المطلب التاسع

## الستر على المدعو عند الخطأ

كان منهج السلف في الدعوة اللطف في النصيحة لا القبح في الفضيحة، فينبغي للداعية أن يستر على المدعو، لأن في الستر نوع من تأليف قلبه والحفاظ على عزته وهيبته عند الآخرين، كما أن المدعو أولى الناس بالستر حتى يقبل على استحابة الدعوة ويقبل عن تلك المعصية.

فإن وقعت المعصية و رأى الداعية وجوب بيانها والنهي عنها، فيكون ذلك بلطيف النصيحة، دون تهجم أو تجريح أو قدح أو ذم أو استنقاص أو هتك ستر، لأن المقصود هو إخماد ذلك المنكر والحول دون انتشاره في المجتمع وليس العدوان على المدعو أو ذمه أو التقليل من شأنه، وفي مثل هذا كان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا أو يقولون كذا وكذا ومنه ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: النبي ﷺ : (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم) فاشتد قوله في ذلك حتى قال: (لينتهين عن ذلك قوم أو لتخطفن أبصارهم)<sup>(١)</sup>، ويقول ﷺ (لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>.

فالداعية إلى الله أخ للمدعويين، يحفظ عليهم حياتهم وأسرارهم، ويصلح من شأنهم، ولا يهتك أسرارهم، فيهندي بهدي رسول الله - ﷺ - وذلك بأن يحافظ على عزة مدعويه وكبريائهم فيغض الطرف عن زلات مدعويه ويحفظ أعراضهم، لأن البوح بأسرارهم أمام

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، حديث رقم (٧٥٠)، ص ١٤٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله - تعالى - عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة، حديث رقم (٢٥٩٠)، ص ١٢٤٨.



العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى د. أمل بنت محمد العجلان

الناس ، وإطلاع الآخرين على عوراتهم من التشهير والفضيحة الذي تأباه النفوس وتنفر منه الطباع<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الأسس العلمية للمغذوي، ص ٥٧٢.



## المطلب العاشر

## الحوار مع المدعو

إن من يُعمل نظره في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة سيجد أن الأساس الذي تُبنى عليه الدعوة هو الحوار وليس الإجبار، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup>، ولا أدل على أن الحوار من أبرز أساليب دعوة المدعو من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup> فهذه الآية تصرح بأن الحوار أو المجادلة بالتي هي أحسن قد تكون في مواطن كثيرة هي الأسلوب الأمثل والسبيل الأنجح لاستجابة المدعو، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في حواراته مع مشركي مكة أو اليهود والمنافقين الموجودين في المدينة، بل لقد كان الحوار سنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم. والحوار مع المدعو أحد آثار العزة على الدعوة، إذ به احترام للمدعو واعتراف بقدره، كما أن فيه تقدير لعزة المدعو واعتراف بكيانه واحترام لوجهة نظره ومناقشتها وتفنيدها بالأدلة الشرعية فيصحح الخطأ وتقوم المسيرة.

فالاختلاف بين البشر أمر فطري وظاهرة صحية، ثم أن المدعو بحوار الدعاة معه يعرف تقديرهم واحترامهم له، فيزول ما به من تعصب وحمية، فيقبل على الحق الذي لديهم، ويتقبل أن يمد يده فيمسك بأيدي هؤلاء الدعاة ليوصلوه إلى الطريق القويم وعندها يدرك النقص الذي لديه ويتدارك الخطأ.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

كما أن في الحوار عزة للدعوة في حد ذاتها إذ ان في ذلك الحوار بيان لمسائلها الدقيقة وتوضيح لمقاصدها الصحيحة التي ليس فيها مجال للخطأ أو الاجتهادات البشرية الخاطئة.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام والصلوات على النبي الأُمي إمام المرسلين وسلم تسليماً كثيراً، فله الحمد والمنة أولاً وآخراً على إتمام هذا البحث. فبدأت الدراسة بمقدمة والتي لا غنى للباحث عنها، وتضمنت العناصر الرئيسية الواجب توافرها في البحث العلمي، ثم تناولت أربعة مباحث كالتالي:

فالمبحث الأول تناول مشروعية العزة، وقد تبين ذلك من خلال منزلة العزة في الإسلام ثم طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة، والمبحث الثاني في أنواع العزة وقد تم تقسيمها لأنواع العزة من حيث المصدر، والمعنى، وأخيراً المدح، والذم، وكان المبحث الثالث في ضوابط العزة في الدعوة، أما المبحث الرابع فقد كان في آثار العزة على الدعوة.

وإذا بلغ هذا البحث نهايته فإنه من المناسب أن أذكر أهم النتائج:

– مما يدل على منزلة العزة في الإسلام ارتباطها باسم من أسماء الله الحسنى وكانت صفة للقرآن وكثرة ورودها في القرآن والسنة.

– جاءت طرق كثيرة في الشرع لتقرير حقيقة العزة كأسلوب النهي الصريح عن المهانة والذل وأسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي للعزة وما يستوجبها .

– يجب أن نعتمد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة .

– للعزة عدة آثار على الدعوة منها كالوضوح ومشروعية الهجرة عند الحاجة إليها والحوار مع المدعو والستر عليه.

وأما أهم التوصيات هي:

– أوصي نفسي وجميع أهل الدعوة بتقوى الله في السر والعلن فهي وصية الأولين

والآخرين.

– توصي الباحثة المتخصصين في علم الدعوة وطلاب العلم في كليات وأقسام الدعوة الذين يدرسون في مرحلة الماجستير والدكتوراه بأن يقوموا بالبحث والتوسع في الكتابة بالجوانب النفسية للدعاة، وأن يهتموا كثيرا بالكتابة في علم النفس الدعوي

– توصي الباحثة كليات وأقسام الدعوة بمزيد عناية بتحرير الألفاظ الشرعية وإيضاح معانيها.

## المصادر والمراجع:

بعد كتاب الله - تعالى - (القران الكريم) يكون ترتيبها في المحجائية على النحو

التالي:

- أحكام أهل الذمة لابن القيم، دار الحديث، القاهرة .
- أساليب ومنهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لأحمد الصباب، دار البلاد، جدة، ط ٣ : ١٤١٩ هـ
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبدالرحيم المغذوي ، دار الحضارة، الرياض، ط ١ : ١٤٢٩ هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ
- الإيجابية في حياة الداعية لمحمد أحمد الراشد ، دار البشير، جدة.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،دار مكتبة الحياة ، بيروت.
- تأليف القلوب في الدعوة لعبدالعزيز الروضان : ١٤١٩ هـ ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام.
- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، لعبد رب النبي أبو السعود، دار التوفيق ، القاهرة، ط ١: ١٤١٢ هـ.
- الترغيب والترهيب للمنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، دار هجر، مصر ، ط ١، ١٤٢٢ هـ .
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لمحمد الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣ : ١٤١١ هـ.
- روضة الأنوار لصفي الرحمن المبار كفوري، مكتبة دار السلام، الرياض، ط ٣، ١٤٢٤ هـ.

- زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣ : ١٤٠٦هـ.
- سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف ، الرياض، ط ٢ : ١٤٢٩ هـ.
- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٠هـ.
- سنن الترمذي ، مكتبة المعارف ، الرياض، ط ١.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، الرسالة، ط ١١ ، ١٤١٧ هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام ، مؤسسة علوم القرآن ، ج ١
- شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة عبدالعزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، دار الوطن ، الرياض : ١٤٢٦هـ.
- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٥ ، ١٤٢٨ هـ .
- صحيح مسلم، دار الأرقم، بيروت، ط ١ ، ١٤١٩هـ.
- طبقات المفسرين لأبي فضل السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، دار ابن كثير، دمشق .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث ، القاهرة، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ .
- الفتور في حياة الداعية لعثمان محمد دفع الله ، مجلة معالم الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان.
- فقه السيرة لزيد الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط ٣ ، ١٤٢٨هـ.
- فوات الوفيات والنيل عليها، محمد شاكر الكنتي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣ م .
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط ١ ، بيروت.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة: ١٤١٦ هـ .
- محاسن التأويل للقاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ : ١٩٧٨ م
- مدارج السالكين لابن القيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية للدكتور صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ
- مشكلة الغلو في الدين لعبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١ : ١٤١٩ هـ
- المعجم الكبير للطبراني، دار الراجية ، الرياض.
- معجم المؤلفين لعمر كحالة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق، القاهرة.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لصالح بن حميد وآخرين ، دار الوسيلة ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ
- نزهة الأعين النواظر لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ.





البحث رقم (٢)

مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه  
جائحة كورونا

إعداد

د. عبدالعزيز بن محمد بن عبد الرحمن الحمدان  
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية  
المعاصرة في كلية العلوم والدراسات الإنسانية  
جامعة المجمعة



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، أما بعد<sup>(٤)</sup>:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكل ما يتوافق مع حياة الناس في كل زمان ومكان، كما أكدت الشريعة الإسلامية على المحافظة على حياة الناس بشتى الطرق من خلال المحافظة على الضرورات الخمس التي فيها سعادة للبشرية،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) انظر: سنن ابن ماجه: ١/٦٠٩، رقم (١٨٩٢)، وتسمي هذه الخطبة عند العلماء: خطبة الحاجة، وصححه الألباني.

فحفظ الدين يعد من أسس بناء المجتمعات، وحفظ النفس التي تتقلب بنعم الله وَعَلَىٰ المستمرة من حيث المحافظة عليها وعلى كل ما يؤثر فيها من الأمراض وغيرها، وحفظ النسل من كل ما يعتدي عليها من الأمور المحرمة ويؤثر فيها، وحفظ المال الذي يسعد به الإنسان في حياته، ويُسخره للعون في الحلال وترك ما يشوبه من المحرمات، وحفظ العقل الذي هو مناط التكليف من كل شيء يؤثر عليه ويضعفه، وهذه الضرورات لا شك أنها تُبنى عليها كثير من الأحكام الشرعية التي تعد الصلة بين العبد وربه، ولذا فقد أولى الشارع الحكيم الاهتمام بكل أفراد المجتمع بما يكفل للناس حياتهم، وحفظ حقوقهم الدينية والدنيوية، ويضبط معاشهم وصحتهم وواجباتهم المنوطة بهم، وهذا ما لا نجده في الشرائع الأخرى، وهو الذي سعى إليه الدعاة إلى الله وَعَلَىٰ في توعية الناس عامة والمسلمين خاصة لتحذيرهم، وتوعيتهم، وإنقاذهم من هذه الجائحة الخطيرة التي غزت المسلمين دون سابق علم بها وأصبحت تفتك ببعض أفراد المجتمعات دون وجود أي دواء طبي؛ إلا دواء الشريعة الذي يزرع الطمأنينة الإيمانية في نفوس البشر، ولذا كان من اهتمام الدعاة إلى الله وَعَلَىٰ تبصير الناس، وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير بكل أنواعه، وتحذيرهم وإنقاذهم من الشر بكل أنواعه والسعي في دلالة الناس على كل ما يحفظ حياتهم ويسعد معاشتهم ويلين قلوبهم بكل قول حسن، ولذا كان الدعاة إلى الله وَعَلَىٰ هم أحسن الناس قولاً في دعوتهم في الرخاء والشدة وفي الصحة

والسقم يقول تعالى مادحاً لهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الأمور الواجبة التي يقوم بها الدعوة إلى الله ﷻ تبصير الناس وتوعيتهم حين حلول الوباء والأمراض المتفشية في المجتمع، وتعليقهم بالله ﷻ، والدعوة إلى استخدام جميع الوسائل الوقائية الشرعية، والتقيد بالأنظمة والتعليمات، وبما ينشر من الوسائل الوقائية الطبية، ومشاركة الجهات المعنية في بث الطمأنينة في نفوس المجتمع، ومساندة وزارة الصحة ممثلة في الأطباء والطاقم الصحي الذين يبذلون نفوسهم وأوقاتهم ويعملون على قدم وساق من أجل حماية الناس من تلكم الأمراض.

### أولاً: مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في أن هذه الجائحة (كورونا) لها أحكامها الشرعية الخاصة المستجدة التي يجب بيانها من خلال كيفية أن هذه المحنة فيها من المنح الشبي الكثير، والتي يظهر الاستفادة منها أثناء هذه الجائحة، وذلك من خلال الرخص الشرعية في أبواب الفقه ومن حيث بيان مفهوم هذه الجائحة الشرعي، ووظيفة الدعوة إلى الله ﷻ في تبين الضوابط الشرعية، والأعذار المبيحة للرخصة والأحكام المتعلقة بأركان الإسلام وشؤون حياة المجتمع.

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

## ثانياً أهمية البحث:

١. تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال بيان وظيفة الدعاة إلى الله ﷻ في إظهار الأحكام الشرعية المترتبة على هذه الجائحة.
٢. وتأتي الأهمية في بيان صلاحية الشريعة في كل زمان ومكان من خلال القواعد الشرعية الثابتة.
٣. تظهر الأهمية من خلال قيام الدعاة في إبراز الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه الجائحة المستجدة ومواكبتها للواقع.
٤. وتكمن الأهمية في قيام الدعاة إلى الله ﷻ في وضع العلاج، والوقاية المناسبة من خلال الأحكام الشرعية في المسائل المستجدة التي لم يسبق بحثها بشكل خاص.
٥. وتتجلى أهمية هذه الدراسة في بيان مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى إلى إظهار استيعاب الشريعة الإسلامية لكل النوازل والمستجدات على مر العصور.
٦. وتنبثق أهمية هذه الدراسة من خلال بيان الدعاة إلى الله تعالى إلى الأحكام الشرعية المهمة المتعلقة بأركان الإسلام، وشؤون حياة المسلمين.

## ثالثاً: أسباب اختيار البحث:

١. عدم وجود دراسة علمية تختص بمسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا.

٢. الوقوف على وظيفة الدعاة إلى الله ﷺ ومسؤوليتهم في توعية المجتمع فيما يخص جائحة كورونا.
٣. بيان أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان في ظل وجود الأزمات، وفي زمن وجود جائحة كورونا.
٤. بيان وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في توضيح الأحكام الشرعية في الوقاية من جائحة كورونا.
٥. بيان وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في التأصيل الشرعي للجائحة كورونا وفق الضوابط الشرعية.

#### رابعاً: أهداف البحث:

١. التعرف على وظيفة الدعاة إلى الله تعالى ومسؤوليتهم تجاه جائحة كورونا.
٢. التعرف على وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في بيان الأحكام الشرعية الخاصة لجائحة كورونا المستجدة وفق الكتاب والسنة.
٣. التعرف على مجالات الدعاة في بيان طرق معالجة الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات وشؤون الحياة في ظروف جائحة كورونا.
٤. التعرف على التأصيل الشرعي لبيان مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا المستجدة.
٥. التعرف على استيعاب الشريعة لكل النوازل والمستجدات على مر العصور.

٦. التعرف على أساليب ووسائل الدعوة إلى الله تعالى المستخدمة وفق القرآن الكريم، منذ فجر التاريخ على يد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وستظل هي الأداة في توعية وتوجيه المجتمع وتبليغ الدعوة إلى تعالى إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: الدراسات السابقة:

هناك أبحاث تناولت المسؤولية الدعوية تجاه جائحة كورونا، ومن أبرزها: المسؤولية الدعوية تجاه الأمراض المعدية كورونا أمودجاً، للمؤلف: رائد بن فؤاد باجوري، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢١م، لكنه لم يُفصل في تناول أبعادها الإرشادية والوقائية، والفردية والمجتمعية والحكومية. ولم أقف على أي دراسة تأصيلية تفصيلية متخصصة تبين مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا بشكل أعم وأدق، وبعد البحث والتقصي وجدت بعض الأبحاث الطبية المنشورة عن منظمة الصحة العالمية في موقعها الإلكتروني، وحضرت المؤتمر المتعلق ببعض الجوانب الفقهية وأصول الفقه في كلية الشريعة في دولة الكويت في يومي ٢٩-٣٠/٥/٢٠٢٠م، حيث وقفت على أوراق هذا المؤتمر تحديداً، ويتفق البحث مع أوراق المؤتمر فيما يتعلق بتعريف جائحة كورونا حيث سوف يستفيد الباحث من ذلك في التعريف بمصطلحات البحث.

(١) وبذلك نفهم معنى كون المعجزة الخاتمة لنا نبينا محمد ﷺ (القرآن الكريم) المعجزة البيانية والتي يسعى الدعاء إلى الله ﷻ إلى الاستدلال بها في هذه الجائحة وطمأنة الناس بها.



## سادساً: منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والذي يعرف بأنه: "تتبع الجزئيات كلها، أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً"<sup>(١)</sup>، وذلك من خلال جمع المعلومات حول موضوع الدراسة وخلال استقراء مفهوم مصطلحات البحث، وأهميته، ومسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا، فطبيعة هذه الدراسة تقتضي استخدام المنهج العلمي هو الطريق المأمون للوصول إلى معرفة كل ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة.

## سابعاً: خطة البحث:

المقدمة، وتتضمن الآتي:

أولاً: مشكلة البحث.

ثانياً: أهمية الموضوع.

ثالثاً: أسباب اختياره.

رابعاً: أهداف البحث.

خامساً: الدراسات السابقة.

سادساً: منهج البحث.

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، ص ١٨٨.

سابعًا: خطة البحث.

**المبحث الأول: مفهوم مصطلحات البحث:**

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مفهوم الدعاة والدعوة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: مفهوم جائحة كورونا في اللغة والاصطلاح.

**المبحث الثاني: مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا:**

المطلب الأول: نشأة وبيان أهمية حقيقة وباء كورونا.

المطلب الثاني: مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا.

المطلب الثالث: وظيفة الدعاة في بيان طرق الوقاية الشرعية من الأمراض.

**المبحث الثالث: مسؤولية الدعاة الوقائية تجاه جائحة كورونا:**

**المطلب الأول: مسؤولية الدعاة الوقائية في المسائل الشرعية.**

أولاً: الأذان للصلاة المفروضة.

ثانيًا: أداء الصلاة المفروضة جماعة.

ثالثًا: إخراج الزكاة المفروضة.

رابعًا: الصيام.

خامسًا: ما يتعلق بالحج.

**المطلب الثاني: المسؤولية الدعوية المجتمعية في التوعية الوقائية**

**تجاه جائحة كورونا.**

أولاً: توعية الناس على الأخذ بتوجيهات وزارة الصحة.

ثانياً: توعية الناس على التداوي بالمشروع.

ثالثا: توعية الناس على النظافة.

رابعا: توعية الناس على العناية بالجسم.

**المبحث الرابع المسؤولية الوقائية الحكومية تجاه جائحة كورونا:**

المطلب الأول: مسؤولية السمع والطاعة لولي الأمر.

المطلب الثاني: المسؤولية الأمنية.

المطلب الثالث: مسؤولية وزارة التجارة.

المطلب الرابع: مسؤولية وزارة التعليم.

المطلب الخامس: مسؤولية هيئة كبار العلماء.

المطلب السادس: مسؤولية وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

المطلب السابع: وزارة العدل

المطلب الثامن: وزارة الصحة.

**الخاتمة:** وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول

### مفهوم مصطلحات البحث

#### المطلب الأول

#### مفهوم المسؤولية في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم المسؤولية في اللغة: مشتقة من الفعل الثلاثي: (سأل) يسأل

فهو مسؤول، والمسؤولية هي الاسم وتعني التبعية أي المطالبة، أو المؤاخذة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: مفهوم المسؤولية في الاصطلاح: هناك من عرفها بالمؤاخذة على

فعل أو قول، ومنهم من قال بأنها: تحمل الشخص نتائج تقصيره، ومنهم من

عرفها بأنها: التزام الشخص بالعمل المنوط به، ومنهم من عرفها بأنها: حالة

يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من هذا المفهوم هو الالتزام والتحمل بأي عمل يناط به المرء في هذه

الحياة وخصوصاً في الأمور التي تتعلق بحياة الناس ويكون الشخص منوطاً بها

وعالقا بذمته أداءها على أحسن وأكمل وجه، وخصوصاً في هذا الوقت الذي

ظهر فيه هذا الوباء فإن المسؤولية تكون عظيمة، وبيان الحقيقة وتوعية الناس

تكون أعظم لمن تولى هذه المسؤولية.

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ١/١٣٣.

(٢) انظر المسؤولية الخلقية، د. أحمد الخليبي، ص ٦.

## المطلب الثاني

## مفهوم الدعاة والدعوة في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم الدعاة اللغوي: لفظ (دعاة) مأخوذ من الفعل دعا، يدعو، ادع، ومصدر دعاء، دعوة، ومدعاة، دعوى فهو داع، والمفعول مدعو، ودعي. ودعا إلى الأمر: حث على اعتقاده، ونادى به، إذا سمح لكم بالدخول البيت. ودعت الحاجة إلى ذلك: اقتضت، تطلبت. وقيل دعاة: اسم، ودعاة جمع داعي، وقيل جمع داع، وقيل جمع داعية، وجمع مدعاة، والمدعاة هي الدعوة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: مفهوم الدعاة في الاصطلاح: قيل هم القائمون بالدعوة، وقيل: المبلغ للإسلام والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا يتبين أن مسؤولية الدعاة عظيمة في ظل وجود هذه الجائحة وفي تبليغ الناس ما ينفعهم والتحذير عما يضرهم.

ثالثاً: مفهوم الدعوة اللغوي: لها معان متعددة كلها تدور حول (الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمع، والدعاء، والاستمالة). فالدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعو، دعوة.

(١) انظر المرجع السابق، لسان العرب، ابن منظور ١/٢٤٠.

(٢) انظر المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتوح البيانوني، ص ٤١، بتصرف.

والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء، وبكسر الدال: الدعوة في النسب. والدعي: من تبنيته، ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء والأدعية<sup>(١)</sup>.

رابعاً: مفهوم الدعوة الاصطلاحي: فكلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تتضمن: الإسلام أو الرسالة، أو على عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد<sup>(٢)</sup>.

وقيل الدعوة بمعنى النشر والبلاغ: وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد المسلم ربه ﷻ كأنه يراه<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إن الدعوة إلى الله: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة<sup>(٤)</sup>. وقيل: إن الدعوة إلى الله: إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، الجوهري، ٦/٢٣٣٦-٢٣٣٨، ومختار الصحاح، الرازي، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٠-٢١.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥/١٥٧-١٥٨.

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٧.

(٥) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ٢١.

وقيل الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة: أي أنها الدين الذي بعث به الله ﷺ الرسل جميعاً، وتجدد على يد محمد ﷺ خاتم الرسل، كاملاً وافياً لإصلاح الدين والدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

وقيل بأن معنى الدعوة إلى الله: نداء الحق للخلق، ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله ﷻ غير مشركين به، متبعين غير مبتدعين<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا تجتمع المسؤولية والدعاة والدعوة لبيان الحاجة الماسة لتوعية وتوجيه النصيحة لعلاج النفوس، وبيان العلاج الوقائي في التحذير من كل ما هو ضار للناس، وفق الأحكام الشرعية.

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، الشيخ محمد الراوي، ص ٣٩، بتصرف.

(٢) انظر: التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، د. محمد الأحمد أبو النور، ص ١٠.

## المطلب الثالث

### مفهوم جائحة كورونا في اللغة والاصطلاح

أولاً: المفهوم العام للفظ جائحة:

اسم فاعل من جاح، والجمع منها جائحات وجوائح يقال اصابته جائحه: أو بليه أو تهلكة أو داهية، ويقال داهية: مصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله. ويقال سنة جائحة: أي جدبة أو غبراء أو قاحلة. والمصدر اجتياح: يقال اجتاح البلاد: بمعنى دخولها غصباً وقهراً، واكتساحاً، ويقال المراد بالجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: مفهوم كورونا في اللغة:

هو مرض معد من سلالة فيروسات كورونا (كوفيد- ١٩)<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا فإن معنى الجائحة يوضح الشدة والنازلة التي تحل على كل شيء يخص المرء في نفسه وحياته.

ثالثاً: مفهوم جائحة عند أهل الفقه: بأنه ما أذهب الثمر أو بعضه بآفة سماوية<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣١/٢.

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية <https://www.who.int/ar>

(٣) انظر: المعجم الوسيط، ص ١٤٥.



أمر بوضع الجوائح لحديث جابر، «أن النبي ﷺ أمر بوضع الجوائح»، والمعنى انه ﷺ نهى عن أخذ صدقة مما تبقى من المحصول المصاب بآفة سماوية<sup>(١)</sup>.

رابعاً: مفهوم كورونا في الاصطلاح: بعد البحث والتحري لم أعثر على مفهوم خاص، لأن اللفظ في أصله غير عربي، ولكن عرّفته منظمة الصحة العالمية بأن: علم فيروسات كورونا هو سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس)، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس) فيروس كورونا هو اختصاراً كوفيد-١٩، ويُعرف أيضاً باسم المرض التنفسي الحاد المرتبط بفيروس كورونا المستجد ٢٠١٩، وقيل: هو مرض تنفسي إنتاني حيواني المنشأ، يُسببه فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: ١١٩١/٣، رقم (١٥٥٤).

(٢) انظر موقع منظمة الصحة العالمية. <https://www.who.int/ar>

وقيل هي: الأمراض التي تنتج من الإصابة بعدوى بعامل مسبب، يمكن انتقاله من إنسان لإنسان، أو من إنسان لحيوان، أو من حيوان لحيوان، أو من البيئة للإنسان والحيوان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة<sup>(١)</sup>.

وعرفها بعض الباحثين بأنها: "كل مرض ينتقل من كائن إلى آخر بطريق ميكروبي"<sup>(٢)</sup>، ويدخل الميكروب نفسه إلى جسم إنسان آخر فيحمل المرض دون أن تظهر عليه أعراضه، ويدخل إلى جسم ثالث فتحصل له بسبب دخوله مناعة تقاوم الميكروب وتقضي عليه، وهذا كله بيد الله ﷻ وحده، فهو النافع والضار، وهو الذي إن أذن للميكروب أعدى، وإن لم يأذن لم يُعد، بل يكون مفيداً للجسم<sup>(٣)</sup>.

**وعليه فإن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ تتمثل في أمرين:**

**أولاً:** تحمل الدعاة هذه الأمانة في توعية وتوجيه الناس، وتبليغهم خطر هذا المرض وطرق الوقاية الشرعية منه.

**ثانياً:** إن في تقصير الدعاة، وعدم القيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ للحفاظ على الأنفس والأموال تجاه جائحة مرض كورونا التي تنزل بالآمة وتفتك بها ينالهم نصيب من الإثم، كما يجب عليهم أن يوضحون للمدعوين الدليل الشرعي من الكتاب والسنة، في مثل هذه الأحوال من الأخذ بالاحتياطات والاحترازات

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية <https://www.who.int/ar>

(٢) جناية نقل الأمراض المعدية، أحمد آل طالب، ص ٣. بتصرف.

(٣) العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. محمد البار، ص ٢٦ بتصرف.

الشرعية والطبية، وماذا يجب أن يكونوا عليه من الوقاية وطرق الحفاظ على  
الأنفس والأموال التي تعد من ضروريات الحياة التي جاءت الشريعة الإسلامية  
بالمحافظة عليها.

### التعريف الإجرائي لهذه الدراسة:

هو تحمل الدعوة إلى الله ﷻ المسؤولية في توعية وتوجيه المدعوين وحث  
الطمأنينة لهم، وإنقاذهم، وتحذيرهم من خطر هذا الوباء المستجد بكافة الطرق  
الشرعية، واتخاذ الإجراءات الوقائية التي تحفظ عليهم حياتهم.

## المبحث الثاني

### مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا

#### المطلب الأول

##### نشأة وبيان أهمية حقيقة وباء كورونا

نشأة مرض كورونا الذي لم يكن يعرف في جميع دول العالم، بل لم يكن هناك أي علم بوجوده، وآثاره حيث بدأ بالظهور والانتشار في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر/ ٢٠١٩م<sup>(١)</sup>.

وقد انتشر هذا الداء وزاد انتشاره على غالبية دول العالم ، وأصبح يفتك بحياة البشرية رغم قيام بعض الدول بوضع الاحتياطات والاحترازات للحد من انتشار هذا المرض إلا أن بعض الدول لم تبالي ولم تضع له أهمية إلا بعد أن تفشى هذا الداء، وأصبح الأموات لديهم بالآلاف، وفقدت السيطرة عليه وأصبح يفتك فيهم كما أظهرت وسائل الاعلام، وأما البعض الآخر فقد أخذت بالاحتياطات اللازمة ووضعت الاحترازات مما قلل من انتشاره رغم وجوده، ولكن أصبح يلحظ أن الوفيات في ازدياد في جميع دول العالم بسبب تفشي هذا المرض، ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض<sup>(٢)</sup>.

(١) ومرض كورونا الذي صنف من قبل منظمة الصحة العالمية في أيام كتابة البحث عام ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية. <https://www.who.int/ar>

وتبرز أهمية وحقيقة هذا المرض بشكل ملفت من المعاناة التي تظهر لبعض الناس من خلال الأعراض التي تصيبهم في الحمى والإرهاق والسعال الجفاف، وما يعاني به بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال، وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجياً حتى تشتد حدة المرض لدى بعض الأشخاص وخصوصاً الذين يعانون من بعض الأمراض في صعوبة التنفس، وتزداد احتمالات الإصابة بهذا الفيروس في كبار السن، والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري وغيرها من الأمراض التي أصبحت تظهر لنا بين الفترة والأخرى من جراء هذا الفيروس.

إن وظيفة الدعاة تتلخص في توعية الناس وتوجيههم التوجيه الصحيح، خصوصاً عندما يداهم هذا الوباء، وما فيه من الخوف، والوساوس والهلع، فهم بحاجة ماسة إلى جرعات إيمانية تثبتهم وتقلل من هلعهم، وتزرع في نفوسهم الطمأنينة، وتبين لهم الأحكام الشرعية في مثل هذه الحالات وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التوكل على الله وَعَجَّلْ والأخذ بالأسباب الشرعية والنظامية، والاحترازمات الوقائية والعلاجية في الحد من انتشار هذا المرض.

## المطلب الثاني

### مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا

إن مسؤولية الدعاة عظيمة وتعظم في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الداء من خلال تبيين الحق للناس من خطر هذه الجائحة في هذا الوقت خصوصاً وقد أصبح هذا الداء يفتك بالصغير والكبير والذكر والأنثى والمسلم وغير المسلم، ولذا يسعى الدعاة إلى الله ﷻ في وضع بعض الاحترازات الشرعية الوقائية لهذا المرض من خلال ما يلي:

١. تنبيه المدعوين على عدم الدخول والخروج من المدينة الذي فيها المرض، والابتعاد عن الشخص المريض واستخدام جميع وسائل العلاج المناسب لهذا الداء.
٢. تنبيه المدعوين على تنظيف اليدين بالماء والصابون وفركهما لقتل الفيروسات.
٣. تنبيه المدعوين بوضع ما يمنع من انتشار الرشح للآخرين كالمناديل وغيرها.
٤. تنبيه المدعوين على الطهارة الكاملة والتباعد أثناء التواجد في الأماكن في جميع الأحوال.
٥. تنبيه المدعوين بعدم الخروج والاختلاط بالناس وخصوصاً في الأماكن المزدحمة العامة كالأسواق وغيرها.
٦. تنبيه المدعوين إلى عدم الاستماع إلى الوسائل الإعلامية التي تنشر الخوف والإرجاف والهلوع.

٧. تنبيه المدعوين على من لديه شيء من أعراض مرض الكورونا عليه أن يحجر على نفسه حتى يشفى من هذا المرض.
٨. تنبيه المدعوين على من لديه أعراض مرض كورونا الاتصال بالجهة المعنية وهي وزارة الصحة لكي يضعوا الدواء على الداء ويحمي نفسه والآخرين.
٩. تنبيه المدعوين على الاستماع إلى التحذيرات النظامية التي تصدرها بعض الجهات المعنية ذات الاختصاص.
١٠. تنبيه المدعوين على أخذ الحيلة والحذر من نقل هذا الفيروس للآخرين.
١١. تنبيه المدعوين على الأخذ بالتدابير الوقائية التي تصدر من جهات الاختصاص.
١٢. تنبيه المدعوين الأخذ بالتدابير الوقائية من مصدرها الأساسي الذي هو الأعلام بتفاصيل هذا الداء.
١٣. تنبيه المدعوين إلى التباعد الجسدي، ومنع التجمعات العائلية وغيرها.
١٤. تنبيه المدعوين على السمع والطاعة لولاة أمر هذه البلاد المباركة فيما يخص هذه الجائحة وغيرها<sup>(١)</sup>.

(١) وجميع هذه التوجيهات والتنبيهات تلخصت في الإجراءات التي أقرتها ونفذتها الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية، وكان للعلماء الدور البارز على المنابر وفي مختلف وسائل الإعلام في

## المطلب الثالث

### وظيفة الدعاة في بيان طرق الوقاية الشرعية من الأمراض

إن مسؤولية الدعاة تعني تحمل الأمانة في بيان الطرق الشرعية من قبل الدعاة إلى الله ﷻ في تقديم ما فيه سعادة ونجاة للبشرية، والقيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ تجاه هذا الجائحة من مرض كورونا التي نزلت بالأمم، وتفشت في جميع المجتمعات، وسمع بها الداني والقاصي وتضرر منها جميع المسلمين وغيرهم، لذا وجب على الدعاة إلى الله ﷻ أن يظهروا وظيفتهم الشرعية في توعية وتوجيه المدعوين، والمجتمع بشتى الوسائل الوقائية الشرعية وبث الطمأنينة في نفوس المدعوين من خلال الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة الذي تطمئن إليها النفوس، وتسلم بكل ما جاء فيها، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: حث الناس على التوكل الله ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ

جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق

الطير، تغدو خماسا وتروح بطانا»<sup>(٢)</sup>.

=التوعية بكل ذلك.

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ١/٣٣٢، رقم (٢٠٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن صحيح".



ثانياً: حث الناس على التعلق بالله ﷻ والالتجاء إليه ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول النبي ﷺ: «سبعة يظلمهن الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: حث الناس إلى أن الابتلاء سنة إلهية:

يقول الله ﷻ: ﴿وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
ويقول النبي ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: حث الناس على حسن الظن بالله ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾<sup>(٥)</sup>.  
وقال النبي ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٧١٥/٢، رقم (١٠٣١).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٤) أخرجه البخاري، ١١٤/١١٤، رقم (٥٦٤٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٦) أخرجه البخاري، ١٢١/٩، رقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم، ٢٠٦١/٤، رقم (٢٦٧٥).

خامسًا: حث الناس على زرع الطمأنينة في الناس:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ

اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: (البر ما سكنت إليه النفس وأطمأن إليه القلب)<sup>(٢)</sup>.

سادسًا: حث الناس على التوبة إلى الله ﷻ:

يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول النبي ﷺ في الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا عبائي، إنكم تخطئون

بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»<sup>(٤)</sup>.

سابعًا: حث الناس على عبادة الله وشكره:

يقول الله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٢٩/٢٧٩، رقم (١٧٧٤٣). وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٤/١٤٩٤، رقم (٢٥٧٧).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

ثامناً: حث الناس على الايمان بالقضاء والقدر:

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن يصيبه»<sup>(٢)</sup>.

تاسعاً: حث الناس على الاستغفار:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»<sup>(٤)</sup>.

عاشراً: حث الناس على الاستشفاء بالقرآن الكريم:

يقول الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٤٨٤، رقم (٢١٤٤).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٠٧٥/٤، رقم (٢٧٠٢).

يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿١﴾ .

ويقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك»<sup>(٢)</sup> .

الحادي عشر: حث الناس على الصبر:

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

قوله ﷻ: «لا يصيب المؤمن من مصيبة، حتى الشوكة، إلا قص بها من

خطاياها، أو كفر بها من خطاياها»<sup>(٤)</sup> .

الثاني عشر: حث الناس على السمع والطاعة لولي الأمر:

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ

فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢ .

(٢) أخرجه مسلم، ٤/١٧٢٧، رقم (٢٢٠٠) .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٥ .

(٤) أخرجه مسلم، ٤/١٩٩٢، رقم (٢٥٧٢) .

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»<sup>(١)</sup>.

### الثالث عشر: الأخذ بالأمر الاحترافية من الأذكار والأدعية:

**دعاء الخروج من المنزل:** قال ﷺ: «من قال -يعني- إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

**دعاء تحصين النفس:** قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء»<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم، ١٤٦٩/٣، رقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٧٧٩، رقم (٣٤٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وقال الألباني: = حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٧٦٩، رقم (٣٣٨٨).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي ص ٧٨١، رقم (٣٤٣٧).

ومن جوامع دعاء الأنبياء - عليهم السلام- ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup> حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سبب الأَسقام»<sup>(٣)</sup>.

الرابع عشر: تصحيح الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية في الاستدلال: فلذا نجد بعض الناس يتساهلون في الأخذ بالاحترازمات والاحتياطات فيضعون هذه الآية في الاستدلال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وهذا الاستدلال خاطئ وفي غير محله خصوصا في هذه الجائحة؛ لأن الأصل هو الأخذ بالأسباب وهذا لا يمنع بأن كل شيء مكتوب علينا في هذه الحياة ويلزم

(١) أخرجه البخاري، ٣٩/٦، رقم (٤٥٦٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود ص ٢٣٨، رقم (١٥٥٤).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥١.

الأخذ بسبل الوقاية مهما كانت، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى  
الْهَلَكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

## المبحث الثالث

### مسؤولية الدعاة الوقائية تجاه جائحة كورونا

المطلب الاول: مسؤولية الدعاة الوقائية في المسائل الشرعية.

أولاً: الأذان للصلاة المفروضة:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷺ تظهر في هذا الوقت لبيان تلك المسائل المتعلقة بالأذان، وطريقته تعليم المدعوين من المؤذنين عامة وأفراد المجتمع خاصة وتوجيههم وفق ما ذكره أهل العلم حتى يكونوا على علم بواقع شؤون حياتهم في هذه الجائحة من خلال بعض المسائل الفقهية، ومنها:

• (صلوا في رحالكم أو بيوتكم أو في الرحال: متى يقال وأين

موضعها في الأذان وكم يقولها وماذا يرد السامع؟):

فقد ثبت في الصحيحين من طريق عبيد الله رضي الله عنه قال حدثني نافع بن عمر رضي الله عنهما: «أذن ابن عمر في ليلة باردة، ثم قال: صلوا في رحالكم، فأخبرنا أن رسول الله ﷺ كان يأمر مؤذنا يؤذن، ثم يقول على إثره: «ألا صلوا في الرحال» في الليلة الباردة، أو المطيرة في السفر»<sup>(١)</sup>، فقلت هذا هو الموطن الأول يكون بعد الانتهاء من الأذان، والموطن الثاني: ما ثبت عند عبدالرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أن عمرو بن أوس روى أن رجلاً من ثقيف أخبره أنه سمع مؤذن النبي ﷺ في ليلة مطيرة يقول: «حي على الصلاة حي على

(١) أخرجه البخاري، ١/١٢٩، رقم (٦٣٢)، وأخرجه مسلم، ١/٤٨٤، رقم (٦٩٧).



الفلاح صلوا في رحالكم»<sup>(١)</sup>، فيكون هذا الموطن بعد قول حي على الصلاة حي على الفلاح، وقد نص الإمام الشافعي -رحمه الله- في كتابه "الأم" على جواز كلا الأمرين، ولكن كونه بعد الأذان أحسن ليظل الأذان على موضعه ونظامه<sup>(٢)</sup>، وأيضا هو رأي العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-.

• (هل يقولها مرة أو مرتين؟):

ورد هذا (مرة) وورد (مرتين) وكلاهما في الصحيح.

• (ماذا يقول السامع إذا قال المؤذن: صلوا في رحالكم أو

صلوا في بيوتكم أو في الرحال):

أن يقول السامع قياساً عند حي على الصلاة حي على الفلاح: (لا حول ولا قوة الا بالله)، وهذا ما أكده الشيخ زكريا الأنصاري -رحمه الله-<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أداء الصلاة المفروضة جماعة:

إن المسؤولية على الدعوة إلى الله ﷻ في بيان هذا الركن العظيم أمر واجب وخصوصاً فيما صدر من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية حال انتشار هذا الوباء من منع إقامة الجماعة والجمعة للصلوات في المساجد، والاكتفاء بصلاتها في البيوت بعد استقراء نصوص الشريعة الإسلامية ومقاصدها وقواعدها

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ١/٥٠١، رقم (١٩٢٥) وصححه الألباني، الإرواء، ٢/٣٤١.

٣٤٢.

(٢) انظر: مسند الإمام الشافعي، ١/١٠٩.

(٣) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، ١/١٣٠.

وكلام أهل العلم في هذه المسألة وبموجب قرارها رقم (٢٤٦) في ٢٢ / ٧ / ١٤٤١هـ في دورتها الاستثنائية الخامسة والعشرين المنعقدة في مدينة الرياض، فإن هيئة كبار العلماء تبين ما يلي:

### • حرمة صلاة الجماعة والجمعة في ظل هذه الجائحة:

١. يحرم على المصاب شهود الجمعة والجماعة لقوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»<sup>(١)</sup> ولقوله ﷺ «إذا سمعت الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منه»<sup>(٢)</sup>.
٢. من قررت عليه جهة الاختصاص إجراءات العزل فإن الواجب عليه الالتزام بذلك، وترك شهود صلاة الجماعة والجمعة، ويصلي الصلوات في بيته أو موطن عزله، لما رواه الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ إنا قد بايعناك فارجع»<sup>(٣)</sup>.
٣. من خشي أن يتضرر أو يضر غيره فيرخص له في عدم شهود الجماعة والجمعة لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(٤)</sup>، وفي كل ما ذكر إذا لم يشهد الجمعة فإنه يصليها ظهراً أربع ركعات.

(١) أخرجه مسلم، ١٧٤٣/٤، رقم (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري، ١٣٠/٧، رقم (٥٧٢٩).

(٣) أخرجه مسلم، ١٧٥٢/٤، رقم (٢٢٣١).

(٤) سنن ابن ماجه، ٤٣٠/٣، رقم (٢٣٤٠)، وانظر: القواعد الفقهية الكبرى، أ. د. صالح بن غانم

### • الصلاة على الميت في ظل هذه الجائحة:

إن الله عَلَّمَ شرع صلاة الميت تكريماً للمسلم، وقد أثبت الشارع الحكيم أن هذا من حق المسلم على المسلم كما ثبت عن النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست ..... وذكر منها: وإذا مات فأتبعه»<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن الصلاة على الميت حكمها فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وبسبب هذه الجائحة فقد وجهت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنع إقامة الصلاة في المساجد والاكْتفاء بالصلاة على الأموات في المقابر فقط، وهذا من الاحتياطات والاحترازمات الواجبة للحفاظ على الأنفس ومن انتشار هذا الوباء وتفشيهِ بين أفراد المجتمع.

### • صلاة العيدين في ظل هذه الجائحة:

إن صلاة العيدين من شعائر هذا الدين وهي فرض كفاية على القول الراجح وهو قول علماء هذه البلاد وفقهم الله، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين إلا أنه في ظل هذه الجائحة وبسبب قفل المساجد والمصليات فإنه يجوز الصلاة في البيوت بدون خطبة بعدها وهذا قياس على من فاتته صلاة العيد وأحب قضاءها<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم، ١٧٠٥/٤، رقم (٢١٦٢).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ٣٠٥/٣.

ثالثاً: إخراج الزكاة المفروضة: أي تقديم الزكاة وتأخيرها في ظل هذه الجائحة، و صرفها للجهات الرسمية:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ تظهر من خلال بيان الأحكام الشرعية لهذا الركن العظيم وما يجب أن يبين للمدعوين فيما يخص الزكاة، ومسائل جواز تعجيلها لعام أو عامين مع اكتمال الشروط الموجبة للزكاة أو جواز تأخيرها بشروط ضيقه ذكرها أهل العلم منها تعذر الوصول إلى المال حقيقة أو حكماً، أو القدرة على تحويله للمستحق ويقدر بقدره وبأقل مدة ممكنة بسبب جائحة كورونا، أو جواز الصرف من الزكاة في تكاليف علاج من أصيب بمرض كورونا إذا كان فقيراً فيعطى بقدر الحاجة إذا لم تستطع الدولة دفع تكاليف علاج ، ومثله ابن السبيل المصاب بكورونا، ويجوز صرف الزكاة مباشرة للجهات الرسمية، وهي تقوم بدورها في صرفها على أهل الزكاة الذين ذكرهم الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

رابعاً: الصيام أثناء الجائحة:

إن المسؤولية على الدعاة إلى الله ﷻ تظهر في واجب توعية المسلمين فيما يخص من يجب عليه الصيام؟ وهم عموم المسلمين ممن توفرت فيهم الشروط التي

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

ذكرها أهل العلم من الإسلام والبلوغ والعقل والقدرة والصحة والإقامة، وجواز فطر المريض المصاب بكورونا أو غيره بحسب العذر الذي يبيح له الفطر باستشارة طبيب مسلم كفء ثقة، كما لا يجوز شرعا أن يفطر الطبيب المعالج لمرض فيروس كورونا في نهار رمضان إلا إذا وجد مقتضى شرعي يبيح له الفطر لورود الأدلة الشرعية في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

#### خامسًا: الحج والعمرة أثناء الجائحة:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷺ في تبين حقيقة هذا الركن العظيم تظهر واضحة من خلال وجوب الحج لمن توافرت فيه الشروط الشرعية، من القدرة المالية والبدنية والاستطاعة من وجود الزاد والراحلة، ويسمح له من قبل الجهات الرسمية بمنح التصريح لأداء مناسك الحج والعمرة، ولكن بسبب ظهور هذه الجائحة ولمنع انتشار هذا المرض، ولما يترتب على المخالطة وعدم القدرة على التباعد عند أداء مناسك الحج والعمرة من أضرار تتلخص في انتشار الوباء، فقد صدر بيان من وزارة الداخلية بين فيه حرص المملكة العربية السعودية على دعم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

الجهود العالمية والمنظمات الدولية لوقف انتشار فيروس كورونا فقد تم تعليق الدخول للعمرة لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى هذا فإن استمر الوضع فإن مناسك الحج يكون تبعا للأمر السابق في المنع فيسقط وجوب الحج إذا خشي من انتشار العدوى بهذا المرض لعدم توفر حينئذ شرط الاستطاعة، ويجوز إيقاف التصريح بالحج أو العمرة لمدة وجود هذا المرض أو دعت الحالة الصحية لذلك، مع أن الحج باقي في ذمة من لم يحج وباقي أيضا بأقل عدد تتحقق فيه فرضية هذه الشعيرة بما لا يؤدي إلى تفشي هذا المرض، ولذا فإن على الدعوة إلى الله ﷻ أن يبنوا حقيقة ذلك وفق الأدلة الشرعية في ضوء الكتاب والسنة، كما دل على ذلك في كتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﷻ حينما سئل عن أركان الإسلام في حديث جبريل، فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن مسؤولية الدعوة إلى الله ﷻ يجب عليهم أن يبينوا للناس هذه المسائل الشرعية التي تخص أمور دينهم وخصوصا في هذه الجائحة حتى يكونوا على علم في كيفية أداء عبادتهم والتقرب إلى الله ﷻ على الوجه الشرعي.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٣٦/١، رقم (٨).

## المطلب الثاني: المسؤولية الدعوية المجتمعية في التوعية الوقائية

تجاه جائحة كورونا:

أولاً: توعية الناس على الاخذ بتوجيهات وزارة الصحة

إن مما لا شك فيه أن الدعاة مسؤولون أمام الله ﷻ في بيان الحق للناس والدعوة إليه وخصوصاً فيما يتعلق بحياتهم الدينية والدينية، وتبرز مسؤوليتهم في هذا الوقت، وهم على ثغر عظيم في مجتمعاتهم؛ لأن لهم منابر ووسائل يصلون بها إلى المدعوين عامة، وإلى المرضى خاصة، ويتوجب الأمر عليهم لكي يتعاونوا مع إخوانهم العاملين في وزارة الصحة في إنقاذ من أصيب بهذا الداء الفتاك والمرض العضال من خلال التوعية والتوجيه وبيان كل ما فيه مصلحة لهذا المجتمع، فلذا نجح هذا الجهد وأثمر هذا التعاون وخرج بنتائج طيبة - بإذن الله تعالى-، من حيث ربطهم بالوصايا النبوية في عدم نشر العدوى والوباء الذي ينتشر بين الناس، وطلب الالتزام بالتوجيهات والتعليمات التي تبث في الروح الصحة والحفاظ على الأنفس من هذه الجائحة<sup>(١)</sup>

ومن ذلك ما يلي:

## ١/ العزل الصحي:

أوضح الإسلام الطريقة الصحيحة في العزل الصحي وعدم السماح بالاختلاط مع المرضى للحفاظ على صحة الناس وسلامتهم وهذا الذي أشار

(١) إجابة اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية المجلد الرابع عشر (العقيدة).

إليه النبي ﷺ: «إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»<sup>(٣)</sup>.

كما لهم أن ينبهوا الناس على الالتزام بعدم الخروج من المنازل والمكوث فيها خوفًا عليهم من العدوى، وأن يلتزموا بالاحتياطات الطبية للحفاظ على الأنفس من هذا الداء من لبس الكمامات والقفازات، وتناول بعض المضادات من الفواكه والخضروات وما جاء في الشرع من الطيبات المباحة التي تكون بعد الله ﷻ سببًا من أسباب الشفاء والذي نسأل المولى ﷻ أن يكشف هذا البلاء ويرفعه عن البلاد والعباد.

## ٢ / الحجر الصحي:

لقد عرف الحجر الصحي من عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»<sup>(٤)</sup>، وقال أيضا ﷺ: «فر

(١) أخرجه البخاري، ٧/١٣٠، رقم (٥٧٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، ٤/١٧٤٣، رقم (٢٢٢١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد، ٣/٢١٢، رقم (١٦٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٤) أخرجه الإمام أحمد، ٣/٢١٢، رقم (١٦٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".



من المجذوم فرارك من الأسد»<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة في الحجر الصحي تكون وفق الإرشادات التي أوصت بها وزارة الصحة بالتنبيه على المدعوين بالالتزام بالإرشادات الصحية والاحتياطات الوقائية من لبس القفازات والكمامات وغسل اليدين بصفة دائمة ولبس الواقي، والتخلص من الأوساخ والنظافة الدائمة والمتابعة الصحية حتى زوال العارض، وغير ذلك من الأمور التي تساعد على الحفاظ على الصحة.

### ثانياً: توعية الناس بالتداوي المشروع:

ولعل هذه المسؤولية ألصق بالتي قبلها، وهي أن التداوي لا ينافي كذلك التوكل على الله ﷻ والنبي ﷺ يقول: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»<sup>(٣)</sup>، وإثبات القضاء والقدر، والتوكل على الله ﷻ، والإيمان بأن ذلك من الأمور المفطور عليها البشر؛ لأن الإنسان يعلم أن كل شيء بقضاء الله ﷻ وقدرته، وأن الله ﷻ يبتلي من يشاء من عباده، كما قال النبي ﷺ: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»<sup>(٤)</sup>، وهذا من باب قضاء الله

(١) أخرجه البخاري، ١٢٦/٧، رقم (٥٧٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، ١٧٢٩/٤، رقم (٢٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، ١٢٢/٧، رقم (٥٦٧٨).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في القدر، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود ص ٧٠٥، رقم (٤٧٠٠).

وقدره، والله ﷻ يبتي من يشاء من عباده، وقد تقدم أن هذا الأصل العظيم ثابت بالكتاب والسنة، ويؤيده العقل والفطرة؛ فالمنافع الدينية والدينية جاءت بالحث على التداوي المشروع، ولقد نهى الشارع الحكيم بالتداوي الممنوع المحرم فقال ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام»<sup>(١)</sup>. فالدعاة إلى الله ﷻ منهجهم حث المدعويين وجميع أفراد المجتمع على استخدام الأدوية المباحة التي يوصي بهاء الزملاء في وزارة الصحة والتي فيها النفع الكثير في الحفاظ على الصحة والأنفس البشرية.

### ثالثاً: توعية الناس بالنظافة:

إن مما يعرفه كل عاقل وتطيب به النفوس هو النظافة التي حث عليها ديننا الحنيف سواء النظافة الحسية أو النظافة المعنوية، وتتأكد النظافة في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء، وتظهر مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ في توعية المدعويين وحثهم على النظافة لأهميتها؛ ولأنها هي الأصل الأصيل في الحفاظ على سلامة الإنسان وصحته، وهذا الذي يوصي به إخواننا في وزارة الصحة، ويسعى إليه الدعاة إلى الله ﷻ في توعية الناس والحث على الالتزام بالنظافة العامة، والنظافة الخاصة المتعلقة ببعض العبادات التي لا تصح بغيرها، ولذا جاء الحث عليها في أعظم ركن وهي الصلاة في قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الأدوية المكروهة، وقال الألباني: حديث ضعيف،

انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ص ٥٨٢، رقم (٣٨٧٤).

بِرُّءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا»<sup>(١)</sup>،  
ويقول ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه  
كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء -، فإذا غسل يديه  
خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يدها مع الماء أو مع آخر قطر الماء -،  
فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر  
الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأحاديث الواردة في النظافة والتطهير والتي تدل على أهمية العناية  
بنظافة الجسد، قول النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»<sup>(٣)</sup> وقوله ﷺ: «طهروا  
أفئنتكم»<sup>(٤)</sup>، وغيرها من الأحاديث الدالة على أهمية النظافة التي تعد من الأمور  
التي حث عليها الإسلام الذي هو دين النظافة والصفاء والنقاء، وهو الذي يحتم  
على جميع أفراد المجتمع أن يلتزموا به في جميع شؤون حياتهم اليومية.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) أخرجه مسلم، ٢١٥/١، رقم (٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، ٢٠٣/١، رقم (٢٢٣).

(٤) المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، ٢٣١/٤، رقم (٤٠٥٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة  
رقم (٢٣٦).

## رابعاً: توعية الناس على العناية بالجسم:

تبرز مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ في توجيه المدعوين وأفراد المجتمع عمومًا بما جاءت به الشريعة في إيضاح العناية بالجسم، ولذا قيل: "العقل السليم في الجسم السليم"، ونجد أن الأحاديث الدالة على العناية بالجسم وتطهير الجسد من الأوساخ كثيرة لا تحصى، وعلى هذا فقد كان منهج النبي ﷺ يعني بتربية أصحابه ﷺ من جميع النواحي الجسدية والنفسية والاجتماعية، وكان يحثهم على العناية بصحة أجسامهم وبقوتها حتى يمتلكون القدرة على تحمل مسؤوليات الجهاد في سبيل الله ﷻ لنشر الدعوة الإسلامية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ تتضاعف في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء وزادت فيه حالات الوفاة جراء الإهمال من بعض المدعوين في عدم العناية بأجسادهم ونظافتهم رغم سهولة الحصول على جميع وسائل النظافة من أدوات العناية بالجسد والتي أمر الشارع الحكيم باستخدامها والحرص على العناية بها، ولذا يقوم الدعاة إلى الله ﷻ إلى بيان حقيقة تلك العناية وطلب الالتزام بها من قبل المدعوين حتى يحصل لهم النجاة من الأمراض، والسلامة من الأوجاع في كل زمان ومكان حبًا منهم لإخوانهم المسلمين، ومن باب حب نفسك ما تحبه للآخرين، وهذا هو منبع حسن تعاون الدعاة إلى الله ﷻ مع الجهات المعنية في وزارة الصحة وغيرها.

(١) أخرجه مسلم، ٢٠٥٢/٤، رقم (٢٦٦٤).

## المبحث الرابع

## المسؤولية الوقائية الحكومية تجاه جائحة كورونا

## المطلب الأول

## مسؤولية السمع والطاعة لولي الامر.

إن من المعروف والثابت شرعاً السمع والطاعة في المنشط والمكروه لولي الأمر، ولقد جاء الحث على ذلك في كتاب الله وَعَلَيْكُمْ، يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وفي سنة النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»<sup>(٢)</sup>، ولذا ينبغي السمع والطاعة فيما يصدره ولي الأمر وخصوصاً في هذه الجائحة؛ لأنه هو أعلم بمصلحة العباد والبلاد وعلى جميع المواطنين والمقيمين الاستجابة لما يصدر من ولي الأمر وعدم المخالفة.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٠/٤، رقم (٢٩٥٧)، وأخرجه مسلم، ١٤٦٦/٣، رقم (١٨٣٥).

## المطلب الثاني

### المسؤولية الأمنية

لقد أوضحت وزارة الداخلية عددًا من التعليمات التي تحفظ في حقيقتها حياة البشر من خلال عدة أوامر كان القصد منها عدم انتشار الأمراض، ومنها هذه الجائحة، وفق الإجراءات الآتية:

١. حظر التجوال في جميع مناطق المملكة بحسب كل مدينة، وجعلت لها وقتًا محددًا للخروج من أجل شراء الأغراض اللازمة من المواد الغذائية والدوائية وغيرها، وذلك للحفاظ على عدم انتشار هذا الوباء.

٢. حظر التجمعات العائلية والتجمعات العمالية سواء داخل المنازل أو الاستراحات أو المباني، وفرضت غرامات لمن خالف ذلك تتفاوت بحسب كل مخالفة، وذلك من أجل عدم انتشار هذا الوباء.

٣. حظر التجمعات داخل الأسواق والمحلات التجارية، وحددت عددًا في بعض المواطن لا يجوز أن يتجاوزها العاملون فيها مع اتخاذ الإجراءات اللازمة من التباعد والكشف عند الدخول ولبس الكمامات والقفازات الواقية، وفي حال مخالفة ذلك يحاسب بعقوبة رادعه قد يكون عقوبة مالية للمواطنين أو عقوبة مالية وترحيل للمقيمين، وهذا من باب منع انتشار هذا الوباء.

٤. حظرت وزارة الداخلية من نشر المقاطع المسيئة التي تسبب الخوف والهلع للناس والشائعات الكاذبة فيما يخص هذا الوباء.

٥. حثت وزارة الداخلية المواطنين والمقيمين على التبليغ عن كل من خالف تلك التعليمات بالاتصال على الرقم الموحد.
٦. حذرت وزارة الداخلية من نشر الوثائق أو المعلومات السرية التي تزعم الأمن وتنتشر الفوضى.
٧. حضرت وزارة الداخلية من يتعمد نشر هذا الوباء بين أفراد المجتمع بعقوبة صارمة بالسجن، والغرامة إن كان من المواطنين أو المقيمين يضاف إلى ذلك للمقيمين الترحيل ومغادرة البلاد وعدم دخولها مرة ثانية.
٨. وجهت وزارة الداخلية إلى أهمية أخذ المعلومات والإجراءات من المصادر الرسمية، أي من الجهات الرسمية عبر مواقعها الالكترونية في مواقع الاتصال المعروفة لكل جهة رسمية<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة الداخلية الالكترونية على شبكة الإنترنت، في تاريخ ١٤/٩/١٤٤١هـ.

## المطلب الثالث

### مسؤولية وزارة التجارة

لقد قامت وزارة التجارة بواجبها تجاه هذه الجائحة وذلك للحفاظ على الأرواح، فأغلقت المحلات التجارية والأسواق والمجمعات التجارية التي قد تكون سبباً في انتشار هذا الوباء من خلال التجمعات، وقد سمحت ببعض محلات السوبر ماركت والصيدليات بعد أخذ الاحترازمات والاحتياطات الوقائية للمحافظة على صحة وسلامة المتسوقين، كما حرصت الوزارة على متابعة تلك الأسواق بدقة، وحذرت من استغلال هذه الجائحة بالغش أو التدليس على المستهلكين أو استغلالهم برفع الأسعار أو احتكار السلع، ولذا كان هناك متابعة ميدانية، ووضعت الوزارة رقم موحد للتبليغ عن أي استغلال أو غش أو تدليس أو انتهاء صلاحية مواد، وحثت الوزارة جميع العاملين لديها بمتابعة الأسواق وإصدار الغرامات على كل مخالف، وذلك للحفاظ على حياة المجتمع كافة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: موقع وزارة التجارة عبر شبكة <http://www.spa.gav.sa>



## المطلب الرابع

## مسؤولية وزارة التعليم

سعت وزارة التعليم للحفاظ على سلامة المتعلم والمعلم في جميع المراحل التعليمية من الطلاب والطالبات سوء من المواطنين أو المقيمين في التعليم الحكومي أو الأهلي في المدارس والجامعات والمعاهد ومراكز التدريب، وذلك من خلال تعليق الدراسة والاكْتفاء بالتعليم عن بعد، كل ذلك من باب الاحترازات الوقائية لعدم انتشار المرض وتفشيهِ بين الطلاب والطالبات والمعلمين وهيئة التدريس، ومن باب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومن باب الوقاية خير من العلاء، كما سعت الوزارة بكل طاقاتها في متابعة تنفيذ الإجراءات الوقائية من هذا الوباء وعدم انتشاره في المجتمع التعليمي مساهمة منها في حفظ الأنفس البشرية<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة التعليم عبر شبكة الانترنت، <http://www.moe.gov.sa>، بتصرف.

## المطلب الخامس

### مسؤولية رئاسة هيئة كبار العلماء

سعت هيئة كبار العلماء ممثلة برئيسها وأعضائها في بيان الحق، لأنهم أهل الحل والعقد، وقد أخذ الله ﷻ على أيديهم الميثاق والعهد لتبينه للناس ولا تكتمونه، فعظمة مسؤوليتهم في هذه الجائحة في إصدار الفتوى، وتعليم الأمة ما ينفعها في العبادات والسياسة الشرعية وفي كل ما يخص حياة الأفراد والمجتمع ويحفظ عليهم حياتهم، وفي كل ما يرتبط بهذه الجائحة من المسائل المستجدة التي يجهلها كثير من الناس، فصدرت منهم الفتوى في اتخاذ الاحترازمات الوقائية من منع أداء الصلوات في المساجد، وأداءها في المنازل، والتباعد في أداء الصلاة، كل ذلك سعيًا في الحفاظ على الأنفس البشرية<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: موقع رئاسة دار البحوث العلمية والافتاء، <http://www.alifta.gav.sa>، بتصرف.

## المطلب السادس

## وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

سعت وزارة الشؤون الإسلامية منذ أن أصدرت الفتوى بمنع أداء الصلوات والجمع والجماعات، فحرصت على أخذ جميع الاحترازات والاحتياطات ووضعت الخطط في الحفاظ على تلك الأماكن من انتشار هذه الجائحة، فدشنت حملات تعقيم المساجد بصفة مستمرة وإغلاقها وعدم تمكين أحد من الدخول فيها الا المؤذنين للنداء بالأذان فقط، وبعد الأذن بالصلاة فيها أخذت بالاحترازات الوقائية من تعقيم المساجد وفتح النوافذ وتعقيم السجاد وتغيير التالف منها كل ذلك حفاظاً على سلامة من حضر إلى المساجد لأداء الصلاة فيها، وحتى لا ينتشر هذا الوباء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية عبر شبكة الانترنت، <http://www.mola.gav.sa>

بتصرف.

## المطلب السابع

### مسؤولية وزارة العدل

سعت وزارة العدل بكل إمكانياتها فيما يخص التقاضي والإصلاح بين الناس وتسهيل القضايا، والرفع عن الموقوفة خدماتهم، ومنع الحضور الكلي للوزارة والمحاكم والإدارة التابعة لها، وأخذت بتسيير الأمور عن طريق (أونلاين)؛ بل فتحت باب التقاضي عن بعد لكي تسهل على الناس وتيسر إنهاء القضايا وفض الخصومة بين المتقاضين، وجعلت بوابة (ناجز) للرد على جميع الاستفسارات، وعدم تعطيل المعاملات كل ذلك سعيًا منها في الحفاظ على سلامة الأنفس البشرية وعدم تفشي الأمراض<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة العدل عبر الشبكة الانترنت <http://www.moj.gov.sa>

## المطلب الثامن

## وزارة الصحة

سعت الوزارة بكل ما لديها من طاقات في جميع المجالات الطبية في حمل لواء الحماية النفسية والجسدية والروحية من الحفاظ على الأنفس البشرية بكل ما لديها من قدرات وإمكانيات، وتشغيل الكوادر الطبية ليلاً ونهاراً، والتضحية بأنفسهم من أجل علاج المرضى والمحافظة على سلامتهم، ونشر الاحترازات والتوعية من خلال وسائل الاعلام وبيان الحالات المصابة والمتعافية والمتوفاة بصفة يومية، وتوجيه الإرشادات وحث المجتمع على الأخذ بالاحتياطات الوقائية وعدم الخروج إلا لحاجة ماسة للحفاظ على صحة الإنسان وسلامته من هذا الوباء، ولقد بذلت الوزارة جهوداً عظيمة علمها القاصي والداني في اتخاذ جميع سبل الوقاية وعدم تفشي هذا الوباء، فلهم منا الدعاء على ما قاموا به في حفظ الأنفس البشرية ورعايتها الرعاية الصحية الدائمة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: موقع الوزارة عبر شبكة الانترنت <http://www.moh.gov.sa>

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على تيسير وتدوين هذا البحث الذي أبرزت من خلاله مسؤولية الدعوة إلى الله ﷻ في انتهاز الفرصة واستغلالها في الدعوة إلى الله ﷻ، ومعالجة عقول المدعوين وأفراد المجتمع وقلوبهم بالتوعية والتوجيه الشرعي في بيان دواء الأبدان والعقول من الأدلة الشرعية وفق ما جاء في كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبعض أقوال السلف الصالح ﷺ، ومن خلال إبراز وتعاون الدعوة إلى الله ﷻ، والمشاركة مع وزارة الصحة وبعض الجهات المعنية في بيان حقيقة هذا المرض ووضع الدواء الروحي وطمأننة المجتمع ونزع الرهبة منهم، وبيان بعض المسائل الشرعية التي فيها صلاح المدعوين وأفراد المجتمع، واتخاذ الأسباب الوقائية من لزوم الناس مساكنهم، وإيقاف كثير من شؤون حياتهم من الجماعة والجمعة في المساجد، والرحلات الداخلية والخارجية، والتجمعات، والحضر الكلي والجزئي على المدن والمحافظات، وإغلاق المدارس والجامعات والدوائر الحكومية والأسواق التجارية والمطاعم والكوفيات وغيرها في ظل تفشي جائحة كورونا الداء الذي بذلت الدولة وفقها الله ﷻ كل ما فيه مصلحة للمجتمع.

ويسرني أن أشكر مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده محمد بن سلمان -حفظهما الله- على ما قاموا به من جهود سمع بها الداني والقاصي في المحافظة على أرواح الناس، واتخاذ الاحترازمات الشرعية والنظامية، ووقوف جميع أجهزة الدولة ضد هذا الوباء والبلاء الذي أسأل الله ﷻ أن يرفعه عن البلاد والعباد، وأن يمتع الجميع بالصحة والعافية ويحسن بي في نهاية هذا البحث بيان بعض النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

## أهم النتائج:

١. إن الشريعة الإسلامية أتت لتحقيق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، وفي مقدمة هذه المصالح الحفاظ على الكليات الخمس (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل (العرض)، وحفظ المال)، والعلاج من كورونا أو الوقاية منه يندرج تحت هذه الكليات.
٢. أمر الإسلام بالعلاج والتداوي من المرض، كما أمر بالوقاية من جميع العلل والأسقام الروحية والجسدية، والعلاج من كورونا أو الوقاية منه يندرج تحت هذا الأمر الذي يُثاب فاعله ويعاقب تاركة.
٣. كورونا من النوازل والمستجدات الذي يحتاج إلى استنباط أحكام شرعية جديدة تحد من انتشاره، وهنا تأتي مسؤولية العلماء والدعاة في استنباط هذه الأحكام من النصوص الشرعية، ومن ذلك الحكم الشرعي في التداوي منه أو الوقاية منه، ويندرج في ذلك التباعد الجسدي حتى عند أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، أو التباعد في أداء مناسك الحج والعمرة، أو التباعد في مختلف المرافق والأماكن العامة.
٤. أثبت أهل الاختصاص أن كورونا وباءٌ معدي، وسريع الانتشار، وفتاك، وبناءً على ما توصل إليه أهل الاختصاص تأتي مسؤولية الجهات الرسمية والمجتمعية والدعاة في وضع كافة الإجراءات لعلاج هذا الوباء والحد من انتشاره، والتوعية بالالتقييد بهذه الإجراءات وتنفيذها، باعتبارها عبادة يؤجر عليها العبد إن أخلص النية في ذلك لله تعالى.

٥. قدمت الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية أنموذجاً فريداً في التعامل مع جائحة كورونا، والحد من انتشاره، وتجفيف منابعه بمختلف الوسائل الممكنة، وفي مختلف مناطق المملكة.
٦. كان للعلماء والدعاة في المملكة الدور البارز في توعية الناس بخطر هذا الوباء، وإرشادهم إلى اتخاذ كافة التدابير والاحترازمات، والالتزام بالإجراءات الوقائية التي حددتها الجهات الرسمية، في مختلف وسائل الإعلام وشبكة التواصل الاجتماعي.

### التوصيات:

١. يوصي الباحث الدعاة باغتنام
٢. المناسبات في الدعوة إلى الله ﷻ وخصوصاً في هذه الجائحة؛ لأن الناس متعطشة إلى الذي يؤلف القلوب، ويبعث فيها الطمأنينة.
٣. يوصي الباحث الدعاة إلى الله ﷻ إلى تحمل المسؤولية، واستغلال الفرص ونشر الدعوة بكل الوسائل والطرق الشرعية.
٤. يوصي الباحث الدعاة إلى الله ﷻ بالاستمرار في التعاون مع وزارة الصحة ومد الجسور فيما بينهما، وخصوصاً في المعالجة الشرعية التي تخص أفراد المجتمع.
٥. أوصي الباحثين بإجراء بحوث في جميع التخصصات الشرعية حتى يشارك المجتمع في معالجة هذه الجائحة وفق الاختصاصات الشرعية التي يحتاجها جميع أفراد المجتمع.



٦. يوصي الباحث جميع أفراد المجتمع من السعوديين والمقيمين بالأخذ بالتوجيهات النظامية والاحترازمات الوقائية للحفاظ على الأنفس البشرية التي تعلنها وزارة الصحة.
٧. يوصي الباحث الجهات التعليمية ووزارة الشؤون الإسلامية بوضع مؤتمر يدرس جميع ما يخص هذا الوباء للخروج من هذه المحنة بمنح يستفيد منها المسلمون.
٨. يوصي الباحث بالأخذ بالوسائل الشرعية الوقائية والتمسك بها للحصول على الفلاح في الدارين.
٩. يوصي الباحث بتكاتف أجهزة الدولة ومساهماتها كل في اختصاصه لرفع هذا البلاء والوباء عن البلاد والعباد.
- وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم

## فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الاستفاعة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٣، ١٤١٣ هـ .
٢. أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٨٦ م.
٣. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة ٢٠٠٨ م/١٤٢٩ هـ ، للنشر والتوزيع، الرياض، ط/٥ .
٤. أصول الدعوة ، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط / ٧ ، ١٩٩٣ م.
٥. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، حققه ودقق أصوله، وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٨ م.
٦. جامع البيان: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ
٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط١ .
٨. حاشية معالم الدعوة والحسبة، د. أحمد بن علي الخليفة، الرياض، بدون اسم الدار، ورقم الطباعة وتاريخ النشر.

٩. الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، الشيخ محمد الراوي، دار الوسيلة، السعودية، الرياض، ط ١.
١٠. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، العلامة عبدالعزيز بن باز، طبع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ١٤٢٩ هـ .
١١. ديوان الشافعي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١.
١٢. زاد الداعية إلى الله، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ١٤٢٩ هـ
١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بيروت.
١٤. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، تحقيق صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٥. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٦. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٨. ضوابط المعرفة، وأصول الاستدلال بالمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (دار القلم: دمشق، ط٣، ١٤٢٥هـ).
١٩. العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. محمد علي البار، دار الفتح، الأردن، عما، ط١.
٢٠. فتح الباري: أحمد بن حجر العسقلاني، دار المنار، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، موافقة للطبعة التي حققها الشيخ عبد العزيز بن باز.
٢١. لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر.
٢٣. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمّد البغدادي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط٧.
٢٤. المدخل لعلم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٥. مرشد الدعوة، محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٦. مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، مكتبة لينة، الطبعة الأولى، تم النشر ١٩٨٩م.
٢٧. مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، ط/٣.

٢٨. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرين، دار طيبة، السعودية، الرياض، ط ١.

٢٩. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين، ط ٢، المكتبة الإسلامية للطباعة النشر، إستانبول.

٣٠. نضرة النعيم في مكارم الأخلاق الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، الناشر دار الوسيلة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣١. هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيانان، دار الحضارة، الرياض ط ١، ١٤٢٤هـ.

### المواقع الإلكترونية:

٣٢. <https://www.whooint/ar>

٣٣. [binbaz.org.sa](http://binbaz.org.sa)

٣٤. [www.alefta.gov.sa](http://www.alefta.gov.sa)

٣٥. موقع وزارة الداخلية الإلكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.moi.gav.sa>

٣٦. موقع هيئة كبار العلماء الإلكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.alwatanvoice.com>

٣٧. <http://www.moe.gav.sa> موقع وزارة التعليم على شبكة الانترنت.

٣٨. موقع وزارة الصحة الإلكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.moh.gov.sa>

٣٩. موقع وزارة الشؤون الإسلامية الإلكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.mola.gov.sa>

٤٠. موقع وزارة العدل الإلكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.moj.gov.sa>

٤١. موقع وزارة التجارة الإلكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.spa.gov.sa>

البحث رقم (٣)

المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث  
حنظلة رضي الله عنه

إعداد

د. مسعود بن بشير بن ربيع المحمدي  
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة





## الملخص

هذا بحث بعنوان: الدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه، تحدث فيه عن حنظلة رضي الله عنه وذكرت حديثه في ذلك وشرحه، ثم ذكرت الدروس المستفادة للداعية من خلال الحديث، ثم الدروس المستفادة للمدعو من خلال الحديث أيضاً، وكذلك أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه، ودروس أخلاقية مستنبطة من الحديث. وتم التفصيل لبعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه على امتداد أربعة مباحث هي موضوع البحث.

وكانت أبرز نتائج البحث:

- ١) اتضح أن حديث حنظلة من الأحاديث التي بينت وفصلت الحوار الدعوي بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين حنظلة رضي الله عنه من جهة، وبين حنظلة والصديق رضي الله عنه من جهة أخرى.
- ٢) توصلت إلى شرح بعض الدروس المستفادة -أيضاً- خاصة بالمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه حيث إنه ركن أساس من أركان الدعوة، وهو الذي من أجله أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب .
- ٣) قد تم بيان أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٤) كما تم -بعون الله تعالى- تجلية الدروس الأخلاقية التي يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

## Abstract

This is a research entitled: The advocacy lessons learned from Hanzala's speech, in which she talked about Hanzala and mentioned his talk and explanation, and then mentioned the lessons learned for the preacher through the talk of Hanzala Then the lessons learned for the invitee through the talk of Hanzala , then the methods and means of advocacy through the talk of Hanzala , and moral lessons through the talk of Hanzala. The appropriate methods and means of advocacy have been demonstrated by the talk of Hanzala.

The most prominent results of the research were:

١) It became clear that Hanzala's hadith was one of the hadiths that clarified and separated the da'wa dialogue between the Prophet and Hanzala on the one hand, and Between Hanzala and the friend on the other.

٢) Some of the lessons learned for the advocate were detailed through the talk of Hanzala over the course of four investigations that are the subject of the research.

٣) I have come to explain some of the lessons learned, too, especially for the invitee through the hadith of Hanzala, as it is a cornerstone of the call, for which God sent the apostles and downloaded the books.

٤) With the help of Allah, the moral lessons that preachers benefit from through the hadith of Hanzala have also been learned.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن فقه الدعوة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه من الأمور التي ينبغي للدعاة أن يوجهوا أنظارهم إليها، حيث إن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للدعوة إلى الله تعالى.

وحديث حنظلة رضي الله عنه الذي اخترته للدراسة هنا تضمن مسائل دعوية كثيرة، حيث إن هذا الحديث قد بين الحوار من أجل فهم الدعوة ومحاولة الاستقامة على مبادئها كما سمعها وفهمها حنظلة رضي الله عنه من نبينا صلى الله عليه وسلم هذا من ناحية، ثم إن حنظلة رضي الله عنه استشكل فهم حالة جرت له وهي أنه يجد عند مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليمه وتفقيهه له يشعر أن هذه اللحظات هي أعلى درجات السمو الروحي، والمقامات الإيمانية، أما إذا عاد للأهل والأولاد والضيعات وشغل بذلك تغير حاله فحكى حنظلة رضي الله عنه هذا للصديق رضي الله عنه فصدق على ما قاله حنظلة رضي الله عنه فذهبا إلى إمام الدعوة صلى الله عليه وسلم وحدثاه عن الحالتين من خلال حوار دعوي يوحى بالحرص على التطبيق والتنفيذ بكل ما يؤدي إلى الثبات على الحالة التي يكونون فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين لهما ما يطمئن القلوب بقوله: "لو تكونون على الحالة التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"، وهذه هي مرونة الدعوة وعظمتها، ولتوضيح هذا كله بصورة أوسع والاستفادة منه دعويًا أردت الكتابة في هذا الموضوع، وسوف أبين فيه التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحدوث المروي عنه، كما سأبين -بعون الله تعالى- الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه، والدروس المستفادة منه للمدعو، وكذا الدروس الأخلاقية التي يستفيدها الدعاة من حديث حنظلة رضي الله عنه، والله أسأل أن يوفقني في بحثي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

## أهمية موضوع البحث:

- ١) ترجع أهمية موضوع البحث إلى وجود بعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٢) كما ترجع أهمية موضوع البحث -أيضاً- إلى وجود بعض الدروس المستفادة للمدعو من حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٣) في حديث حنظلة وحواراته مع النبي -صلى الله عليه وسلم- أهمية كبيرة للتعرف على أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٤) كما ترجع أهمية موضوع البحث إلى وجود دروس أخلاقية يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

## أهداف موضوع البحث:

- ١) التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحدِيث المروي عنه ليستفيد الدعاة من ذلك.
- ٢) تفصيل بعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٣) شرح بعض الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة.
- ٤) بيان أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٥) تجلية الدروس الأخلاقية التي يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

## حدود البحث:

سيقتصر الباحث في هذا الموضوع على الحديث عن (الدروس الدعوية المستفادة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه دراسة تحليلية)

## الدراسات السابقة:

هذا الحديث قد شرحه جميع من شرح صحيح الإمام مسلم من الشراح كالنوي والقرطي والقاضي عياض والأبي، كما شرحه جمع ممن شرح سنن الترمذي كالمباركفوري وابن

العربي، ولم أجد دراسة متخصصة مستقلة في علم الحديث تناولت حديث حنظلة دراسة علمية في بحث علمي، غير أن هناك مقالات ومحاضرات في شرح هذا الحديث شرحاً عاماً موجزاً يتضمن ذكر فوائد مستنبطة من الحديث، ثم إنه بالبحث في المكتبات لم أعثر على بحث مؤلف بهذا العنوان يتحدث عن حديث حنظلة والدروس الدعوية المستفادة منه.

### تساؤلات البحث:

- من هو حنظلة رضي الله عنه؟ وما الحديث المروي عنه؟
- ما الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟
- ما الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟
- ما أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟
- ما الدروس الأخلاقية التي يستفيدها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟

### منهج البحث:

سيستخدم الباحث في بحثه المنهج الآتي:

- ١) المنهج الاستقرائي:  
ويكون بتتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به للوصول إلى كلام عام يستفيدة الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٢) المنهج الاستدلالي:  
ويكون بالتدليل على كل ما أطره من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه أو الأفكار أو الآراء أو النصوص الشرعية المنقولة من الكتاب والسنة أو من أقوال أهل العلم الثقات.

## خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

### (١) المقدمة : وتشمل:

أهمية موضوع البحث - أهداف البحث - حدود البحث - الدراسات السابقة - تساؤلات البحث - منهج البحث - خطة البحث.

### (٢) التمهيد : التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحديث المروي عنه.

### (٣) المبحث الأول: الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الأول: حرص الداعية على العلم والذكر من خلال حديث حنظلة.

المطلب الثاني: الاهتمام بسؤال أهل الذكر.

المطلب الثالث: مقارنة الداعية بين حالة القلب أثناء درس العلم وبين مطالب الأهل.

المطلب الرابع: الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل.

المطلب الخامس: الترويح عن النفس لقوله صلى الله عليه وسلم ساعة وساعة.

### (٤) المبحث الثاني: الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الأول: الرفق في إجابة المدعو

المطلب الثاني: العناية بتبشير المدعو وعمارة قلبه بالطمأنينة.

المطلب الثالث: تنبيه المدعو إلى معالي الأمور.

المطلب الرابع: الثناء على المدعو.

المطلب الخامس: تثبيت المدعو على الخير

المطلب السادس: مراعاة حال المدعو بتوجيهه إلى ما يروح به عن نفسه.

٥) المبحث الثالث : أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه :

المطلب الأول: أساليب الدعوة خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الثاني: الوسائل الدعوية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٦) المبحث الرابع: دروس أخلاقية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه :

المطلب الأول: غرس الإيمان وقيمه في نفوس المدعوين.

المطلب الثاني: تركية القلوب وصفاء النفوس بذكر الدار الآخرة.

المطلب الثالث: الدعوة للوسطية.

المطلب الرابع: سماحة الإسلام.

٧) الخاتمة : وتشتمل على .

نتائج البحث.

توصيات البحث.

٨) الفهارس:

فهرس المراجع .

فهرس الموضوعات.

## التمهيد: التعريف بحنظلة رضي الله عنه وشرح موجز للحديث المروي عنه

أولاً : التعريف بالصحابي حنظلة رضي الله عنه :

هو: حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ الْمُرَقَّعِ بْنِ صَيْفِيٍّ الْأَسَيْدِيُّ التَّمِيمِيُّ الْكُوفِيُّ، يكنى أبا ربيعة، من بني أسيد بن عمرو بن تميم، من بطن يُقال لهم بنو شريف، ويقال له: حنظلة بن ربيعة، - والأول هو الأكثر، بل قال ابن منده عن الثاني: "ليس بصحيح"، وَهُوَ ابْنُ أُخِي أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ <sup>(١)</sup>.

قال النووي: "الأسيدي) ضبطوه بوجهين، أصحهما وأشهرهما: ضم الهمزة، وفتح السين، وكسر الياء المشددة، والثاني كذلك إلا أنه بإسكان الياء، ولم يذكر القاضي إلا هذا الثاني" <sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: "روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب له، وأرسله إلى أهل الطائف - فيما ذكر ابن إسحاق-، وشهد القادسية، ونزل الكوفة، وتخلف عن علي يوم الجمل، ونزل قرقيسياء حتى مات في خلافة معاوية" <sup>(٣)</sup>.

ثانياً : شرح موجز للحديث المروي عن حنظلة رضي الله عنه.

نص الحديث :

روى مسلم في صحيحه بسنده عن حَنْظَلَةَ الْأَسَيْدِيِّ، وكان من كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: "لقيني أبو بكر رضي الله عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: "نافق حنظلة". قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُدَكِّرُنَا بالنار والجنة

(١) معرفة الصحابة لابن منده (٣٧٤/١)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٨٥٤/٢)، الاستيعاب

(٣٧٩/١) برقم ٥٤٨، أسد الغابة (٨٤/٢) برقم ١٢٨٠

(٢) المنهاج (٦٥/١٧)

(٣) الإصابة (١١٧/٢) برقم ١٨٦٤



حتى كأننا رأينا عين؛ فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ - عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات، فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فوالله إننا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ - قلت: نافع حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ - وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تُدَكِّرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات، نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ - «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُوْمُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثلاث مرات (١).

وفي لفظ آخر لمسلم، عن حنظلة قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَعَطْنَا، فَذَكَرَ النَّارَ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَصَاحَكْتُ الصَّبِيَانَ وَالْعَبْثَ الْمَرْأَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذَكَّرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَافِقَ حَنْظَلَةَ فَقَالَ: «مَهْ» فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ، فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبِكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى تُسَلَّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ» (٢).

وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، عَنْ سُهَيْبَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِبَاسِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ بِهِ، وَفِيهِ: "فَقُمْتُ إِلَى أَهْلِي، وَوَلَدِي فَصَحَّحْتُ، وَلَعِبْتُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَخَرَجْتُ،

(١) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا (٢١٠٦/٤) ح (٢٧٥٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا (٢١٠٧/٤) ح (٢٧٥٠).

فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: نَافَقْتُ، نَافَقْتُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ: إِنَّا لَنَفَعَلُهُ، فَذَهَبَ حَنْظَلَةُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْحَدِيثَ (١).

وأخرجه الإمام أحمد عن أبي أحمد الزبيري، قال حدثنا سفيان الثوري، عن الحريري، عن أبي عثمان، عن حنظلة، بنحوه (٢)، وإسناده صحيح لغيره (٣). وعند الترمذي بإسناد حسن (٤): أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ - وساق نحوه (٥).

وأخرجه البزار، وأبو يعلى، وابن حبان من طريق عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَأَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا مَا نُحِبُّ فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِينَا فَخَالَطْنَاهُمْ أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ تَدَوَّمُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْحَالِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُظَلِّكُم

(١) سنن ابن ماجه: أبواب الزهد، باب المداومة على العمل (١٤١٦/٢) ح ٤٢٣٩، وصححه الألباني (٢٣٩/٩).

(٢) مسند أحمد (٣٩٠/٣١) ح: ١٩٠٤٥، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) فيه: محمد بن عبد الله الأسدي أبو أحمد الزبيري الكوفي (ت ٢٠٣هـ)، ثقة ثبت، إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري من التاسعة، روى له: (ع) "تقريب التهذيب (ص ٤٨٧) برقم ٦٠١٧، وقد توبع متابعة تامة من الفضل بن دكين، وإسناده صحيح لغيره.

(٤) فيه: جعفر بن سليمان الضبعي أبو سليمان البصري (ت ١٧٨هـ)، قال الحافظ: "صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع، من الثامنة، روى له: (بخ م ٤) "تقريب التهذيب (ص ١٤٠) برقم ٩٤٢

(٥) سنن الترمذي (٢٤٧/٤)، ح: ٢٥١٤، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٤/٦).

بَأَجْنِحَتَيْهَا وَلَكِنَّ سَاعَةً وَسَاعَةً"<sup>(١)</sup>. واللفظ لابن حبان، وعند غيره: لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْخَلَاءِ"، وإسناده صحيح<sup>(٢)</sup>.

### غريب الحديث:

(كأنا رأي عين) قال القاضي عياض: "كذا ضبطناه بالضم، أي كائناً بحال من يراها بعينه، ويصح النصب على المصدر، أي يراها رأي عين"<sup>(٣)</sup>.

(عافسنا الأولاد، والزوجات، والضيعات) قال ابن الأثير: "أي المعاش، والمعافسة: المعالجة، والممارسة، والملاعبة"<sup>(٤)</sup>. قال الحميدي: "أي خالطنا، وانتهزنا الفرصة في ذلك. ويكون بالصاد والسين، ويُقال: عافست الرجل أخذته على غرة"<sup>(٥)</sup>.

وقال الزمخشري: الضيعة: الصناعة، والحرفة؛ يُقال للرجل: ما ضيعتك؟ وتجمع ضياعاً، وضيعة"<sup>(٦)</sup>.

(١) مسند البزار (٤٦٧/١٣) برقم ٧٢٥٣، مسند أبي يعلى (٣٧٨/٥) برقم ٣٠٣٥، صحيح ابن حبان (٥٥/٢) برقم ٣٤٤.

(٢) ليس فيه إلا عننة قتادة، وهو وإن كان مشهوراً بالتدليس إلا أن سماعه من أنس لا خلاف في ثبوته، سواء صرح به أو لم يصرح. تعريف أهل التقديس (ص ٣٤) برقم ٩٢.

(٣) إكمال المعلم (٢٥٠/٨).

(٤) النهاية (١٠٨/٣)، و(٢٦٣/٣).

(٥) تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٤٩٣).

(٦) الفائق في غريب الحديث (٥/٣).

(مه) قال الحميدي: هَا هُنَا بِمَعْنَى: (مَا) وَالْحَبْرُ وَالْهَاءُ لِلْوَقْفِ <sup>(١)</sup> وقال القاضي عياض: "وقد يحتمل هنا للزجر، والتعظيم للأمر" <sup>(٢)</sup>.

(ولكن يا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ) قال السيوطي: "قال أبو البقاء: "يجوز النَّصْبُ عَلَى معنى تَذَكُّرِ سَاعَةٍ، وتَلَهُوِ سَاعَةٍ، والرفع على تقدير: لنا ساعةٌ، والله ساعةٌ". وقال الحكيم في نوادره: "أي: ساعة للذكر، وساعة للنفس" <sup>(٣)</sup>.

### شرح الحديث:

قال القرطبي: "يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله - ﷺ - اشتغلوا بهذه الامور، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا يجدونها عند سماع موعظة رسول الله - ﷺ - ومشاهدته" <sup>(٤)</sup>.

قال النووي: "قال الهروي وغيره: معناه: حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به، أي عاجلنا معاشنا وحفظنا...".

قوله (نافق حنظلة) معناه أنه خاف أنه منافق؛ حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي - ﷺ - ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق: إظهار ما يكتفون به من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقاً، فأعلمهم النبي - ﷺ - أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام" <sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٤٩٣).

(٢) إكمال المعلم (٢٥٠/٨).

(٣) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٦٠٣/٢).

(٤) المفهم (٥٤/٧).

(٥) المنهاج (٦٧/١٧).

قال ابن رجب: "لما تفرَّرت عند الصحابة -رضي الله عنهم- أنَّ النفاق هو اختلافُ السرِّ والعلانية، خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وحشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقاً" (١).

وقول النبي -ﷺ: « وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى تُسَلَّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ. ».

قال القرطبي: "وقول أبي بكر -رضي الله عنه: "والله إنا لنلقى مثل هذا" ردُّ على غلاة الصوفية الذين يزعمون دوام مثل تلك الحال، ولا يُعرجون بسببها على أهل ولا مال، ووجه الردُّ أن أبا بكر -رضي الله عنه أفضل الناس كلهم بعد رسول الله -ﷺ إلى يوم القيامة، ومع ذلك فلم يدع خروجاً عن جبلة البشرية، ولا تعاطى من دوام الذِّكر وعدم الفترة ما هو خاصَّة الملائكة" (٢).  
ثم قال: "وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يُفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب".  
كذا الكمال، وما عداه تُرهاتٌ وخيال" (٣).

قال الطيبي: "أي: قال ثلاث مرات ساعة يكون في الذكر والحضور، وساعة في معافسة الأزواج وغيرها، وفي ذلك تقرير على الحالة التي كان حنظلة عليها وأنكرها، ومن ثمة ناداه باسمه تنبيهاً على أنه كان ثابتاً على الصراط المستقيم، وما نافق قط أي: النفاق العربي وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وإنما أراد بقوله: نافق حنظلة، إما المعنى اللغوي،

(١) جامع العلوم والحكم (٣/١٢٦٢).

(٢) المفهم (٧/٥٤).

(٣) المصدر السابق (٧/٥٤).

وهو أن يكون عنده - عليه السلام - على حالة وعند غيره على حالة أخرى، وإما التشبيه الحالي؛ لأن حاله يشبه حال المنافق لعدم استمراره على مقام المواقف" (١).

وقال على ملا القارئ: "يعني لا يكون الرجل منافقا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور، فمن ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم، ويحتمل أن يكون قوله: ساعة وساعة للترخيص، أو للتحفظ، لئلا تسأم النفس عن العبادة.

وحاصله أن يا حنظلة هذه المداومة على ما ذكر مشقة لا يطيقها كل أحد، فلم يكلف بها، وإنما الذكر يطيقه الأكثرون، أن يكون الإنسان على هذه الحالة ساعة، ولا عليه بأن يصرف نفسه للمعافسة المذكورة وغيرها ساعة أخرى، وأنت كذلك فأنت على الصراط المستقيم، ولم يحصل منك نفاق قط كما توهمته، فانتبه عن اعتقاد ذلك، فإنه مما يدخله الشيطان على السالكين، حتى يغيرهم عما هم فيه، ثم لا يزال يغيرهم كذلك إلى أن يتركوا العمل رأساً" (٢).

وقال السندي: "تبهم على أن الحضور لا يدوم عادةً، وعدمه لا يضرب في وجود الإيمان في القلب والغفلة، إنما تنافي الحضور فلا يلزم منها عدم الإيمان، (ساعةً) يكون الحضور لينتظم به أمر الدين وساعةً تكون الغفلة لينتظم بها أمر الدين والمعاش، وفي كل منهما رحمة على العباد" (٣). وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مرقاة المفاتيح (٤/١٥٥٠).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/١٥٥٠).

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/٥٦٠).

## المبحث الأول

## الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة ؓ

هذا المبحث سأتحدث فيه من خلال عدة مطالب :

## المطلب الأول

## حرص الداعية على العلم والذكر من خلال حديث حنظلة ؓ

ينبغي على الداعية الحرص على طلب العلم، وهذا لن يكون إلا بمجالسة العلماء من خلال مجالس العلم، كما كان يجلس حنظلة مع سيدنا رسول الله ﷺ، لسماع العلم منه، فكان يرشدهم إلى ما ينفعهم في الدين والدنيا، فيعظهم ويرشدهم ويفتيهم، وكان حنظلة حريصاً على مجلس العلم هذا، لأنه كان يجد فيه السعادة والتزود الروحي، الذي يحتاجه حنظلة رضي الله عنه، لأن الملائكة تحف مجالس العلم، قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»<sup>(١)</sup>.

معنى يتدارسونه: يشمل هذا ما يناط بالقرآن من تعليم وتعلم، ومدارسة بعضهم لبعض في العلم والتفسير.

نزلت عليهم السكينة: أي: ما يسكن إليه القلب من الطمأنينة والوقار والثبات وصفاء

القلب.

(١) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر

(٢٠٧٤/٤) ح: ٢٦٩٩.

غشيتهم الرحمة: أي: غطتهم. وحفتهم الملائكة: أحاطت بهم. ومن بطأ به عمله: أي: من أخره عمله السيئ وتفريطه في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة شرف النسب وفضيلة الآباء ولا يسرع به إلى الجنة، بل يقدم العامل بالطاعة ولو كان عبدا حبشيا على غير العامل ولو كان شريفا قرشيا <sup>(١)</sup>.

ونعني بمجالس الذكر كل مجلس يذكر فيه الله سبحانه وتعالى، يتعلم دينه من تعلم لمسائل التوحيد ومسائل الأحكام الشرعية، ومن مجالس الذكر مجالس الوعظ والإرشاد، ومن مجالس الذكر تلاوة القرآن وذكره سبحانه وتعالى وفق هدي النبي ﷺ. فمجالس العلم، ومجالس الوعظ والإرشاد، ومجالس تلاوة القرآن وتعلمه، كل هذه من مجالس الذكر، فليس المقصود بمجالس الذكر أن يجتمع قوم فيذكرون ذكراً معيناً فهذا ليس هو المقصود، بل المقصود كل مجلس فيه ذكر الله تعالى، بموعظة أو علم أو تلاوة قرآن أو ذكر لله جل وعلا وفق هدي النبي ﷺ.

ثم إنك إذا نظرت في حديث حنظلة رضي الله عنه وجدت أنه يذكر أن مجالس النبي ﷺ كانت مجالس ذكر لله تبارك وتعالى، ويعني بذلك مجالس التعليم والوعظ والإرشاد والإفتاء وذكر الله تعالى، فهذه المجالس ينبغي على الداعية أن يحرص على إقامتها في أنواع في عمله الدعوي، فمرة يكون مجلسه مجلس وعظ، ومرة يكون مجلسه مجلس تعليم للأحكام العقدية والأحكام الفقهية، ومرة يكون مجلسه مجلس تلاوة للقرآن وتدارسه وتعليمه، ومرة يكون مجلسه مجلس موعظة، وهكذا، اقتداءً بالنبي ﷺ، وهذا ما دل عليه حديث حنظلة رضي الله عنه الذي بين أيدينا.

ومن خلال مجالسة حنظلة والصديق رضي الله عنهما لسيدنا رسول الله ﷺ نجد أن النبي ﷺ يرشد حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما في الحديث المذكور أنهما لو بقوا على

(١) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (١٠٧/١).



حالمهم التي كانوا عليها حين مجالستهم للنبي ﷺ لصافحتهم الملائكة وهم في الطرقات وعلى فرشهم، وكان الصحابة يعيشون تلك الساعات المباركة في رحاب سيد الخلق في مجالسه ﷺ، فيزداد بذلك إيمانهم وتخشع نفوسهم، وترتاح قلوبهم، حتى أعلنوا ذلك لرسول الله ﷺ فيبين لحنظلة والصحابة بأنهم لو استمروا على هذه الحالة كما كانوا عنده لصافحتهم الملائكة.

ومن الأعمال الصالحة التي يزداد بها إيمان الداعية: كثرة ذكره لله عز وجل، وذكر الله سبحانه وتعالى ينبغي ألا يفارقه الداعية، فهو زاده في سفره وحضره، وفي ليله ونهاره، وهو الزاد الذي لا يكلف مؤنة حمله ولا اصطحابه، بل هو النور الذي يجعل قلب الداعية نيراً وطريقه نيراً، ولذلك قال النبي ﷺ في هذا الحديث "ولو كنتم على الحال الذي كنتم معي وفي الذكر..."<sup>(١)</sup> ولاحظ هنا جملة الذكر، يرشدهم النبي ﷺ وهم الصحابة خير الدعاة، إلى أهمية التزود بالذكر لله تبارك وتعالى.

ومما يزيد الداعية إيماناً أن يحرص على طلب العلم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الثَّائِبِ وَالذَّوَابِّ وَأَلَّا نَعْلَمَ مُخْتَلَفًا لَّوْنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، قال السعدي رحمه الله: "فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته"<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ وَالْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، وذكر سبحانه وتعالى علو منزلة أهل العلم، قال تعالى:

(١) سبق تحريجه.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٨٨).

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾  
 [سورة المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيْتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ  
 وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو  
 الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ٩]، فلا يستوي من يعلم ومن لا يعلم في أمور كثيرة وأعظمها الإيمان  
 بالله تبارك وتعالى <sup>(١)</sup>، فمتى زاد الداعية علماً بالله وأسمائه وصفاته وحقه، وزاد علماً بالنبي  
 ﷺ في سيرته وشريعته، وزاد علماً بأحكام هذا الشرع، كان هذا الداعية عظيم الإيمان.  
 والوسائل كثيرة في زيادة الإيمان من الصلاة، والصيام، والصدقة وغير ذلك، ومن  
 وسائل زيادة الإيمان: مجالسة الصالحين، فمجالسة الصالحين يزداد بها الإيمان، ولذلك قال  
 النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "وجبت محبتي للمتجالسين في" <sup>(٢)</sup>، والمتجالسون في الله وعدهم  
 الله بمحبته، ولا يحصل على محبة الله إلا من كان عظيم الإيمان. والأعمال الصالحة كثيرة،  
 وكل عمل صالح يزيد الإيمان.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٨٩/٧).

(٢) مسند أحمد (٣٥٩/٣٦) ح: ٢٢٠٣٠.

## المطلب الثاني

## الاعتناء بسؤال أهل الذكر.

رجوع الداعية إلى العلماء فيما أشكل عليه هذا أمر واجب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ<sup>ط</sup> فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل: ٤٣]، وهذا ما فعله حنظلة والصدّيق رضي الله عنهما حينما سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالتها معه أثناء الدرس والذكر وحالتيهما حينما يكونا مع الأهل . ونلاحظ هنا أن حنظلة رضي الله عنه عزم على أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويسأله عن ما جدّ لديه من تغيير الحال ولما لقي أبا بكر وافقه أبو بكر رضي الله عنه على أهمية الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسأله عما جدّ لهم من الحال، وتغيير حال القلوب، وفي هذا: الرجوع إلى العلماء، فإن الداعية ولو كان ذا علم فإن هناك من هو أعلم منه يُفيدُ الداعيةً من علمه، والمدعو لا بد أن يكون له عناية بهذا الأمر، فيرجع في مسائل الدين كلها إلى العلماء أصحاب البصيرة بشرح الله، يرشدونه ويوجهونه، ولو أن الداعية اعتمدت على فهمه ومعرفته ولم يرجع للعلماء؛ لحصل منه التخبط في كثير من مسائل الدين، وما أكثر الأخطاء الواردة والصادرة عن أفهام لم ترجع إلى العلماء.

فالرجوع إلى العلماء يحفظ المسلم به دينه، فيعبد الله على بصيرة، ويكون اعتقاده مبنياً في كل مسألة دقت أو جلت على ما أنزل الله، وعلى ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيرجع الداعي هو والمدعو إلى العلماء الربانيين، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، هم الذين يكشفون الشبهات، ويميزون بين الحق والباطل، ولا يلتبس عليهم بإذن الله الأمر، وإنما ينهلون من معين القرآن ومعين السنة على فهم السلف، فتصدر عنهم التوجيهات النافعة التي تزيل الشبهات وتكشف الأمور الملتبسات.

وفي هذا الحديث وجد حنظلة وكذلك أبو بكر رضي الله تعالى عنهما أنهما كانا يجدا عظيم زيادة الإيمان في مجالستهما للنبي ﷺ وكيف أنهما كانا عظيمي التأثير بتذكيره صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة والنار، ثم إنهم إذا رجعوا إلى أهلهم وعافسوا النساء والصبيان والضيعات شعروا بنقصان الإيمان، هذه مسألة أشكلت على الصديق خير الناس بعد رسول الله ﷺ، كما أشكلت من بعده على حنظله، فماذا فعل الصديق وحنظله؟ ذهبا إلى الرسول ﷺ وأخبراه عما يُشكل عليهما، فالنبي ﷺ أرشدهما إلى أنه لا بد من ساعة وساعة.

فعودة أبي بكر وحنظله رضي الله عنهما إلى النبي وسؤاله يستفيد منها الدعاة إلى أنه لا بد أن يرجعوا إلى العلماء في المسائل العظام التي تشكل على أحد الدعاة، فيسألون أهل العلم ويصدرون عن رأيهم.

(قال أبو بكر بن العربي: إن القلب لا يثبت على حال، وإن العبد ليؤمن وتتواتر عنده الآيات حتى يتمكن من قلبه ويواظب العمل الصالح حتى تتمرن عليه جوارحه، ويواصل الذكرى حتى تطمئن نفسه ثم تعروه حالة أو تطراً عليه غفلة، فإذا به زل عن هذه المرتبة، فلا يزال يعود إلى ذكره وعمله الصالح حتى يرجع إلى ما كان عليه) <sup>(١)</sup>.

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١/٢١٢).

## المطلب الثالث

## مقارنة الداعية بين حالة القلب أثناء درس العلم وبين مطالب الأهل.

من هنا ينبغي على الداعية أن يتفقد أحوال قلبه فلا يغتر بأنه يعمل أعمالاً صالحات، بل لا بد أن يطالع ما في قلبه، ويفتش في جنبات قلبه، فينظر كيف صلاح قلبه، وعليه المقارنة بين حالة القلب أثناء درس العلم والطاعة والذكر وبين حالته حينما يؤدي مطالب الأهل، كما فعل حنظلة رضي الله عنه، فحينما قارن ووجد اختلافاً ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليوضح له ذلك، ومن هنا فعلى الداعية أن يكون له حظ من الذكر وهو يؤدي مطالب الحياة، فلا ينسى ذكر الدار الآخرة وما فيها من الحشر والنشر والصراف والميزان، وليعلم أنه لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]، وليتذكر أنه لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب منيب كما قال في سورة ق: ﴿مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة ق: ٣٣]، وأن الحشية لله مقرها القلب، وأن التوكل على الله وحسن الظن به ورجاءه ومحبته وتعظيمه وإجلاله والحياء منه كل ذلك محله القلب، فمتى صلح القلب وعمر بهذه الأعمال الصالحة وسلم من الآفات، من الحقد والحسد والغل والأهواء كلها، فإنه بذلك يصلح ويكون قلباً صالحاً فتصلح جوارح الداعية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله..."<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٢٠/١) ح: ٥٢، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) ح: ١٥٩٩.

## المطلب الرابع

### الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل.

إن الإسلام دينُ العلم فلا يُعبد الله تعالى إلا على بصيرة ولذلك نجد قوله تعالى في أوائل ما أنزل على النبي ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝﴾ [سورة أقرأ وربك الأكرم ۝ الذي علم بالقلم ۝ علم الإنسان ما لم يعلم ۝] سورة العلق: ١-٥].

والإسلام دينٌ يعنى باتباعه، بأن يُعلمهم الأحكام فيكونون عابدين لله تعالى، متوجهين إليه بقلوبهم، قاصدين له بأعمالهم بعلم، وهذا ما نجده في تربية النبي ﷺ لأصحابه، فإنه ﷺ يحث مرة على طلب العلم «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>، ومرة يُثني على طالب العلم ويذكر فضله وأجره «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم»<sup>(٢)</sup>، ومرة يثني على مُعلم الناس الخير «معلم الناس الخير يستغفر له من في السماوات والأرض»<sup>(٣)</sup>، ويذكر ﷺ فضل العلماء ليكون من الأمة علماء كما قال: «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(٤)</sup> كل هذا تربية للأمة على أن تكون أمة علم.

(١) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٢٥/١) ح: ٧١، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (٧١٩/٢) ح: ١٠٣٧.

(٢) أبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤٨٥/٥) ح: ٣٦٤١، الترمذي: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥) ح: ٢٦٨٢، وابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١) ح: ٢٢٣، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي (١٨٢/٦).

(٣) الحاشية السابقة.

(٤) الحاشية السابقة.

فالعلم بالله ودينه الذي ارتضاه لأمة الإسلام هو الذي يميز أهل الإسلام، فلا طلاسماً ولا خزعبلات ولا خرافات في دين الإسلام، ولذلك فإننا نجد في حديث حنظلة رضي الله عنه هذا أن أبا بكر وحنظلة رضي الله عنهما لما أشكل عليهما ما خطر لهما من مسألة، رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا طلب العلم وأخذه عن أهله، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم تلقى سؤالهم بالرفق والحلم، وأجابهم وفي هذا حُسن تعليم العلم والعناية بالتعليم.

ومما يستفيده كل داعية في الوقت الحاضر من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه: الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل، وتأمل هنا أن حنظلة رضي الله عنه ذكر لأبي بكر رضي الله عنه أنه إذا عاد إلى أهله بعد أن كان في إيمان عظيم يعمر قلبه إذا عاد إلى أهله وعالج أمور حياته ولاعب زوجه وذريته أحسن أن إيمانه نقص، فقال له أبو بكر إنه يجد مثل ذلك، فرجعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه، فإلني صلى الله عليه وسلم لم يرشدهما إلى أنه يجب عليهما البقاء على الحالة التي كانوا عليها عنده، بل إنه أرشدهما صلى الله عليه وسلم إلى أنه لابد من ساعة وساعة، فساعة يقومون بحق أهليهم ويروحون عنهم ويصلحون شؤون حياة معيشتهم، وساعة يكونوا في مجالس الذكر يزداد فيها الإيمان، وتقبل فيها النفوس على ذكر الآخرة، فهذا الاعتدال وهذه الوسطية لابد أن تكون في حياة الداعية ظاهراً يلمسها من حاله، ويلمسها من حوله من حاله، فالداعية الموفق هو الذي يعطي كل ذي حق حقه مع استزادته في كل خير من كل باب. في هذا الحديث أنه ينبغي للداعية أن يُحسن إلى زوجه وذريته، فلا ينبغي للداعية أن يعرض عما لزوجه وولده من الحق، وأن يعرض عن الإحسان إلى من هم تحت ولايته، فلا تعارض بين عنايته بالدعوة إلى الله وتفرغه جُل وقته في خدمتها، وبين إحسانه إلى أهله، فالداعية قدوته رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو خير الدعاة، وأصدق الدعاة، وأخلص الدعاة إلى الله كان يُحسن إلى أهله صلى الله عليه وسلم، ويتلطف معهم، ويشعرهم بمحبته لهم، ويحرص على إكرامهم،

والسيرة ملأى بذلك، ويقول: «خيركم خيركم لأهله»<sup>(١)</sup>، والداعية الذي يريد أن يحقق الاقتداء برسول الله ﷺ عليه أن يأخذ بكل ما جاء عنه ﷺ في سيرته، خاصة في معاملة الناس من أهلين وأصحاب وجيران وذوي رحم وعموم الناس، ونجد أن النبي ﷺ كان يسابق عائشة كما في الحديث<sup>(٢)</sup>، وكان يمازح زوجاته كما في الحديث<sup>(٣)</sup>، وكان يحمل أمانة حفيدته<sup>(٤)</sup>، ويمازح الصغار حينما قال لأنس "يا ذا الأذنين"<sup>(٥)</sup>، وكان يحسن صلى الله عليه وسلم إلى قرابته ويتلطف معهم.

(١) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء (٦٣٦/١) ح: ١٩٧٧، وصححه الألباني (٤/٤٧٧).

(٢) أبو داود: كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل (٢٢٤/٤) ح: ٢٥٧٨، النسائي: كتاب عشرة النساء، باب مسابقة الرجل زوجته (١٧٧/٨) ح: ٨٨٩٣، ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء (٣٩٧/٣) ح: ١٩٧٩، وغيرهم، وصححه الألباني (٤/٤٧٩).

(٣) من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجله في حجري، والأخرى في حجرها، فعملت لها حريرة، أو قال: خزيرة فقلت: كلي، فأبت فقلت: لتأكلي، أو لألطنن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستفيد مني، فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك). النسائي (٨/١٦٢) ح: ٨٨٦٨.

(٤) البخاري: كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة (١٠٩/١) ح: ٥١٦، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (٣٨٥/١) ح: ٥٤٣.

(٥) أبو داود: كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٣٥١/٧) ح: ٥٠٠٢، الترمذي: باب ما جاء في المزاح (٤/٣٥٨) ح: ١٩٩٢، وغيرهما، وصححه الألباني (٤/٤٩٢).



فالمؤمن يحيا حياته في وسطية يطلب الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا، قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

قال السعدي: " استمتع بدنياك استمتعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك" (١).

ومن هنا فينبغي على الداعية أن يحرص على ما يصلح معاشه، فلا يجعل الدعوة شاغلة له عن طلب الرزق الحلال، فطلب الرزق الحلال في عفة يجعل الداعية عزيزاً ليس بحاجة لأحد، فمتى قام الداعية بدعوته إلى الله تعالى وقد أمن لنفسه ما يكون معاشاً صالحاً له، هذا يكون أشرح صدرًا للدعوة، وأحسن بالاً في قيامه بمهام الدعوة والتعليم، لكن الداعية الذي يحتج بالدعوة وربما ينظر إلى ما في أيدي الناس، أو يتحرى أو يرجو أن يحسن الناس إليه بشيء، فهو مشتغل برأيه في دعوتهم، هذا أضر بنفسه وبدعوته، فينبغي على الداعية أن يقتدي بأصحاب النبي ﷺ، ففي هذا الحديث قال الصحابي "فإذا عدنا إلى منازلنا عافسنا الزوجات والأولاد والضيعات" (٢)، والضيعات هي الحرف والصناعات وما يصلح الإنسان به معاشه، وهذا يدل على أنهم كانوا ينتهجون الاعتدال في حياتهم، هم مع رسول الله ﷺ ينصرونه ويفيدون من علمه، وينشرون علمه ودعوته ﷺ، وهم كذلك يكتسبون المعاش الحلال يستعينون بها على القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا إن اتباع المسلم لمنهج الكتاب والسنة يجعله وسطياً فلا غلو ولا تفريط، وهذا التوازن علمه الرسول ﷺ لحنظلة بقوله له: "ساعة وساعة".

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٣).

(٢) سبق تخريجه.

## المطلب الخامس

### الترويح عن النفس لقوله ﷺ ساعة وساعة

حينما كان الصحابييان الجليلان أبو بكر خير الصحابة، وحنظله كاتب وحي رسول الله ﷺ، يذهبان إلى بيتيهما فكانا يروحان عن أنفسهما بملاعبة الصبيان وملاعبة الزوجات، وحينما أخبرا النبي ﷺ لم ينكر عليهما ذلك بل أرشدهما إلى مشروعيته وأنه عونٌ على الثبات على مزيد من فعل الخيرات، ولذلك قال النبي ﷺ لهما: "...ولكن ساعة وساعة"<sup>(١)</sup>، فلا بد أن يكون للداعية حظ من الترويح، يروح عن نفسه، فالنفس لها إقبال ولها إدبار، فمتى رأى الداعية من نفسه الإقبال على طاعة الله تبارك وتعالى، فإنه يغتنم ذلك ويفيد من إقبال نفسه فيجتهد في الطاعة، وإذا رأى من نفسه الكسل والملل والإدبار فإنه ينبغي أن يفسح لها ويخفف عنها بأن يفيد مما أباح الله تعالى له من الترويح المباح، فهذا ينشط النفس إلى عطاء متجدد لفعل الخيرات، والاجتهاد في طاعة الله تبارك وتعالى.

(وقوله: "ساعة وساعة" معناه: ساعة لقوة اليقظة وساعة للمباح وإن أوجبت بعض الغفلة. وهذا لأن الإنسان لو حقق مع نفسه ما بقي فلا بد للمتيقظ من التعرض لأسباب الغفلة ليعدل ما عنده، ومن أين يقدر على الأكل والشرب والجماع من يرى الأمر كأنه معانٍ، وإن من الغفلة لنعمة عظيمة، إلا أنها إذا زادت أفسدت، إنما ينبغي أن تكون بمقدار ما يعدل.)<sup>(٢)</sup> . (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة. ساعة وساعة) يعني ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم. (وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكما لها، أن الله

(١) سبق تخريجه.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/٢٢٩-٢٣٠).

عز وجل له حق فيعطي حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتعطي حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل براحة، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها مل وتعب، وأضاع حقوقاً كثيرة. وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف<sup>(١)</sup>.

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (٢/٢٣٦).

## المبحث الثاني

### الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

سأتناول الحديث في هذا المبحث عن الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه. وذلك من خلال عدة مطالب تتمثل فيما يلي:

### المطلب الأول

#### الرفق في إجابة المدعو

نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه حنظلة وأبو بكر رضي الله عنهما يستفسران عما وجداه من فقدان ونقصان الحالة الإيمانية التي كانا يجداها في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالسته، كان النبي صلى الله عليه وسلم رقيقاً في استيضاحه منهما ورقيقاً في جوابه رحيماً فيه، فأرشدتهما إلى أن القلوب لا تكون على حال واحدة، وأنه لا بد للنفوس من راحة وترويح، ولذلك قال لهم: «ولكن ساعة وساعة»<sup>(١)</sup> وهذا النهج النبوي لا بد أن يأخذ به الداعية؛ فيعامل بالرفق من يسأله، سواء كان المدعو ذا علم غزير مثل أبي بكر الصديق وحنظلة رضي الله عنهما أو كان السائل جاهلاً ليس له علم يُذكر، فالرفق يؤلف قلب المدعو ويجعله أكثر انتفاعاً بالنصيحة وبالتوجيه، وأعظم محبة للداعية، وإقبالاً على ما يدعو إليه.

وينبغي على الداعية أن يكون رقيقاً في تفهم ما لدى المدعو من إشكالات، وتفهم لاختلاف آراء المدعوين، فيعالج بحلم وأناة كل ما يلقيه إليه مدعو من المدعوين، ولا يتأتى للداعية أن يكون موفقاً في معالجته إلا إذا اتصف بالحلم والأناة، وهاتان الصفتان هما لب

(١) سبق تخرجه.

الرفق وأساسه، قال تعالى في نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَبُ لَآنْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] <sup>(١)</sup>.

ولا شك أن المدعو تختلف أسئلته عما يحتاج إليه في أمر دينه، فهو يسأل عن مسائل الاعتقاد، كما يسأل عن مسائل إصلاح الأخلاق والسلوك، كما يسأل عن مسائل متعلقة بالفقه في العبادات والمعاملات، كما يحرص على أن يسمع من الداعية توجيهها يُعينه على تجاوز معضلة، أو تفريج همٍ أو غمٍ نزل به، كل هذا يوجب على الداعية أن يكون رؤوفاً رحيماً بهذا المدعو، مُقتدياً برسول الله ﷺ الذي وصفه ربه سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨]، كما أن المدعويين تختلف أفهامهم، فمنهم من هو حاذق الفهم، ومنهم من هو أقل من ذلك، فكان لزاماً على الداعية أن يراعي الفروقات الفردية بين المدعويين في استيعابهم وفهمهم، كما أن المدعويين يختلفون في استجابتهم لما يوجه به الداعية، ولا يمكن للداعية أن يتعامل بتوفيق ونجاح في دعوته مع كل المدعويين، ولا يمكن له أن تُثمر دعوته ما يؤمله إلا إذا تحلى بصفات كثيرة من أعظمها وأبرزها الرفق الذي أساسه الرحمة والحلم. والرفق يجمع بين خصال كثيرة إذا وُجدت في الداعية كان من الرفقاء في دعوتهم، فالحلم والأناة من أسس الرفق، فلا يكون الإنسان رقيقاً إلا إذا كان صاحب أناةٍ وحلم، وليُن الجانب من أسس الرفق وكذلك الرحمة والرأفة، والرفق متى كان في الخطاب الدعوي

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص ٢١).

وفي المعاملة الدعوية أثمر ونفع، فهاهم جمع من اليهود يدخلون على النبي ﷺ ويقولون له: السام عليك، وفي آخر الحديث بعد أن دعت عليهم عائشة رضي الله تعالى عنها قال النبي ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»<sup>(١)</sup>.

---

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (١٢/٨) ح: ٦٠٢٤.

## المطلب الثاني

## العناية بتبشير المدعو وعمارة قلبه بالطمأنينة

لما جاء حنظلة رضي الله عنه يشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما وجد مما حسبه غفلة، بشره النبي صلى الله عليه وسلم وبشر أبا بكر بأن ما وجداه ليس من الغفلة، ولا من الإعراض عن الخير، وإنما ما وجداه طلبٌ لما هو فطري، وهو الترويح عن النفس بعد أن كانت في اجتهاد في ذكر الأحره، وبشرهما النبي صلى الله عليه وسلم بأنهما من أهل الإيمان وليسا من المنافقين.

فحنظلة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (نافق حنظلة) فسأله النبي صلى الله عليه وسلم مستوضحاً منه فقال له: «مه»، وذكر له أبو بكر الصديق مثل ما ذكر له حنظلة، فأخبرهما أن القلوب لها أحوال، وأن الحالة التي كانا فيها في بيوتهما أمرٌ فطري، وهو من الترويح المباح، وليس ذلك من النفاق، وحاشاهما رضي الله عنهما من النفاق.

(وقوله: (نافق حنظلة) إنكار منه على نفسه لما وجد منها في خلوتها خلاف ما يظهر منها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فخاف أن يكون ذلك من أنواع النفاق، وأراد من نفسه أن يستديم تلك الحالة التي كان يجدها عند موعظة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يشتغل عنها بشيء) (١).

وفي هذا درس دعوي ينبغي أن يُعامل به المدعو، وأن يجده المدعو، فالبشارة للمدعو بأنه من أهل الخير والفلاح تزيد حالة صلاحاً، وتزيده إيماناً، وتثبتته على ما هو عليه من الخير والفضل، وأما تقنيط المدعو بأن يُخوف دائماً من ذنوبه لا يُذكر له ما يُبشر به فهذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فالله أرسل رسوله بشيراً ونذيراً، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا

(١) المفهم (٦٦/٧).

أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ [سورة الأحزاب: ٤٥]، فلا بد من قرن أسلوب التبشير والندارة.

والبشارة للمدعو لها صورٌ كثيرة، منها الثناء عليه بما هو قائم به من أعمال صالحة، ومنها تذكيره بعظيم ثواب ما هو قائم به من الأعمال الصالحة، ومنها ذكرُ أحوالِ أهلِ زمانِ المدعو من أهلِ الفضلِ والصلاح، كيف أن الله أحسن إليهم واستفاض الثناء عليهم في الناس، إلى غير ذلك من صور تبشير المدعو.



## المطلب الثالث

## تنبيه المدعو إلى معالي الأمور

نجد في حديث حنظلة أن النبي ﷺ قال لهم: «لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم» الحديث<sup>(١)</sup>، (معناه لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندي لأظلتكم الملائكة لأن حال كونكم عندي حال مواجيد وكان الذي يجذونه معه خلاف المعهود إذا رأوا الأموال والأولاد ومعه ترون سلطان الحق وتشاهدونه وترق أنفسكم)<sup>(٢)</sup> وفي هذه الجزئية -أيضاً- من الحديث تنبيه حنظلة إلى التماس معالي الأمور، فالمطلب العظيم أن يكون الإنسان في زيادة من إيمانه ويقينه مع أن الترويح لا يُنافي ذلك، لكن هذا الحث النبوي دليل على أنه ينبغي للداعية أن يُحث المدعو على طلب معالي الأمور في دينه، وفي تحقيق التوحيد وزيادة الإيمان، فإذا كان هناك مدعو من المدعوين مجتهد في صلاة الجماعة وأداء السنن الرواتب؛ فإنه يُحث على قيام الليل فإن كان مُعْتَبِياً بذلك كله يُحث على كثرة الذكر وكثرة الصدقة وهكذا، وحتى في بيان الهدف والمراد فإنه يحث على طلب الدرجات العُلى من الجنة، ويُحث على طلب الفردوس الأعلى من الجنة، ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس الأعلى من الجنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخرجه.

(٢) فيض القدير للمناوي (٣١٠/٥).

(٣) ابن حبان (٢٣٨/٣) ج: ٩٥٨.

وفي جانب المعاملات يَحْتُمُّ المدعو على التحلي بأحسن الأخلاق وأفضلها من الجُود والكرم والإيثار، وهكذا يَحْتُمُّ على معالي الأمور لِيُحَصِّلَ الأفضل والأحسن فيكون في ترفي في درجات الهداية.

## المطلب الرابع

## الثناء على المدعو

لقد بشر النبي ﷺ حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما أنهما ليسا من أهل النفاق، وبشرهما بأنهما من أهل الإيمان، وفي هذا ثناء على أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهما، وهذا الثناء له أثر بالغ في تثبيت المدعو على الخير، وحثه على الاستزادة في طلب المزيد من الصلاح والهداية وتحقيق التقوى، ولا يُعارض هذا ما جاء عن النبي ﷺ في منع الثناء على الرجل في وجهه ومن ذلك حديث: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»<sup>(١)</sup> وحديث: «قطعت عنق صاحبك»<sup>(٢)</sup> حينما أثنى صحابي على صحابي آخر، فإن النبي ﷺ ثبت عنه أنه أثنى على كثير من أصحابه وهم حضور عنده ﷺ، مثل ثنائه على أبي<sup>(٣)</sup>،

(١) مسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٢٢٩٧/٤) ح: ٣٠٠٢.

(٢) البخاري: كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلا كفاه (١٧٦/٣) ح: ٢٦٦٢، ومسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (٢٢٩٦/٤) ح: ٣٠٠٠.

(٣) من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم له: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة]» قال: وسماني؟ قال: «نعم» فبكى. البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب أبي بن كعب (٣٦/٥) ح: ٣٨٠٩، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بن كعب (١٩١٥/٤) ح: ٢٤٦٥.

وثناؤه على علي: «لَأُعْطِيَنَّ الرَايَةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup> ، وثناؤه على عثمان «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»<sup>(٢)</sup> ، وثناؤه على عمر «لو سلك عمر فجاً لسلك الشيطانُ فجاً آخر»<sup>(٣)</sup> ، وثناؤه على ابن مسعود<sup>(٤)</sup> رضي الله عنهم، وغير ذلك.

والجمع بين أحاديث النهي والثناء على أصحابه رضي الله عنهم أنه لا حرج في الثناء على الرجل في وجهه إذا كان مأموناً عليه الفتنة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر<sup>(٥)</sup> .  
والداعية يُفِيدُ من هذا القول للعلماء في جواز الثناء على الرجل في وجهه إذا أُمِنَتْ عليه الفتنة، بأن يُثْنِي على المدعو إذا رأى في ذلك تحفيزاً له على فعل مزيد من الخير وتشبيهاً له.

- (١) البخاري: كتاب أصحاب النبي رضي الله عنه، باب مناقب علي بن أبي طالب (١٨/٥) ح: ٣٧٠٢، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (١٨٧٢/٤) ح: ٢٤٠٧.
- (٢) الترمذي: باب في مناقب عثمان (٦٢٦/٥) ح: ٣٧٠١، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٠١/٨).
- (٣) البخاري: كتاب أصحاب النبي رضي الله عنه، باب مناقب عمر بن الخطاب (١١/٥) ح: ٣٦٨٣، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (١٨٦٣/٤) ح: ٢٣٩٦.
- (٤) مثل حديث ابن مسعود: أنه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد». مسند أحمد: (٩٨/٧) ح: ٣٩٩١، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.
- (٥) فتح الباري (٣٩٦/١٢).

## المطلب الخامس

## تثبيت المدعو على الخير

إن الكلمات التي مدادها الود والرحمة والمتألّفة بذكر مناقب المدعو والإشادة بما هو عليه من التوفيق هذا كله له أثرٌ في تثبيت المدعو على الخير، فالمدعو توسوس له نفسه بالسوء، والشيطان يدعوه إلى السوء، ولا بُد من كلمات من الداعية تُثبته بالثناء عليه ويتألفه، ونجد أن النبي ﷺ أتى على حنظلة ثناءً زاده ثباتاً فبيّن له أنه على طريق الخير في ملازمته لرسول الله ﷺ، وملازمته مجالس النبي ﷺ، وسماعه الحديث وكتابته لكتاب الله يُعليه النبي ﷺ عليه، وأن ما حصل له من حال وجد فيها تغير قلبه لا يُنافي ما هو عليه، فهذا الثناء من النبي ﷺ تثبيت لحنظلة؛ ولذلك ينبغي على الداعية أن يُلقي من كلماته الموفقة ما يثبت به قلوب المدعوين فلا يجفوا عليهم بكلام يشعرهم بالنقصان والتقصير في أمور دينهم، وإنما يُوجه لهم الخطاب الدعوي برفق في سياق يستجلب القلوب ويتألفها، ويثبتها على الخير بالثناء بصوره المختلفة.

## المبحث الثالث

### أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

سأتناول هذا المبحث من خلال مطلبين :

### المطلب الأول

#### أساليب الدعوة خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

ينبغي على الداعية ان يُفيد من النصوص القرآنية والنصوص النبوية، في كيفية الدعوة إلى الله، والوسائل التي ترشد إليها هذه النصوص، فإن الرجوع الى هذه النصوص والإفادة منها من كل وجه، وفي الدعوة خاصة، وفي معرفة أساليب الدعوة ووسائلها من أعظم أسس النجاح والتوفيق في الدعوة الى الله، ولذلك أجد أنه من المناسب أن ألقى الضوء على ما في هذا الحديث النبوي وهذه القصة (حنظلة مع النبي صلى الله عليه وسلم) من أساليب ووسائل.

#### الأسلوب الأول: أسلوب الموعدة:

من يقرأ هذا الحديث يجد أنه أشار إلى أن مجالس النبي صلى الله عليه وسلم كان فيها الوعظ من ترغيب وترهيب، فهو يذكرهم بالجنة والنار، يرغبهم في الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، ويحذرهم من النار وما يقرب إليها من قول وعمل، فإن حنظلة رضي الله عنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كما في نص الحديث: (إذا كنا عندك فتذكرنا بالجنة والنار فكأننا نراها رأي عين)، وهذا التذكير هو الوعظ والإرشاد بجانبه الترغيب والترهيب، وهكذا كانت مجالسه صلى الله عليه وسلم فيها الموعدة الحسنة التي تعتمد مخاطبة القلوب وإثارة عواطفها بذكر اليوم الآخر؛ لتشتاق القلوب إلى الجنة فتجتهد في العمل الصالح، وتخاف القلوب من النار، فتتنفر من كل عمل يدخل صاحبه النار.

فينبغي على الداعية أن يُفيد من هذا الأسلوب النبوي، أسلوب الموعدة، فيجعل مجالسه الدعوية سواءً كانت مجالس في تعليم العلوم الشرعية أو مجالس في الإفتاء أو مجالس

في تعليم القرآن، ينبغي أن يعتني بجانب الموعدة فيعض بالترغيب والترهيب، فإن هذا الأسلوب يسوق القلوب إلى الله، ويجلوا عنها صدى الغفلة وآفات التعلق في الدنيا وحب شهواتها المحرمة.

### الأسلوب الثاني: أسلوب مراعاة مقتضى الحال:

الداعية الذي لديه حكمة ويتصف بالصفات المؤهلة لتفويقه ونجاحه في دعوته يعرف ويدرك أحوال المدعوين، كما يدرك ما ينبغي من تصرف، وكيفية إرشاد، في كل حادثة وكل موقف يحصل بينه وبين المدعوين، أو بينه وبين أحدهم، أو بين المدعوين أنفسهم، فلا بد من مراعاة مقتضى الحال، ومراعاة مقتضى الحال تعني: أن يكون لكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث يناسبها، ولكل مدعو معاملة بما يناسب حاله، فمن المدعوين من يحتاج إلى التفصيل في الوعظ والإرشاد في بيان الأحكام، ومنهم من يكفي في إلهامه وإرشاده وتعليمه الإيجاز والاختصار، ومن المدعوين من يحتاج إلى حجج في إقناعه للعمل بالعمل من الأعمال الصالحة، أو تجنب ما يشينه، ومن المدعوين من يحتاج إلى إثارة عاطفته ليعمل بما يوجه إليه، ومنهم من يحتاج إلى إثارة تفكيره وإعماله لعقله، وتدبره، ومن المدعوين من يناسب معه الإعراض أو الزجر أو المعاتبة، كما أن المواقف والحوادث تختلف، فإن الداعية قد يعمل بأسلوب من الأساليب في حادثة ما؛ لأنه لا يناسب في تلك الحادثة إلا الأخذ بهذا الأسلوب أو ذلك، مثل أن يمر به موقف يجب فيه أن يكون واعظاً مرغباً ومحذراً، وقد يكون مرة يحتاج في موقف من المواقف إلى الزجر والنهي مع الغلظة والشدة، وكل هذا من مراعاة مقتضى الحال، وما يناسب كل حادثة بعينها.

وعند تأمل حديث حنظلة هذا نجد أن النبي ﷺ، علم من أبي بكر وحنظلة من خلال حالهما ومن خلال مقالهما، حرصهما الشديد العظيم على أن يكونا في أحسن أحوال قلوبهم خشية وذكرى وورعاً وتقوى، فالنبي ﷺ راعى هذه الرغبة وهذا الحرص لدى هذين الصحابييين الجليلين، ولكنه نبههما إلى أن للنفس حق وللقلب حق، فلا بد أن تأخذ

النفس قسطها من الراحة ويروح عنها، وكذا القلب يأخذ قسطه من الراحة ويروح عنه، وهذا يجعل المسلم يراعي حالة نفسه، وحال قلبه، فكل حال يعامل المسلم قلبه فيها بما يناسب حسب توجيهات الشرع، وكذلك فإن النبي ﷺ نبه هذين الصحابييين الجليلين إلى أنهما مؤهلان لأعلى المقامات، ويعيشانها حقاً بصدق عند جلوسهم مع النبي ﷺ.

### الأسلوب الثالث: أسلوب التعليم:

الإسلام كما أشرت دين العلم، يتلقى المسلم أحكام الإسلام من خلال التعلم، والتعلم يكون تعلماً للآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، وفهمها وتطبيقها، وتعلم أيضاً بالافتداء بأهل الفضل والعلم والصلاح، وتعلم بالانتفاع بتوجيهات العلماء والدعاة إلى الله، ونجد في هذا الحديث حرص الصحابة على طلب العلم، فبمجرد أن أشكل على أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهما مسألة تغير حال قلوبهما، عادا أو رجعا إلى إمام العلماء وخير الأنبياء ﷺ فسألاه فأجابهما صلى الله عليه وسلم، وإجابته ﷺ كانت إجابة واضحة مفصلة، تزيل الإشكال وتكشف آثاره.

فلذلك النبي ﷺ في هذا الحديث استعمل أسلوب التعليم، فعلم الصحابييين أن القلوب لها أحوال والنفوس لها أحوال وأن اختلاف أحوالها ما بين زيادة إيمان ونقصه، واختلاف أحوالها من إقبال أو ميل إلى طلب الدنيا، لا يضر بإيمان المؤمن، ولا بإسلامه، فالمسلم على خير في كل حال، فما دام أنه مستقيم على طاعة الله فهو على خير، وأن أخذه بالمباح من الترويح لا حرمة فيه، ولا حرج عليه فيه.

ثم بين لهم النبي ﷺ أعلى المقامات، وبين أنه لا يمكن للإنسان أن يدوم على تلك المقامات الإيمانية التي يجدها في مجالس الذكر والعلم، لأن هذا الإنسان ضعيف، وأنه لو دام على تلك المقامات لصافحته الملائكة في الطرق وعلى الفرش.

وكذلك في هذا الحديث إرشاد النبي ﷺ الصحابة إلى طلب معالي المقامات الإيمانية، فهو حقيقة لم ينههم ﷺ عن طلب تلك الحال، ومحاوله استدامتها لكنه أشار بقوله ﷺ:



(ولكن ساعة وساعة) إلى أن الإنسان لا تثريب عليه إذا تفاوتت وتباينت أحوال قلبه من ميل إلى الترويح، أو اجتهاد في طاعه الله، فهذه الساعات التي فيها الترويح يفيد منها المسلم في أن يجتهد في غيرها من الساعات، في طلب وتحصيل أعلى المقامات الإيمانية، وهكذا ينبغي على الداعية أن يأخذ بأسلوب التعليم، فيعلم ويبين ويوضح المسائل صغيرها وكبيرها، ولا يمل من التعليم، ويلقي إلى الناس مسائل العلم إلقاءً واضحاً بيناً ينتفع به المدعو.

### الأسلوب الرابع: الحكمة في الدعوة إلى الله:

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه والحكمة في الدعوة أسلوب أرشد إليه القرآن، قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، فالدعوة بالحكمة تتضمن ان يكون الداعية رقيقاً رحيماً، على بصيرة، يدعو كل مدعو بما يناسب حاله، ويتدرج في الدعوة، ويحلم في موضع الحلم، ويغلظ في الأسلوب في موضع الغلظة والشدة، فيدعو إلى الله تعالى في كل ما تعنيه كلمة الحكمة في الدعوة إلى الله، فهو يشد ويغلظ حينما تكون الشدة مناسبة للمقام، والحال المدعو، ويظهر رأفته ورحمته حينما تدعو حال المدعو لذلك، ويهجر حينما يكون الهجر نافعاً، ويعاتب حينما يكون العتاب علاجاً نافعاً، ويقدم على الإنكار حينما يكون الإنكار لا يضر به وبدعوته، ويعرض عن المدعو إذا كان الإعراض نافعاً لهذا المدعو، وسبباً في إنكار المنكر، وهكذا.

ويراعي حال المدعويين، فمن المدعويين من يناسبه التعليم، ومن المدعويين من يناسبه المجادلة، ومنهم من يناسبه الوعظ والإرشاد، ومراعاة كل مدعو، ودعوته بأسلوب الدعوة المناسب لحاله، هذا كله من الحكمة.

قال السعدي رحمه الله: "ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"<sup>(١)</sup>.

ونجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ دعا إلى الله بحكمة في هذا الموقف الدعوي، إذ جاءه حنظلة متخوفاً من تغير حال قلبه، حتى أنه اتهم نفسه بالنفاق، ووافقه أبو بكر على هذا التخوف، وإتهام نفسه بالنفاق، أو أن المقصود النفاق اللغوي، فالنبي ﷺ قابل تخوف هذين الصحابين بأن يطمئنهما ويشرهما بأنهما من أهل الإيمان، وأنه لا خوف عليهما ولا هما يحزان.

ثم انتقل النبي ﷺ إلى بيان سبب هذا التغير، وأنه لا يضر بإيمانهما، ولا ينقص قدرهما عند الله، وأرشدتهما إلى ما اختصت به هذه الشريعة من السماحة، ومراعاة حال القلوب والأنفس، وكل هذا من الحكمة.

فينبغي على الداعية إذا جاءه سائل يسأله، أو من لديه شبهة أو من لديه إشكال في مسألة من مسائل الاعتقاد والإيمان، أو مسألة من مسائل القيم والأخلاق، أو مسألة من مسائل العبادات، أن يقابل سؤال السائل في إجابة تغرس فيه مزيداً من المحبة لهذه الدين، والثبات عليه، ولا يقتصر الداعية في جوابه على كشف الشبهة، وإزالة الإشكال، بل ينقل المدعو إلى تفهم حقائق الدين، ومعرفة محاسن الشريعة ومقاصدها؛ ليغرس في نفس هذا المدعو البصيرة في محاسن هذا الدين وقيمه ومبادئه، ويصبره بهذه المقاصد والمحسن؛ ليتأسس لديه علم نافع، ومعرفة ثاقبة لهذا الدين، وحسن مقاصده، وعظيم محاسنه، وهذا كله من الحكمة في الدعوة إلى الله.

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

## الأسلوب الخامس: أسلوب الحوار:

الحوار هو أسلوب دعوي، يجاور به الداعية المدعو من خلال مناقشة ما لدى المدعو من آراء وأفكار، والمقصد من الحوار هداية المدعو إلى ما هو خير له في الدنيا والآخرة، بيان الحق فيما سأل عنه وحوار حوله وفيه، فمن المدعويين من لا يقبل النصيحة إذا جاءت وعظماً، ومن المدعويين من يجب أن يعمل عقله في كل مسألة تلقى إليه، ويحكم عقله، ومن المدعويين من يجب أن يكون مقتنعاً بما يدعى إليه، فإذا وجد الداعية أحداً من هذه الأصناف من المدعويين، فإنه ينبغي عليه أن يفيد من أسلوب الحوار، ويناقش ويجاور المدعو، فيعرض الأدلة على صحة ما يقوله، ويسمع من المدعو الإشكالات، أو إن كان عنده شبهات يناقشها ويدحض تلك الشبهات، ويرد عليها بالأدلة الشرعية، حتى يتقبل المدعو ما يدعوه الداعي إليه، وتزول عن ذهنه الشبهات وتنجلي، وهذا موجود في السنة كثيراً، فقصة الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً. قال: فجلس، قال: «أتجبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتجبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتجبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتجبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتجبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن

فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup> . فالنبي ﷺ لم يزجر الشاب ويطرده، وإنما حاوره بأسئلة: أتحب هذا لأمك، أتحب هذا لأختك... إلخ. ثم اقتنع الشاب. وهكذا جرى حوار بين النبي ﷺ مع عدد من الصحابة، فهذا الحديث الذي بين أيدينا، -حديث حنظلة- نجد أن النبي ﷺ حاور حنظلة رضي الله عنه، ففي أول الأمر بين له أنه لو كان حاله يدوم على تلك الحالة التي هو عليها حين مجالسة النبي ﷺ، لصافحته الملائكة في الطرق وعلى الفرش، لكن القلوب تتغير أحوالها وتكل وتمل، ثم النبي ﷺ أشار إلى مسألة أخرى، وهي أن لا بد للقلب من الراحة والترويح، وهذا كله من الحوار، وينبغي على الداعي أن يفيد من ذلك في دعوته لله تعالى، فيعمل أسلوب الحوار الذي أشار إليه هذا الحديث.

(١) مسند أحمد (٥٤٥/٣٦) ح: ٢٢٢١١، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

## المطلب الثاني

الوسائل الدعوية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

الوسيلة الدعوية: هي ما يتوصل به إلى عرض الدعوة وبيان أهدافها، وتكون الوسيلة مادية أو معنوية، وليس هذا مجال الحديث عما يتعلق بالتأصيل لمسألة وسائل الدعوة، وحسبي في هذا المبحث أن أذكر ما أرشد إليه الحديث من وسائل دعوية:

## الوسيلة الأولى: زيارة العلماء:

وهذه الوسيلة ينتفع بها الداعية، وينتفع بها المدعو، فأما الداعية فإن زيارته للعلماء تزيده علماً وبصيرة في معرفة كيفية الدعوة، وتحديد المقصد منها، ومعرفة وسائلها، ومعرفة أصناف المدعويين، وما يناسب كل صنف، وزيارة العلماء تنفع الداعية في تعليمه الأحكام العقدية، والأحكام الفرعية، وعموم مسائل الدين، والتعرف على محاسن الشريعة ومقاصدها.

فزيارة العلماء كلها خير، وتجعل الداعية بصيراً بكيفية معالجة كل ما يجد ويشكل عليه في طريق دعوته، وذلك من خلال عرض تلك الإشكالات على العلماء، فيرشدونه إلى هدي القرآن وهدي النبي ﷺ، وهدي سلف الأمة، ومن هذا أن عتبان بن مالك رضي الله عنه استزار النبي صلى الله عليه وسلم في بيته فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأخذ مصلي، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سأفعل إن شاء الله»، فأتاه فصلى في بيته <sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت (٩٢/١) ح: ٤٢٥.

وزيارة العلماء نافعة للمدعو، فإن زيارة المدعو للداعية ذو العلم الغزير، تنفعه في تعليمه أحكام الشريعة، وفي تثبيته على الاستزادة من الخير، ومجانبة المعاصي والذنوب، وفي التوبة إلى الله من كل خطيئة، وفي إصلاح قلب المدعو وطهارته من الأهواء والأدواء كلها، فمن زار العلماء سلم ونجا من الأهواء بأنواعها، والفتن بأنواعها، والأدواء بأنواعها، فإن كل إنسان مُعرض للفتنة، ولكن لا ينجو من الفتن، ولا ينجو من الأهواء والأدواء، إلا من رجع إلى الكتاب والسنة وهدى السلف، وهذا لا يتأتى للمسلم إلا بالرجوع إلى العلماء، الذين يُبينون له نصوص الكتاب والسنة وِفَقَها، على فهم السلف ووفق فهم السلف.

ونجد في حديث حنظلة رضي الله عنه هنا أن أبا بكر رضي الله عنه وحنظلة اتفق رأيهما على العودة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ورجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وزاراه، وقبل ذلك كانا في مجلسه، فهذا يدل على أن هذه الوسيلة نافعة لأهل العلم، ونافعة لعموم الناس فأبو بكر من أعظم الصحابة وأغزرهم علماً، وحنظلة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم على علم غزير، وإذا كان هذا نافع للعلماء من الصحابة، فهو نافع للعلماء الذين في زماننا هذا، ونافع للدعاة الذين في زماننا وكذلك نافع لعامة المسلمين، أعني زيارة العلماء في كل زمان.

### الوسيلة الثانية: ضرب الأمثال:

ضرب الأمثال ورد في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٥]، في غير آية من كتابه، ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبه لهم الأشباه ليتذكروا، وليعتبروا بها ويتعظوا<sup>(١)</sup>، والنبي صلى الله عليه وسلم ضرب الأمثال لأصحابه في أحاديث كثيرة

(١) انظر: جامع البيان (١٦/٥٦٧).

منها قوله: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم » الحديث <sup>(١)</sup> ، ومنها أنه سأله صلى الله عليه وسلم بقوله: «أخبروني عن شجرة، مثلها مثل المؤمن» <sup>(٢)</sup> ، وغير ذلك، وهناك أحاديث كثيرة في ضرب الأمثال.

فضرب الأمثال وسيلة دعوية جاءت في الكتاب والسنة، ولا بد للداعية أن يفيد منها في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، وهنا في حديث حنظلة أشار النبي ﷺ إلى وسيلة ضرب الأمثال من خلال قوله: «لو تكونوا على مثل ما أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة» الحديث <sup>(٣)</sup> ، ففي هذه الجزئية من الحديث: النبي ﷺ يضرب لهم مثلاً للحال التي يتطلبون أن يكونوا عليها، وكيف لو كانوا عليها كيف يكون حالهم.

### الوسيلة الثالثة: الترويح:

ذكرت من قبل أن النبي ﷺ كان يُداعب أصحابه ويمزحهم، ويمزح أهله وذريته وأصحابه رضي الله عنهم جميعاً، ولا شك أن ما يفعله النبي ﷺ حق، ولذلك قال له الصحابة - كما بينت من قبل - : (إنك لتمازحنا)؟ قال: (نعم، وإني لا أقول إلا حقاً) <sup>(٤)</sup> . وهذا يعني أنه لا يمزحهم صلى الله عليه وسلم إلا لتبهيهم إلى ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم، فيؤخذ من هذا أن الممازحة والمداعبة - وهما صورتان من صور الترويح - وسيلتان من وسائل الدعوة، فالترويح بكل صوره المباحة، يمكن أن يكون وسيلة دعوية إذا كان الداعية قد التزم في أخذه بوسيلة الترويح بما جاء من الهدي النبوي، ولم يكن مخالفاً لشيء

(١) البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٢٧/١) ح: ٧٩، ومسلم: كتاب الفضائل،

باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (١٧٨٧/٤) ح: ٢٢٨٢.

(٢) مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٢١٦٥/٤) ح: ٢٨١١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

من هديه صلى الله عليه وسلم في الممازحة، فلا يكون مخالفاً لشيءٍ من هديه صلى الله عليه وسلم في الترويح، فلا يكون ترويحاً صارفاً عن طاعة ولا مثبّطاً عنها، ولا داعياً إلى معصية، وليس فيه أذية لأحد، وليس فيه مخالفة أمر من أوامر الله ورسوله ﷺ، ولا تقليل من شأن شعيرة، ولا مساس بها، وهكذا.

وقد تحدث الامام ابن القيم رحمه الله عن الترويح المباح وما فيه من دفع مفسد وجلب مصالح، ثم ذكر شيئاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الترويح عن أمنا عائشة وذكر الأحاديث في ذلك<sup>(١)</sup>.

ثم قال "وهل الاستعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل إلا خاصة الحكمة والعقل؟ بل يصير ذلك من الحق إذا كان مُعِيناً عليه، ولهذا كان هُمُ الرجل بفرسه وقوسه وزوجته من الحق، لإعانتها على الشجاعة والجهاد والعفة، والنفوس لا تنقاد إلى الحق إلا ببرّطيلٍ، فإذا بُرِطِلَتْ بشيءٍ من الباطل لتبذل به حقاً، وُجُودُهُ أنفعُ لها وخير من فوات ذلك الباطل، كان هذا من تمام تربيتها وتكميلها. فليتأمل اللبيب هذا الموضوع حق التأمل، فإنه نافعٌ جداً، والله المستعان"<sup>(٢)</sup>.

فمتى كان الترويح منضبطاً وأحسن الداعية في استعماله النية، فإنه يكون وسيلة دعوية مشروعة.

ونجد أن حنظلة رضي الله عنه في هذا الحديث ذكر هو وأبو بكر رضي الله عنهما أنهما ينصرفان إلى بيوتهما بعد الجلوس مع النبي ﷺ، فيعافسان الأزواج والأهلين والضيعات، وهذا يتضمن الترويح بأنواعه، من ممازحة ومداعبة ونحو ذلك، فالنبي ﷺ أقرهما على ذلك، ونبههما إلى أن هذا الترويح يكون عوناً على طاعة الله تعالى، وتجديداً للاحتجاج في العمل بطاعة الله تبارك وتعالى، والاستزادة من الأعمال الصالحة التي يتقوى بها الإيمان، فأشار النبي ﷺ إلى

(١) الكلام على مسألة السماع (١/٢٣٥-٢٣٦).

(٢) المرجع السابق (١/٢٣٧).



أن الإنسان إذا أحسن النية في الترويح، فقصده أن هذا الترويح يعينه ويعين من حوله ممن يمارس معهم ولهم الترويح، فإنه يكون ذلك من باب العون على الطاعة، ومما لا حرج فيه، ومما ينفع المسلم في إيمانه ولا يضره.

## المبحث الرابع

### دروس أخلاقية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

سأتناول هذا المبحث من خلال عدة مطالب تتمثل فيما يلي:

### المطلب الأول

#### غرس الإيمان وقيمه في نفوس المدعوين

كما أوضحت من قبل فإن التوحيد هو أول ما ينبغي للداعية أن يعتني بالدعوة إليه، فبين مسائله ويحذر مما يضاده أو يضاد كماله، فالدعوة إلى التوحيد هي دعوة رسل الله عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦]، ومن الدعوة إلى التوحيد الدعوة إلى الإيمان بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته، وبيان حقه سبحانه وتعالى، والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة والكتب والرسول والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الدعوة غرس القيم الإيمانية، وتربية النفوس على اليقين بالله سبحانه وتعالى؛ فاليقين بالله جل وعلا من أعظم ما يُعطاه العبد، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ «فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية»<sup>(١)</sup>، ومن اليقين اليقين بالجنة والنار، وهذا كله الذي ذكرته موجود في حديث حنظلة، فهو ما كان يدعو إليه النبي ﷺ من تقوية إيمان الصحابة وبقينهم، وتذكيرهم بالجنة والنار، ولذلك كانوا يعيشون مع النبي ﷺ في مجالسه كأهم يرون الجنة والنار رأي العين.

(١) النسائي: كتاب عمل اليوم واللية، باب مسألة المعافاة (٣٢٧/٩) ح: ١٠٦٥٨، والترمذي: أبواب

الدعوات (٥٥٧/٥) ح: ٣٥٥٨، وقال الألباني: حسن صحيح (٥٨/٨).

فعلى الداعية أن يُفيد من هذا في أن يكون هدفه الأعظم والأسمى الدعوة إلى الإيمان بالله جل وعلا، وتحقيق كمال الإيمان من خلال المواعظ بالتذكير بالجنة والنار، والمتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد أنه عليه الصلاة والسلام في كثير من مواعظه وخطبه وتعليمه ﷺ يُذكر بالجنة ونعيمها ويرغب في الاجتهاد في طلب الدرجات العُلا منها، كما يحذر من النار، ويحذر من الأعمال والأقوال التي تقرب إلى النار، ومن أمثلة تذكيره ﷺ في خطبه أنه كان يقول: «أندرتكم النار»<sup>(١)</sup> كان يقولها كأنه مُنذِرُ الجيش، وكذلك ﷺ في خطبة خطبها حينما حصل الكسوف والخسوف ذكر الجنة وذكر النار<sup>(٢)</sup>، ومرّةً وعظ الصحابة وعلمهم من الفجر إلى المغرب يقطع ذلك الوعظ بالصلاة<sup>(٣)</sup>، كان يُذكر بالجنة والنار عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان يُرغب عليه الصلاة والسلام في حثه أصحابه على طلب الدرجات العُلا من الجنة، ومن ذلك حديثه عن أهل الجنة من هم وما صفاتهم، وحديثه عن أهل النار وما صفاتهم.

(١) مسند أحمد (٣٤٩/٣٠) ح: ١٨٣٩٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) البخاري: كتاب العلم (٢٨/١) ح: ٨٦، ومسلم: كتاب الكسوف (٦٢٢/٢) ح: ٩٠٤.

(٣) ونص الحديث: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غرت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»، أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٢١٧/٤) ح: ٢٨٩٢.

## المطلب الثاني

### تزكية القلوب وصفاء النفوس بذكر الدار الآخرة

القلب هو المضغة التي بصلاحتها تصلح الجوارح وبفسادها تفسد الجوارح وبصلاح هذه المضغة تصلح الأعمال وبفسادها تفسد الأعمال حتى قال النبي ﷺ «ألا إن في الجسد مضغة» الحديث <sup>(١)</sup>، وأشار ﷺ إلى صدره فقال «التقوى ها هنا» <sup>(٢)</sup> فلا بد أن يعتني الداعية بإصلاح قلبه، ويتفقد أحواله، وكذلك المدعو لا بد أن يعتني بصلاح قلبه، ويتفقد أحوال قلبه، فما الذي جعل حنظلة يتفكر ويتدبر ويسأل هذا السؤال؟ لم يدفعه لذلك إلا ملاحظته لحال قلبه، فإنه حينما كان عند النبي ﷺ يجد من زيادة الإيمان ما لم يجده حينما رجع إلى داره، وعافس الأولاد والضياع والزوجات، فمراقبته لحال قلبه أوجبت لديه أن يسأل هذا السؤال للنبي ﷺ عن سبب تغير حال قلبه.

فنأخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للمسلم أن يتفقد أحوال قلبه، والقلب سمي قلباً لكثرة تقلبه، فهو يتقلب. ولتذكر الداعية أن قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء، كما في الحديث <sup>(٣)</sup>. فالواجب أن يحرص الإنسان على تزكية قلبه وتنقيته من كل الأهواء والأدواء، وأن يعثر قلبه بصالح الأعمال، أعمال التوحيد من التوكل على الله وحسن الظن به ورجائه وخوفه والحياء منه وإجلاله سبحانه وتعظيمه، وأن يعمر المسلم قلبه بحب الخير للمسلمين وحسن الظن بهم، ومجانبة أذيتهم والحقد عليهم، وسوء الظن بهم،

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٢٠/١) ح: ٥٢، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) ح: ١٥٩٩.

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (١٩٨٦/٤) ح: ٢٥٦٤.

(٣) مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٠٤٥/٤) ح: ٢٦٥٤.

وبهذا يصلح القلب عامراً بطاعة الله تبارك وتعالى، فمتى كان قلب الداعية صالحاً سليماً منيباً كان وعظه وتعليمه أكثر نفعاً للناس، ومتى كان المدعون أصحاب عناية بقلوبهم، كانت المواعظ تؤثر فيهم، والتعليم لمسائل الدين ينفعهم.

ومن الموضوعات التي ينبغي أن يُعنى بها أيضاً موضوع الحث على الاجتهاد في طلب الآخرة، وهذا لن يتأتى إلا بتزكية القلوب وشفاء النفوس، فقد كان النبي ﷺ في مواعظه وتعليمه وسائر مجالسه يحث الصحابة على الاجتهاد في طلب الآخرة، ويحثهم على التسابق فيما يُبلغهم رضوانه سبحانه وتعالى، وينالون به أعلى الدرجات في الجنة، فهو عليه الصلاة والسلام في حديث حنظلة هنا يُبين عليه الصلاة والسلام لحنظلة أنه لو دام حنظلة في حاله الإيمانية على ما كان عليه عند النبي ﷺ، قبل أن يخرج من عنده لصافحته الملائكة في فراشه وفي طريقه، فهذا التوجيه النبوي فيه حث لحنظلة على أن يسعى في أن يكون غالب أحواله كذلك، ولم يُلزمه النبي ﷺ بأن يكون حاله كذلك على الدوام، فهذا مُتعدّر فإذا حث الإنسان على أن يجتهد في طلب الآخرة، هذا ظاهرٌ في هذا الحديث.

وكذلك نجد النبي ﷺ يذكرهم بالجنة والنار ليجتهدوا في طلب النجاة والفلاح يوم القيامة، ويجتهدوا في تحصيل نجاتهم من النار، ولذلك قال له حنظلة هنا: (إننا حينما نكون عندك فتذكرنا بالجنة والنار فكأننا نراها رأي العين)<sup>(١)</sup>، وهذا يلين القلوب ويتركبها ويصفي النفوس ويطهرها بالخوف والوجل وطلب العفو من الغفور الرحيم، هذا دليلٌ على أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر من ذكر الجنة، ويحثُّ على طلبها، ويكثر من ذكر النار، ويحذر منها، وينبغي أن يركز الداعية على هذا الهدف، وهو حث المسلمين على التسابق في طلب ثواب الآخرة والنجاة من عذاب الآخرة.

(١) سبق تخريج الحديث.

## المطلب الثالث

### الدعوة للوسطية

من خصائص هذه الأمة أنها أمة وسطية كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، قال القرطبي: "أي هذه الأمة لم تغل غلو النصراني في أنبيائهم، ولا قصرُوا تقصير اليهود في أنبيائهم"<sup>(١)</sup>، فالأمة الإسلامية أمة وسط في اعتقادها، وفي عبادتها، وفي تعامل بعضها مع بعض، وتعاملها مع غيرها من الأمم، ووسطية في قيمها وأخلاقها.

فالدعوة إلى الوسطية موضوع مهم، ينبغي أن يعتني كل داعية بالدعوة إليه، كما ينبغي على كل مدعو أن يحرص على تحصيله، وإننا نجد في حديث حنظلة هذا أن النبي ﷺ أرشد حنظلة وأبا بكر إلى مراعاة الحالين: حال حينما يكونون في مجالس الذكر ومع النبي ﷺ، وما يحصل من عظيم زيادة الإيمان، وحال حينما يكونون في الأهلين فيعافسون الضيعات والأولاد والزوجات، وهاتان الحالتان الأولى منهما حالة الكمال، والحالة الثانية الحالة الفطرية العادية، فالإسلام لم يمنع مما فطرت عليه النفوس من حُبها لما جبلت عليه، من حب الشهوات المباحة، وطلب متاع هذه الدنيا والتلذذ به.

وبهذا يتبين أن الإسلام دين الوسطية لا يحرم ما فطرت النفوس على حبه، من الشهوات المباحة وملاذ الدنيا، كما أنه لا يأمر الإنسان المسلم بأن يكون على حال الكمال في زيادة الإيمان في كل أحواله، فالنفس لها أحوال، والقلوب لها أحوال، ما بين ضعف إيمان وقوة إيمان، وما بين غفلة وبين يقظة، وما بين انشغال بدنيا، وما بين اجتهاد في طلب الآخرة، وذكر لها، والمطلوب أن يكون المسلم في عموم حاله طالباً لآخرفته ولا

(١) تفسير القرطبي (٢/١٥٤).

تُلهيه الدنيا، وهذه الوسطية هي التي هدف النبي ﷺ إلى الإرشاد إليها من خلال هذا الحديث، فقد نبه حنظلة وأبا بكر أنهما على خير وأنهما على طريق الوسطية، وأنهما على ذكرٍ للآخرة، ولكن تتفاوت حالات إقبال القلب، وإقبال النفس على كمال الاجتهاد في ذكر الآخرة.

## المطلب الرابع

### سماحة الإسلام

كما أن الإسلام دين الوسطية فهو دين السماحة، يترك للنفس البشرية مجالاً أن تجد ما تلهو به من اللهو المباح، مما يخفف عنها ويجعلها بعد ذلك تُقبل على الطاعات، وهذا من سماحة الشريعة فلا رهبانية في الإسلام.

الإسلام دين يراعي أحوال النفس البشرية، كما يراعي حال الإنسان في بدنه، فإنه لا يكلف المريض والعاجز ما يكلفه الصحيح في بدنه، وكذلك النفس تكون مقبلة أحياناً على الطاعة فيجتهد الإنسان في طلب الآخرة، وتكون النفس أحياناً ما في مللٍ وتناقل، فلا بد لها من لهُو يخفف عنها ما تجده من مشقة وثقل، وهذا ملمحٌ عظيم تظهر من خلاله سماحة هذه الشريعة. فالشريعة الإسلامية لم تحرم على الإنسان أن يستمتع بديناه فيما أحله الله تعالى وأباحه، وما أكثر المباحات، ولم تحرم على المسلم أن يلهو لهواً مباحاً يخفف به عن نفسه ويجعلها أقرب إلى نشاطٍ متجدد في طاعة الله سبحانه وتعالى.

ونلاحظ في حديث حنظلة أن النبي ﷺ لم ينكر على حنظلة وأبي بكر ما يفعلانه من الاشتغال بالحرف والتجارة ومُعافسة الأولاد والزوجات، بل إنه ﷺ نبههما إلى مشروعية ذلك، وأنه لا بد لهما منه فقال «ولكن ساعة وساعة»<sup>(١)</sup> وبين لهما أن الإنسان يعجز بطبيعته على الثبات على حال زيادة الإيمان، التي تكون في مجالس الذكر، وذكر الجنة والنار، وهذا كله بيان لسماحة الشريعة الإسلامية، وقد كان سيد الخلق ﷺ يُمَارِح زوجاته ويمارح بعض ذريته ويمارح أصحابه ﷺ، وكان يضحك ﷺ، وكان يتبسم عليه الصلاة والسلام، وكل هذا من سماحة الشريعة الإسلامية ولكن لا ينافي حال الكمال.

(١) سبق تخريج الحديث.



## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد :

فهذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، والتوصيات:

## أولاً: أبرز نتائج البحث:

- ١- عظم شأن حديث حنظلة في إعداد الداعية.
- ٢- اشتمل هذا الحديث على توجيهات نبوية كريمة تهدي الدعاة إلى ما تزكو به أنفسهم وتصلح به قلوبهم.
- ٣- اشتمل الحديث على توجيهات إذا أخذ بها الداعية سلك منهج الوسطية والاعتدال في شأنه كله.
- ٤- يرشد الحديث إلى أنه ينبغي على الدعاة أن يبينوا سماحة الإسلام ورحمته ووسطيته وبيان صور ذلك.
- ٥- يؤكد الحديث على أن التواصل الوثيق بين الدعاة ومن يدعوهم من أهم أسس نجاح الدعوة الوسطية.
- ٦- هذا الحديث يرشد إلى وجوب العناية بحسن التعليم وكل أسلوب ووسيلة تثمر حصول ذلك.
- ٧- الترويج مشروع وأباحه الشرع للداعية والمدعو بضوابط شرعية.
- ٨- للداعية الإفادة من الترويج كوسيلة دعوية في إناس المدعو مما يعين المدعو على الثبات على الخير والاستزادة منه.

## ثانياً : أهم توصيات البحث:

- ١- دراسة الأحاديث التي تظهر وسطية الشريعة وسماحتها دراسة دعوية يفيد منها الدعاة في بيان محاسن الشريعة ومقاصدها.
- ٢- إعداد الدراسات الدعوية لسير الصحابة رضي الله عنهم التي تظهر وسطيتهم والإفادة من هذا في مجال الدعوة.
- ٣- إعداد دراسات للحديث النبوي تبين أنواع الترويح المباح الذي يمكن أن يستفيد منه الدعاة كوسيلة دعوية في تبليغهم الدعوة إلى الله تعالى.
- ٤- دراسة الأحاديث التي توضح خصائص مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم العلمية والوعظية وصفحتها ليستفيد منها الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى.
- ٥- إعداد المزيد من الدراسات في بيان نظرة الإسلام للعالمية ليستفيد الدعاة إلى الله تعالى من ذلك في بيان وسطية هذا الدين وترغيب الخلق في الالتزام بأحكامه
- ٦- حبذا أن يعتني الباحثون في علم الدعوة إلى الله تعالى بمزيد من دراسة الأحاديث التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى سماحة الشريعة الإسلامية ويسر أحكامها والإفادة من تلك الدراسات في مجال إعداد الدعاة إلى الله وإثراء علم أساليب الدعوة ووسائلها.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٥- أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد - السعودية، ط٥، ١٤٢٠هـ.
- ٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ٧- تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار- عمان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ٨- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، حقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ٩- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- ١٠- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- ١١- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة- القاهرة- مصر، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٢- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد- سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٤- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٥- حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، دار الجيل - بيروت، د.ط.

١٦- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٧- سنن ابن ماجه = جامع السنن، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، علق عليه: عماد الطيار، وياسر حسن، وعز الدين ضلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٩- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم

عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢،  
١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٠- سنن النسائي = السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، أبو عبد  
الرحمن النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شليبي، أشرف عليه:  
شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)،  
دار الوطن للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.

٢٢- صحيح ابن حبان = المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، محمد بن حبان  
بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى:  
٣٥٤هـ)، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، ط ١،  
١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

٢٣- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،  
تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢٤- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري،  
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط.

٢٥- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:  
١٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

٢٦- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،  
برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

- ٢٧- صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.
- ٢٨- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد الجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، ط ٢، د.ت.
- ٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.
- ٣١- قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ.
- ٣٢- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، د.ط.
- ٣٣- الكلام على مسألة السماع، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٣٢هـ.

٣٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلية (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار القبلة- جدة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٧- مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبيري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط ١، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.

٣٨- معرفة الصحابة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدية (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عامر حسن صبيري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٩- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير،



دمشق- بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-  
١٩٩٦م.

٤١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف  
النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

٤٢- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن  
المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب،  
مراكش- المغرب، ط ١.

٤٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن  
محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)،  
المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.



البحث رقم (٤)

المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة  
في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)

إعداد

د. سويلم بن حاضر العتيبي



## ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠م)، ويتناول البحث في إطار ذلك مفهوم التنمية المستدامة في النظم الوضعية وفي الإسلام، موضحاً إن التنمية التي يدعو الإسلام لتحقيقها هي تنمية شاملة لجميع مناحي الحياة ومجالاتها، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها عبادة واطاعة لله عز وجل، وهو ما يعكس أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهدافها في ضوء الواقع المعاصر وما نصت عليه رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، كما يتناول البحث في إطار ذلك أيضاً مدى عناية القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من مصادر الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة فضلاً عن بيان الأسس والأساليب الدعوية التي تساعد الدعاة إلى الله عز وجل على تعزيز التنمية وتحقيق أهدافها، وقد توصل الباحث من خلال دراسته لعدد من النتائج، أبرزها: أن الدعوة الإسلامية قد أولت التنمية المستدامة عناية كبرى، وقدمت لتحدياتها الحلول الوقائية والعلاجية التي تجعل للإسلام قصب السبق في تقرير مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها قبل غيره من الأديان، وأن التنمية المستدامة في الدعوة الإسلامية ذات أسس وأهداف سامية تعني بتنمية الإنسان روحياً وأخلاقياً وفكرياً وحضارياً باستخدام أساليب مناسبة لتحسين جوانب التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، أن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) تعد من أهم الركائز التي تركز عليها وتنطلق منها المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في الواقع المعاصر، وأن مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل لا تقل عن مسؤولية غيرهم من أبناء الأمة في تعزيز التنمية المستدامة والعمل على تحقيق أهدافها. كما أوصت الدراسة بعدد من التوصيات، أبرزها: مناقشة علماء الأمة وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسير على

الناس في شئون حياتهم، فالمنهج الوسطي هو المنهج الذي رضي به الله تعالى للأمة وهو أيضا ذات المنهج الذي اتخذته رؤية المملكة (٢٠٣٠) أساسا ومنطلقا لتحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها، كما أوصت أيضا بضرورة تعزيز التعاون والشراكة بين وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدعوية والوزارات والمؤسسات المعنية بالبيئة في الدول الإسلامية وغيرها؛ من أجل القيام بمبادرات مشتركة تؤصل لأهمية الدعوة الإسلامية ودورها في الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

## Abstract

This study aims to identify the responsibility of preachers to God Almighty towards promoting sustainable development and achieving its goals in the light of the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (2030 AD). Comprehensive development for all walks of life and its fields, which is a duty of every Muslim as it is worship and obedience to God Almighty, which reflects the importance of advocacy responsibility towards achieving its goals in light of contemporary reality and what is stipulated in the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (2030), as the research deals with in this context Also, the extent to which the Holy Qur'an, the Prophet's Sunnah and other sources of Islamic da'wah care for sustainable development, as well as a statement of the foundations and advocacy methods that help preachers to God Almighty to promote development and achieve its goals. Sustainable development has taken great care, and presented to its challenges preventive and curative solutions that make Islam the forerunner in deciding the principles and objectives of sustainable development before other religions, and that sustainable development is sustainable development in

the Islamic call with lofty foundations and goals concerned with the development of human beings spiritually, morally, intellectually and civilly by using appropriate methods to improve aspects of sustainable development and achieve its goals, that the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (2030) is one of the most important pillars on which it rests and the advocacy responsibility towards achieving sustainable development in reality Contemporary, and that the responsibility of the preachers to God Almighty is no less than the responsibility of other sons of the nation in promoting sustainable development and working to achieve its goals. The study also recommended a number of recommendations, most notably: an appeal to the nation's scholars and all those working in the field of calling to God Almighty to take the approach of moderation and moderation of Islam in all fields of Islam, and not to be exaggerated and difficult for people in their life affairs. It is also the same approach taken by the Kingdom's Vision (2030) as a basis and a starting point to achieve sustainable development and reach its goals. It also recommended the need to strengthen cooperation and partnership between the Ministry of Islamic Affairs and other advocacy institutions, ministries and institutions concerned with



the environment in Islamic countries and others; In order to carry out joint initiatives that root the importance of the Islamic call and its role in preserving the environment and achieving sustainable development goals.

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن قضايا التنمية المستدامة<sup>(١)</sup> بمختلف جوانبها قد احتلت مكاناً بارزاً في كافة المجتمعات وحظيت باهتمام بالغ من قبل العلماء والباحثين والمفكرين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والفكرية باعتبارها محورا أساسيا لمستقبل البشرية والوسيلة المثلى لتحقيق حياة أفضل للشعوب والمجتمعات، فهي عملية ضرورية وحيوية لتحريك المجتمعات ونقلها من وضع إلى وضع أفضل يبدأ من المجتمع وتنتهي لصالحه.

ولما كانت المملكة العربية السعودية - حفظها الله ووفق قادتها- في مصاف دول العالم التي تسعى لتحقيق التنمية المستدامة في شتى الجوانب والمجالات، فقد أولت رؤية المملكة المباركة (٢٠٣٠) اهتماما بالغا بقضايا التنمية المستدامة ودعت لتحقيق أهدافها من خلال عدد من المحاور التي تركز على أسس الدعوة الإسلامية وتنطلق من مبادئها، الأمر الذي عبر عنه القادة - حفظهم الله - بقولهم: "نحيا وفق مبادئنا الإسلامية... يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا

(١) التنمية المستدامة- كما عرفتها اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية- هي: "التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون أن تقوض قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء باحتياجاتها"، المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغير المناخ: تقارير اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (٢٠١٠ - ٢٠١٥)، ص (٢٩)، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ٢٠٢٠م.

وقراراتنا وتوجهاتنا . لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بمهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات" (١).

فالمنهج الذي تبنته القيادة الرشيدة لتحقيق التنمية هو منهج الإسلام القائم على الوسطية وإتقان العمل والانضباط والتسامح والعدالة والشفافية، ما يعني أن نقطة انطلاقنا في العمل على تحقيق التنمية المستدامة ستكون بتلك المبادئ، وهو أيضا ما يبرز أهمية مسؤولية الدعوة إلى الله في تدعيم هذا الجانب الذي أكد عليه ولاة الأمر وجعلوه في أولى اهتمامات الرؤية، ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)"، وفيما يلي عرض للنقاط التي اشتملت عليها مقدمة الدراسة:

#### أولاً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث وأسباب اختياره في عدة نقاط، أوجزها فيما يأتي:

(١) أهمية التنمية المستدامة ومدى حاجة البشرية إلى منهج الدعوة الإسلامية في تحقيقها، وخاصة أن النماذج والتطبيقات التنموية الوجودية لم تتمكن من تلبية متطلبات التنمية وتحقيق أهدافها على النحو الأمثل.

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

(٢) صلتها القوية بواقع أمتنا العربية والإسلامية على وجه العموم، وبلادنا

بصفة خاصة، فالتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها من أهم ما تتبناه المملكة العربية السعودية وتسعى رؤية المملكة (٢٠٣٠) للوصول إليه.

(٣) ما أوصت به العديد من المؤتمرات المعنية بالبيئة والتنمية، فقد أوصى

أعضاء المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بضرورة تعزيز دور المؤسسات الدينية والدعوية وتعاون أبنائها مع غيرهم من أبناء المؤسسات المجتمعية الأخرى لتحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: أهداف البحث:

لقد وضعت لهذا البحث جملة من الأهداف تتمثل فيما يأتي:

- (١) التعرف على مفهوم التنمية المستدامة في النظم الإسلامية والوضعية.
- (٢) بيان أوجه أهمية التنمية المستدامة ومكانتها في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠).
- (٣) إبراز أوجه عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من المصادر الدعوية.
- (٤) تسليط الضوء على مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

---

(١) ينظر: التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، ص (١٣-١٥)، أعمال المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة، الرباط، المملكة المغربية، ٢، ٣، أكتوبر، ٢٠١٩م.

(٥) بيان أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(٦) الكشف عن أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

### ثالثا: تساؤلات البحث:

يطرح هذا البحث عددا من التساؤلات التي يسعى الباحث للإجابة عليها، ومن أبرزها ما يأتي:

- (١) ما هو مفهوم التنمية المستدامة في النظم الإسلامية والوضعية؟
- (٢) ما أوجه أهمية التنمية المستدامة ومكانتها في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠)؟
- (٣) ما أوجه عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وفقا لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من المصادر الدعوية؟
- (٤) ما مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)؟
- (٥) ما هي أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟
- (٦) ما هي أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

### رابعا: الدراسات السابقة:

لقد تبين للباحث من خلال البحث والتنقيب وجود بعض الدراسات التي تناولت الحديث عن التنمية المستدامة بشكل أو آخر ، ولعل من أبرزها ما يأتي:

(١) التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، مجلة  
البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة  
المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧م.

وتهدف هذه الدراسة إلى الاستدلال على معرفة الإسلام لفكرة التنمية المستدامة  
لموارد البيئة من خلال بعض الآيات القرآنية، وكيف نصَّ الله تعالى في القرآن الكريم على  
ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية وحمايتها، وقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها: أن  
العالم لم يعرف مصطلح التنمية المستدامة إلا حديثاً، أما الإسلام فقد أشار إلى ذلك من  
خلال الآيات القرآنية، بينما دراستي تهدف إلى معرفة الإسلام للتنمية المستدامة من  
خلال جميع المصادر الدعوية لا من خلال القرآن الكريم فحسب، فضلاً عن بيان مدى  
عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهميتها في تحقيقها في ضوء رؤية المملكة  
(٢٠٣٠).

(٢) التنمية المستدامة ودورها في استشراق مستقبل الدعوة على ضوء رؤية ٢٠٣٠م،  
إعداد/ أحلام بنت محمد عبد الرحيم الدويخ، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة،  
المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،  
الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٤١-١٤٤٢هـ.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم تصور مقترح لاستشراق مستقبل الدعوة  
الإسلامية؛ من أجل التنمية المستدامة على ضوء رؤية ٢٠٣٠م، وذلك من خلال  
الكشف عن أهم مجالات التنمية المستدامة في العمل الدعوي، والتعرف على وسائل  
وأساليب تحقيق التنمية المستدامة للعمل الدعوي في المؤسسات الدعوية، وبيان مؤشرات  
الأداء في العمل الدعوي على ضوء رؤية ٢٠٣٠م، وقد خلصت الباحثة لعدة نتائج،  
أبرزها: أن التنمية المستدامة تتميز بمبادئ وخصائص جعلت جميع الدول في العالم تتنافس

في تطبيق أهدافها وتبني الخطط التي من شأنها التطوير والابتكار عبر الوسائل والأساليب المعززة، وأن مجالات التنمية المستدامة للعمل الدعوي تتجلى في ثلاثة مجالات، هي: المجال الدعوي الميداني، والمجال الإداري، والمجال المالي.

ويلاحظ على هذه الدراسة أنها عنيت - كما يتضح من عنونها - بالحديث عن دور التنمية المستدامة في تحقيق النمو والنهوض بمستقبل الدعوة، وذلك من خلال بيان مجالات التنمية المستدامة في العمل الدعوي سواء أكانت تتعلق بالجانب الميداني أم بالجانب المالي والإداري للمؤسسات الدعوية فضلا عن بيان الوسائل والأساليب التي تساعد على تحقيق التنمية المستدامة دخل هذه المؤسسات وفي العمل الدعوي على وجه العموم، بينما دراستي تهدف إلى بيان مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة، وأهمية المسؤولية الدعوية في الواقع المعاصر تجاه تحقيقها وخاصة في ضوء ما دعت إليه رؤية المملكة (٢٠٣٠م)، فضلا عن بيان الأسس والأساليب الدعوية التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها لتلبية متطلبات التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها؛ ولذا فالجديد في دراستي يتمثل فيما يلي:

- إظهار مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وذلك من خلال نصوص القرآن والسنة وغيرها من المصادر الدعوية التي تدل على ذلك.
- بيان مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠م).
- التعرف على أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- تسليط الضوء على أبرز الأساليب الدعوية التي تساعد الدعاة إلى الله في العصر الحاضر على أداء واجبهم تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

### خامسا: منهج الباحث:

إن الفكرة الرئيسة لهذا البحث هي بيان مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)، ولعل من أبرز مناهج البحث التي تساعد على الوصول لذلك ما يأتي:

- (١) المنهج الاستقرائي<sup>(١)</sup>: وذلك باستقراء النصوص الشرعية التي تضمنت الحديث عن التنمية المستدامة والمعاني الدالة عليها، وأقوال الدعاة وعلماء المسلمين فيها.
- (٢) المنهج الاستنباطي<sup>(٢)</sup>: وذلك بالنظر والتدبر في النصوص الشرعية المتعلقة بالتنمية المستدامة واستخراج ما يتعلق منها بالمسؤولية الدعوية تجاه تحقيق هذه التنمية، مع مراعاة التسلسل بين القضايا من أجل الوصول إلى ما يترتب عليها من نتائج.

### سادسا: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على: أهمية الدراسة، وأهدافها، وتساؤلاتها، ومنهج الباحث في إعدادها ثم خطتها.

المبحث الأول: تحرير المصطلحات وضبط المفاهيم.

---

(١) المنهج الاستقرائي هو: "منهج علمي يقوم على التتبع لأمر جزئية بالملاحظة، وهو إما استقراء تام: يقوم على حصر جميع الجزئيات، أو ناقص: يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة وإجراء الدراسة عليها لإصدار أحكام عامة"، مناهج البحث العلمي تطبيقات ادارية واقتصادية، تأليف/ د. أحمد حسين الرفاعي، ص (٨٤: ٨٦)، دار وائل للطباعة، عمان- الأردن، ط ٦، ٢٠٠٩ م.

(٢) المنهج الاستنباطي: "منهج علمي يستند إلى مجموعة من الحدود الأولية والتعريفات والبداهيات وينتقل منها- في إطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة- إلى ما يترتب عليها من نتائج أو نظريات"، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف/ د. محمد محمد القاسم، ص (٥٨)، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م، "بتصرف".



**المبحث الثاني:** عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهمية تعزيز المسؤولية الدعوية تجاه تحقيقها.

**المبحث الثالث:** أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة.

**المبحث الرابع:** الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة.

الخاتمة:

وتشتمل على:

- أهم النتائج.

- أهم التوصيات.

- فهرس المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

### تحرير المصطلحات وضبط المفاهيم

تحديد المصطلحات المفاهيم أمر له أهميته ومكانته بالنسبة للبحث العلمي؛ ذلك أنها تشكل أحد أهم ركائزه، ومن جهة أخرى فكثيراً ما تتعدّد المفاهيم الخاصّة ببعض المصطلحات المستخدمة في الأبحاث؛ ولذا فالأولى هو تحرير المصطلحات تحديد المفاهيم والمعاني التي تتفق أو تتناسب مع أهداف البحث وإجراءاته، وهو ما يمكن للباحث تناوله على النحو الآتي:

#### أولاً: المسؤولية الدعوية:

مصطلح المسؤولية الدعوية كما يتضح من لفظيه مركب بياني طرفاه (المسؤولية، الدعوة)، ويمكن للباحث التعريف به على النحو الآتي:

#### (١) المسؤولية:

المسؤولية في اللغة مصدر صناعي تعود أصوله إلى الجذر سأل، ويطلق في اللغة ويراد به عدة معان، أبرزها: ما يناط بالمرء من أعمال، فيقال: "المسؤول المنوط به عمل تقع عليه تبعته، والمسؤولية حال من يسأل عن أمر تقع عليه تبعاته"<sup>(١)</sup>.  
وأما المسؤولية في الاصطلاح فهي: "حالة للمرء يكون فيها صالحاً للمؤاخذة على أعماله ملزماً بتبعاتها المختلفة"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المعجم الوسيط، إعداد/ مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، باب "السين" مادة "سأل" (٤١١/١)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤١٥هـ، ٢٠٠٤م.  
(٢) العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، تأليف محمد عبد الرحمن بيسار، ص (٢٤٨)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٠م.

ويتبين للباحث من هذين النصين أن المسؤولية تتمثل في صلاحية الفرد للقيام بواجب ما حسب قدرته واستطاعته من غير مشقة ولا تكلف، فضلاً عن محاسبته عليه إذا أخلَّ به تركاً أو تقصيراً.

## (٢) الدعوة:

أصلها من الثلاثي "دعا"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به النداء والاستعانة والاستغاثة فيقال: "دعا الرجل: ناداه... ودعا الشخص: استعان به، ودعا الله: استغاث به"<sup>(١)</sup>.

وأما الدعوة في الاصطلاح الدعوي فهي: "قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة وفق المنهج القويم وبما يتناسب مع أصناف المدعوين ويلائم أحوال المخاطبين"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا، بعدما تبين معنى المسؤولية والدعوة يمكن للباحث أن يضع حداً للمسؤولية الدعوية، فأقول: هي: "ما يناط بالدعاة إلى الله ويقع على عاتقهم من أعمال وتكليفات تجاه نشر الإسلام وتبليغه للناس في جميع أنحاء المعمورة من أجل الأخذ بأيديهم للفوز بسعادة الدارين"<sup>(٣)</sup>.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مادة:

(دعو)، (١ / ١٩٤)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٨٧ م.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، تأليف / أ.د. عبد الرحيم محمد المغذوي، ص (٤٩)،

دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

(٣) تعريف الباحث.

وأعني بالمسؤولية الدعوية في هذه الدراسة: ما يتحمله الدعاة إلى الله عز وجل وما يناط بهم من واجبات تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).

### ثانيا: التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة هي جوهر هذا البحث وإحدى أهدافه، والمصطلح - كما يتضح من لفظيه - مركب بياني طرفاه (التنمية، والاستدامة) ويمكن للباحث التعريف به على النحو الآتي:

#### (١) التنمية:

أصلها من "نما"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان أبرزها الكثرة والزيادة، يقول ابن فارس: "النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، يقال: نمى المال: أي زاد، والنامية: الخلق، لأنهم ينمون، أي يزيدون"<sup>(١)</sup>.

كما تطلق الكلمة في اللغة ويراد بها التطوير والرفعة والعلو، فيقال: "نمى الأمر: أي طوره، ونمى ذاكرته: أي أنعشها وقواها"<sup>(٢)</sup>، ويقال أيضا: "نمى الشيء: رفعه وأعلى شأنه، يقال فلان ينميه حسبه أي يعلي شأنه ويرفعه"<sup>(٣)</sup>.

هذه أبرز معاني الكلمة في اللغة ويتبين للباحث منها أن التنمية تركز على عدد من المعاني الإيجابية فهي إنعاش وتطوير للشيء على نحو يقتضي زيادته ويحقق رفعة وعلو شأنه.

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مادة: "نمى"، (٥/ ٤٧٩، ٤٨٠)، دار الفكر، دمشق - سوريا، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف/ د. أحمد مختار عمر، وآخرون، مادة: "نمى"، (٣/ ٢٢٨٩)، عالم الكتب، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٣) المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة: "نمى"، (٢/ ٩٥٦).

وأما عن معنى التنمية في الاصطلاح فقد تعددت فيه أقوال العلماء؛ وذلك نظرا لتعدد مجالاتها وكثرة أنواعها، ولعل من أبرز التعاريف وأجمعها تعريف الأمم المتحدة، حيث عرفت التنمية بأنها: "عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحرّة والمهادفة في التنمية وفي التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها"<sup>(١)</sup>.

وقيل هي: "عملية شاملة مستمرة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية تهدف إلى تحقيق تقدم مستمر في حياة الأفراد ورفاهيتهم، وذلك من خلال مساهمة جميع أفراد المجتمع في تحقيقها وعلى أساس التوزيع العادل لعائداتها"<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ على هذه التعريفات أنّها عرفت التنمية باعتبار أهدافها وهي التحسين المستمر لرفاهية المجتمعات البشرية في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، ولكنها أغفلت أهم جوانب التنمية وهو الجانب الديني، فالتنمية وفقا لهذه التعريفات هي عملية مادية خالصة لا علاقة لها بالدين ولا بالأخلاق، رغم أن البعد الديني بما يتضمنه من زكاة الروح والقلب وما يترتب على ذلك من آثار طيبة على الجوارح هو الركيزة الأساسية لانطلاق جميع العمليات الاقتصادية والسياسية وغيرها مما يستهدف تحسين الحياة الإنسانية.

(١) إعلان الحق في التنمية، الأمم المتحدة، ص (٣)، مكتب المفوض السامي، الأمم المتحدة، بدون تاريخ.

(٢) إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة تأليف/ خالد مصطفى قاسم، ص (١٩)، إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧م.

## (٢) الاستدامة:

الاستدامة هي ثاني المصطلحات التي يقوم عليها مصطلح التنمية المستدامة، وأصلها من أدام، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان، أبرزها المواظبة على الشيء والاستمرار فيه، فيقال: "المداومَةُ على الأمر: المواظبة عليه"<sup>(١)</sup>.

كما تطلق الكلمة في اللغة ويراد بها الرفق والتأني، فيقال: "أدام الأمر واستدامه واستدمت الأمر إذا تأنيت فيه"<sup>(٢)</sup>، ويقال أيضا: "فلا تَعْجَلْ بأمرِكَ واستدمه ... فما صلّى عصاك كمستدِمٍ: أي ما قَوِّمَ أمرِكَ كالمُتَأَنِّي"<sup>(٣)</sup>.

هذه معاني الاستدامة في اللغة ويتبين منها أنها تعني الاستمرار في الشيء والمواظبة عليه دون انقطاع مع مراعاة التأني في ذلك، فأبي مورد حتى يستدام لابد من التأني في التعامل معه.

وأما عن معنى الاستدامة في الاصطلاح فهي: "ضمان عدم قلة الاستهلاك مع مرور الزمن وتدقيقه وتحقيق المصلحة العامة"<sup>(٤)</sup>.

وبعد، فهذه أبرز معاني التنمية والاستدامة، وأما عن التنمية المستدامة كمركب يباين فقد عرفتها اللجنة العالمية للتنمية والبيئة بأنها: "التنمية التي تلبى احتياجات الجيل

---

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة:

"دوم"، (١٢/٢١٣)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

(٤) لسان العرب، مرجع سابق، مادة: "دوم"، (١٢/٢١٣).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، مادة: "دوم" (١/٧٩٠).

(٤) الاستدامة التحديات والفرص، تأليف/ د. عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، ص (١٢)، مكتبة

العبيكان للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٠ م.

الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها"<sup>(١)</sup>.  
وقيل هي: "السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ في الاعتبار قدرات النظام البيئي الذي يحتضن الحياة وإمكاناته"<sup>(٢)</sup>.

ويتبين من هذين التعريفين أن التنمية المستدامة في جوهرها وحقيقتها تحسين وتطوير للأحوال المعيشة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية للفرد والمجتمع، دون المساس بحق الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتها، ولكن يؤخذ على ما جاء في هذين التعريفين الفصل بين التنمية المستدامة ومنظومة القيم الأخلاقية، فضلا عن تجاهل أثر العقيدة في نجاح التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، وهو ما يدفع للبحث عن معنى التنمية المستدامة في الإسلام.

### مفهوم التنمية المستدامة من منظور إسلامي:

تعددت تعريفات التنمية المستدامة لدى أهل الإسلام، ولعل من أبرز التعريفات التي تعكس مفهومها لدى علماء المسلمين تعريف المؤتمر الأول لوزراء البيئة والذي عقد في جدة بالمملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٢م، حيث عرف التنمية المستدامة بأنها: "عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة والبعد البيئي من جهة أخرى وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة عليها من منظور إسلامي، وتؤكد على أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسنة النبوية

(١) اللجنة العالمية للتنمية والبيئة: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل، ص (٨٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.  
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الشريفة على أن يراعي في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر دون إهدار حق الأجيال اللاحقة ووصولاً إلى الارتفاع بالجوانب الكمية والنوعية للمادة والبشر<sup>(١)</sup>.

ويتضح للباحث من هذا التعريف أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر دقة شمولاً، فالنظرة الإسلامية للتنمية المستدامة توجب ألا تتم بمعزل عن الضوابط الشرعية والأخلاقية المستمدة من نصوص القرآن والسنة، كما يتضح منه أيضاً أن مهمة التنمية المستدامة في الإسلام هي توفير متطلبات البشرية حالياً ومستقبلاً، سواء أكانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخلقية والثقافية والاجتماعية.

إذن فمفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يزاوج بين المتطلبات المادية والروحية، وليس مقتصرًا على المادة فقط، فالإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى استدامة مادية وروحية وثقافية واجتماعية.

---

(١) العالم الإسلامي والتنمية المستدامة: الخصوصيات والتحديات والإلتزامات، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، جدة- المملكة العربية السعودية، خلال الفترة من (١٠ - ١٢ / ٦ / ٢٠٠٢م)، ص (١٣٨)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢م.



ثالثاً: التعريف برؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) وعلاقتها بالتنمية

المستدامة:

الرؤية كما عرفها الباحثون هي: "تصور مستقبلي طموح يبني على خلفية من التجارب والخبرات والإمكانات واستثمارها والاستفادة منها في تحقيق الاهداف والغايات"<sup>(١)</sup>.

وأما عن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) فهي: "رؤية القيادة الكريمة لاستغلال مكامن قوتنا التي حباننا الله إياها لنكون في مقدمة مصاف دول العالم، حيث نمتلك موقعاً استراتيجياً مميزاً واقتصاداً قوياً وعمقاً عربياً وإسلامياً"<sup>(٢)</sup>.

وثمة علاقة واضحة بين التنمية المستدامة ورؤية المملكة (٢٠٣٠) فالتنمية من أهم وأبرز أهداف الرؤية ، حيث: "تهدف إلى الارتقاء بمستقبل المملكة العربية السعودية مع التركيز على الاستدامة كمحور أساسي في التخطيط، وقد وُضعت الاستدامة ضمن أهم جهود رؤية السعودية ٢٠٣٠ منذ إطلاقها، والآن تستهل المملكة العربية السعودية حقبة جديدة بإعلان استهدافها للوصول إلى الحياد الصفري بحلول عام ٢٠٦٠م. ويأتي هذا الإعلان في إطار طموحات الرؤية الأوسع نطاقاً لتسريع عملية الانتقال الطاقوي، وتحقيق أهداف الاستدامة، وقيادة موجة جديدة من الاستثمارات في هذا المجال"<sup>(٣)</sup>.

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠): دراسة مرتكزاتها من القيم الثقافية والإسلامية، إعداد/ د. محمد أحمد الدش، ص (٨٥٣)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة- جمهورية مصر العربية، ع (١٢٧)، ٢٠١٩م.

(٢) الموقع الرسمي للرؤية: <https://www.vision.gov.sa/ar/v2030/overview>

(٣) المرجع السابق.

وتسعى الرؤية المباركة لتحقيق التنمية المستدامة وأهدافها من خلال ثلاثة محاور رئيسية وهي ما يأتي:

(١) مجتمع حيوي: يُعدّ الوصول إلى مجتمع حيوي في المملكة ركيزة أساسية في تحقيق الرؤية وإرساء أساس قوي للازدهار الاقتصادي، فالهدف هو الوصول إلى مجتمع يعيش كل مواطن فيه حياة سعيدة ومُرضية بمستوى معيشي يضمن بيئة صحية وآمنة للعائلات، ويوفر التعليم والرعاية الصحية بمستوى عالمي، إلى جانب ذلك تشجع الرؤية المواطنين بأن يعتزوا بهويتهم الوطنية وتراثهم الثقافي، وأن يعيشوا القيم الإسلامية وفق منهج الوسطية والاعتدال.

(٢) اقتصاد مزدهر: يوفر الفرص للجميع من خلال بناء نظام تعليمي منسجم مع احتياجات السوق، ويجهّز الشباب من الجنسين بالمهارات اللازمة لوظائف المستقبل، إلى جانب توفير فرص اقتصادية لرواد الأعمال والمشاريع الصغيرة بالإضافة إلى الشركات الكبيرة.

(٣) وطن طموح: يسعى لتطبيق مبادئ الكفاءة والمساءلة على جميع المستويات من أجل تحقيق الرؤية، بما في ذلك بناء حكومة فاعلة وشفافة وخاضعة للمساءلة وعالية الأداء تضمن التمكين للجميع<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء السياق ذاته أكدت القيادة الرشيدة على أهمية تعاون مؤسسات المجتمع وأبنائه على تحقيق الأهداف التي تبنتها تلك المحاور وعلى رأسها تحقيق التنمية المستدامة في شتى المجالات، حيث تقول: "الوطن الذي نشده لا يكتمل إلا بتكامل أدوارنا، فلدينا جميعاً أدوار نُؤديها سواء كنا عاملين في القطاع الحكومي أو الخاص أو غير

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، ص (١٣).

الريحي .وهناك مسؤوليات عديدة تجاه وطننا ومجتمعنا وأسرنا وتجاه أنفسنا كذلك . في الوطن الذي ننشده، سنعمل باستمرار من أجل تحقيق آمالنا وتطلعاتنا، وسنسعى إلى تحقيق المنجزات والمكتسبات التي لن تأتي إلا بتحمل كل منا مسؤولياته من مواطنين<sup>(١)</sup>. ويتضح من هذا النص أن تحقيق الرؤية وما تتضمنه من أهداف تتعلق بالتنمية المستدامة وغيرها هي مسؤولية على عاتق جميع أفراد المجتمع ومؤسساته، مما يعني - كما سيبدو في المبحث القادم- أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء ما نصت عليه هذه الرؤية المباركة.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، ص (٦٨، ٦٩).

## المبحث الثاني

### عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهمية تعزيز المسؤولية الدعوية

#### تجاه تحقيقها

المتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية ومصادرها يرى بوضوح مدى عنايتها بالتنمية المستدامة والحرص على بيان مقوماتها وأسسها وأبرز الأساليب المسهمة في تحقيقها، وهو ما يؤكد ضرورة تعزيز المسؤولية الدعوية في العصر الحاضر تجاه تحقيق التنمية وأهدافها، وهذا ما يمكن للباحث تناوله على النحو الآتي:

أولاً: عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة:

لم تدع الدعوة الإسلامية شيئاً مما يحتاج إليه الناس في كل عصر ومصر إلا وقد بينته، وأقامت الحجة والبراهين على مدى مشروعيته، سواء أكانت تلك الحجج من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أم من مصادر الدعوة والتشريع الأخرى، مما يجعلنا نجزم بأن الدعوة الإسلامية هي أول من اعتنى بالتنمية المستدامة وأكدت على ضرورة الاهتمام بالبيئة الطبيعية لا من حيث الامتناع عن تلويث مواردها واستنزافها والإفساد فيها وغير ذلك مما يحول دون تحقيق أهداف التنمية المستدامة فحسب، بل وبصورة إيجابية أيضاً من خلال الحث على الأخذ بمقومات التنمية والدعوة إلى الاستدامة النباتية والحيوانية والمائية وغيرها، وذلك بالمحافظة عليها وحسن التعامل معها وتنمية مواردها واستثمارها والعمل على تحقيق التوازن البيئي على المدى الطويل الذي تتحقق به عمارة الأرض والاستخلاف فيها.

والم تأمل في كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وغيرهما من مصادر الدعوة يجد أنها تزخر بالكثير من النصوص والشواهد التي تؤكد عنايتها بالتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، فقد دعا القرآن الكريم في غير موضع إلى ضرورة إعمار الأرض - باعتباره كما سيبدو في المبحث القادم من أبرز أسس التنمية المستدامة - فقال الله جل شأنه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد دلت هذه الآية على حكمة الله عز وجل مراده من إيجاد الناس في الأرض وهو إعمارها على نحو يفيد الدوام والاستمرارية فالإعمار لا يختص بجيل بعينه، بل كل الأجيال المتعاقبة في كل زمان ومكان مطالبة بإعمار الأرض والأخذ بمقتضيات التنمية المستدامة والعمل على تحقيقها<sup>(٢)</sup>.

كما دعا القرآن الكريم أيضا إلى عدم الفساد في الأرض فقال الله جل شأنه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ففي هذه الآية نهي واضح عن الفساد بغض النظر عن صورته ومدى حجمه، وهو ما أشار إليه الإمام

(١) سورة الروم، الآية (٩).

(٢) ينظر: التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، ص (٢٧)، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧ م.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية مؤكداً أن الفساد يرتبط مباشرة بالسلوك الإنساني تجاه الموارد لجلب المنافع والمصالح، فقال: "إن الله نهي عن كل فساد قل أو أكثر بعد كل صلاح قل وأكثر نهي عن الشرك وسفك الدماء والهرج في الأرض، وأمر بلزوم الشرائع بعد إصلاحها، بعد أن أصلحها الله ببعثه الرسل" (١).

ويتبين من الآية الكريمة ومما جاء في هذا النص نهي القرآن الكريم عن الفساد في الأرض بجميع صورته وأشكاله وبغض النظر عن حجمه ومدى جرمه، وذلك لأنه من أبرز المهديدات التي تعوق التنمية المستدامة وتحول دون تحقيق أهدافها.

ويقول الله جل شأنه ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢)، ففي هذه الآية نهي عن الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب ودعوة إلى الوسطية والاعتدال في ذلك على نحو يحقق استدامة الموارد ويضمن حق أجيال الحاضر والمستقبل في الانتفاع بها.

كما اشتملت السنة النبوية المطهرة على العديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل ضمان استمراريتهما صالحة للحياة حتى قيام الساعة، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الغرس والتشجير والزرع باعتبار ذلك من أهم ركائز التنمية المستدامة وأبرز مقوماتها،

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (٧/ ٢٢٦)، دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية (٣١).

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: { من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه، فإن أبي فليمسك أرضه } (١).

وعن أبي النحاشي مولى رافع بن خديج، قال: سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع، قال: "لقد نمانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقا. قلت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق، قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: { ما تصنعون بِمَحَاقِلِكُمْ؟ } قلت: نؤجرها على الربيع وعلى الأوسق من التمر والشعير، قال: { لا تفعلوا. ازرعوها، أو أزرعوها، أو أمسكوها } . قال رافع: قلت سمعا وطاعة" (٢).

ولم ينته الأمر على أمر المؤمنين بضرورة زراعة الأرض وعدم تركها للبور والتصحح وغيرها مما يعوق تحقيق التنمية ويؤثر سلباً على موارد البيئة فحسب، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك خيبر لليهود قبل إجلائهم منها ليزرعوا أرضها مقابل شطر ما

(١) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الحث والمزراعة، باب: ما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمار، (٣/ ١٠٧)، حديث رقم (٢٣٤٠)، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمار، (٣/ ١٠٧)، حديث رقم (٢٣٣٩).

يخرج منها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها"<sup>(١)</sup>.

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتداء على ممتلكات الآخرين فقال:  
{من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبعين أرضين}<sup>(٢)</sup>، ففي هذا النص أيضا دلالة واضحة على تحريم الاعتداء على الأراضي المملوكة للغير لما في ذلك من ظلم وإفساد في الأرض مما يحول دون الوصول للتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

وهكذا، فكل الشواهد تؤكد على مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأسسها منذ اللحظة الأولى لظهور الدعوة وانتشارها، فإذا كان المجتمع الدولي ومؤسساته المعنية بحقوق الإنسان والبيئة قد فطنت مؤخرا في رؤيتها للتنمية المستدامة لحقوق الأجيال القادمة، والتحذير من الممارسات التي تقوم بها بعض الأنظمة والتي تؤثر سلبا على تلك الأجيال فإن الدعوة الإسلامية منذ وقت مبكر لم تحملهم، ولنا في الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير شاهد ودليل، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب معاملة النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر، (٥/١٤٠)، حديث رقم (٤٢٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، (٤/١٠٧)، حديث رقم (٣١٩٨).



خير" (١)، والشاهد في هذا النص أن قوله رضي الله عنه: "لولا آخر المسلمين" فيه تأكيد على مراعاته في إدارته للثروات والموارد لآخر المسلمين بحفظ حقوقهم فيما غنموه في عهده.

كما تتجلى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة أيضا من خلال التأكيد على رعاية حقوق الورثة في مال المورث حال حياته، فلا ينفق ماله - ولو كان في باب الصدقة- على نحو يتسبب في ضياع أولاده وذريته، فعن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: {لا}، قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: {لا، الثلث، والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس} (٢).

وقد أدرك فقهاء الأمة تلك المعاني وصاغوها في مؤلفاتهم بتعبير حكيم فسموه "الأمل الفسيح"، ومن ذلك قول الإمام الماوردي: "اعلم أن ما تصلح به الدنيا حتى

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب الغنيمة لمن شهد الواقعة، (٤ / ٨٦)، حديث رقم (٣١٢٥).

(٢) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، (٣ / ١٢٥٠)، حديث رقم (١٦٢٨)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرعت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح" (١).

ثم يوضح معنى الأمل الفسيح وما يتضمنه من حق الأجيال القادمة في غرس الأجيال الحاضرة، فيقول: "أمل فسيح يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه، ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه ب حياة أربابه، ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأول حتى يصير به مستغنياً؛ لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه من منازل السكنى وأراضي الحرث، وفي ذلك من الإعواز، وتعذر الإمكان ما لا خفاء به، فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال إلا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها، وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها، ويرمم الثالث ما أحدثه الثاني من شعثها، لتكون أحوالها على الأعصار ملتزمة، وأمورها على ممر الدهور منتظمة، ولو قصرت الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه، ولا تعدى ضرورة وقته، ولكانت تنتقل خراباً لا يجد فيها بلغة، ولا يدرك منها حاجة" (٢).

وهكذا، فإن الدعوة الإسلامية عبر تاريخها ومراحلها سواء أكانت في عصر النبوة أم في عصر الخلافة الراشدة أم فيما لحقه من العصور لم تغفل عن عنايتها بالتنمية

---

(١) أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ص (١٣٣)، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٦م.

(٢) المرجع السابق، ص (١٤٤، ١٤٥).

المستدامة والدعوة إليها وبيان الأسس التي تركز عليها وتضمن- بإذن الله تعالى- تحقيق أهدافها ومقاصدها.

ثانيا: أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية (٢٠٣٠):

وانطلاقاً من هذه المعاني فإن أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في العصر الحاضر لا تقل بأي حال من الأحوال عما تقدم من أهمية العناية بها عبر مراحل الدعوة الإسلامية في عصورها المختلفة.

ولما كان الهدف من هذا البحث هو بيان المسؤولية الدعوية في الواقع المعاصر تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)، فجدير بالذكر أن القيادة الرشيدة قد دعت جميع أبناء الوطن للعمل معاً لتحقيق هذه الرؤية المباركة، مما يؤكد مسؤولية الدعوة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف الرؤية سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غير ذلك، وهو ما أكد عليه مدير الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنطقة الرياض بقوله: "رؤية ٢٠٣٠ تتميز بأنها ليست خطة اقتصادية فحسب؛ بل هي خطة تحول شاملة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، بما يحقق طموح القيادة الرشيدة في نهضة الوطن وتطوره، وتنمية المواطن وتقدمه، ورفاهيته وسعادته إن شاء الله تعالى... رؤية بهذه السعة والطموح لا يمكن أن تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، فهذه الدولة المباركة قائمة على أسس راسخة من تحقيق الدين لله تعالى، وتحكيم شريعته، والدعوة إلى الحق والهدى والتي هي أحسن، لذا فإنَّ

المؤسسات الدينية والدعوية كافة معنية بهذه الرؤية، ويقع على عاتقها نفس المسؤولية الوطنية وهذا ما دعا إليه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله في كلمته بمناسبة إقرار الرؤية حيث قال بعد ثناءه عليها: "آملين من أبناءنا وبناتنا المواطنين والمواطنات العمل معاً لتحقيق هذه الرؤية المباركة"<sup>(١)</sup>.

ومما يعكس أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء الرؤية أيضاً تأكيد القيادة الرشيدة على أن جميع محاور الرؤية المباركة وأهدافها التنموية تركز على أسس الدعوة الإسلامية وتنطلق من مبادئها، الأمر الذي عبر عنه القادة - حفظهم الله - بقولهم: "نحيا وفق مبادئنا الإسلامية... يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"<sup>(٢)</sup>.

والشاهد في هذا النص أن المنهج الذي تبنته القيادة الرشيدة لتحقيق التنمية في شتى مجالاتها هو منهج الإسلام القائم على الوسطية وإتقان العمل والتسامح والانضباط والعدالة والشفافية، ما يعني أن نقطة انطلاقنا نحو هذه الرؤية في العمل على تحقيق التنمية المستدامة ستكون بتلك المبادئ، وهو أيضاً ما يبرز أهمية المسؤولية المترتبة على

---

(١) العريفي: رؤية ٢٠٣٠ لا تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، صحيفة سبق الإلكترونية، بتاريخ ٣٠/ مايو/ ٢٠١٧م.

(٢) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

المؤسسات الدعوية ومن يعمل بها في المساهمة في تدعيم هذا الجانب الذي أكد عليه ولاية الأمر - حفظهم الله - وجعلوه في أولى اهتمامات الرؤية.

كما تتجلى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه التنمية المستدامة أيضا لطالما نظرنا إليها في ضوء مستجدات الواقع المعاصر وما تقتضيه من ضرورة تعاون جميع مؤسسات الدولة على وجه العموم والمؤسسات الدعوية على وجه الخصوص لتحقيق أهداف التنمية ومقاصدها، فقد كانت التنمية في السابق عملاً تهتم به الدولة فحسب، حيث كانت تعمل على التخطيط والتنفيذ لإحداثها إلا أن الاشكاليات التي لازمت إسقاط برامج وخطط التنمية عملياً الى أرض الواقع أثبتت أن التخطيط القومي المركزي لبرامج التنمية يعجز عن مرعات أولويات و خصوصيات المجتمعات والمنظمات، ولا يستصحب معه رؤية هذه المجتمعات للحلول المناسبة من وجهة نظر المستفيدين؛ ولذا أصبحت المؤسسات الدعوية تؤدي دوراً كبيراً في التنمية وتعاضم دورها كمكمل للجهود الحكومية في تحقيق أهدافها<sup>(١)</sup>.

ومما يعكس أهمية المؤسسات الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة أيضا ما أوصت به المؤتمرات المعنية بالبيئة والتنمية من ضرورة تعاون المؤسسات الدعوية والدينية على وجه العموم مع غيرها من الجهات المعنية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ومقاصدها، ومن ذلك ما أوصى به المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بالرباط من

(١) ينظر: دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية، إعداد/ عاطف عبد الواحد الحاك إدريس، ص (٢-٦)، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم - السودان، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

ضرورة العمل مع المؤسسات ذات الطابع الديني في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، فقد اعتبر المشاركون في إعلان الرباط حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة: "اعتماد استراتيجية تفعيل العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، والدعوة لتأسيس الشبكة الإسلامية للعمل البيئي والتنمية المستدامة، وسيلة لضم الجهود وتبادل التجارب من داخل العالم الإسلامي ومن خارجه مع المنظمات الدولية والوطنية ومع المنظمات الأهلية على اختلاف أديانها وثقافتها في مجتمعات الدول الأعضاء وخارجها، وتشجيع البحث العلمي في الموضوع، وتأطير الدعم المطلوب للمؤسسات ذات الطابع الديني العاملة في مجال حفظ البيئة والتنمية المستدامة، وأكدوا على أن التحديات البيئية تتناسق مع الإجابات الأساسية ذات الصلة بتحديات الحفاظ على البيئة في النصوص الدينية ومبادئ التربية والتنشئة الاجتماعية في كل المعتقدات والثقافات على اختلافها، ملتزمين بالعمل على تعزيز الفهم والقدرة على التواصل البيئي لدى المفتين والعلماء وكذلك الأئمة والدعاة والخطباء ورجال الوعظ الديني" (١).

ويري الباحث، أن ثمة أمور أخرى تؤكد على أهمية ضرورة تفعيل المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة وعلى رأسها عجز نماذج وتطبيقات التنمية الغربية عن تلبية متطلباتها وتحقيق أهدافها، بل أفرزت العديد من النتائج السلبية التي تستدعي الوقوف عندها، فقد انقضت عقود من التنمية ولا زالت الدول النامية أو المتخلفة تعاني أزمتها ولم تحقق تقدماً ملحوظاً في معظم المجالات السياسية أو الاقتصادية بل إنها تراجعت في كثير من هذه النواحي إلى مستويات من الممارسة والأداء والفعالية أدنى مما كانت

(١) التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، مرجع سابق، ص (١٣ - ١٥)، بتصرف.

عليه، وبعد تبنيها لنمط التصنيع الاوروبي على حساب الزراعة مما أدى إلى نوع آخر من التبعية تمثل في الاعتماد على استيراد الغذاء، وأسهم في تفاقم الأزمات الاقتصادية المتتالية وانتشار المجاعات في بعضها وانخفاض مستوى المعيشة للغالبية العظمى من المواطنين في البعض الآخر (١).

فلهذا السبب وغيره مما تقدم ذكره من تأكيد رؤية المملكة على ضرورة التعاون تجاه تحقيق أهدافها وعلى رأسها التنمية المستدامة ومروراً بتوصيات المؤتمرات ووصولاً للواقع المعاصر وما يعانيه من أزمات فنحن في أمس الحاجة إلى ضرورة تحقيق المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

---

(١) يراجع: نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، تأليف/ د. نصر محمد عارف، ص (٢٣، ٢٤)، دار القارئ العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٢م؛ معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي، إعداد/ سمر خيري مرسي، (المقدمة)، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي، مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي، جامعة قلمة (٣-٤ ديسمبر ٢٠١٢م).

### المبحث الثالث

#### أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة

يرتكز منهج الدعوة الإسلامية على مجموعة من الأسس والمبادئ التي تنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة وما تقتضيه من حفاظ على البيئة وموارد الطبيعة مع ضرورة تنميتها وتطويرها على نحو يضمن حق الأجيال القادمة في التمتع بها، ولعل من أبرز هذه الأسس كما يراها الباحث ما يأتي:

#### أولاً: العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية هي أولى موضوعات الدعوة إلى الله عز وجل، والأساس الأول الذي تركز عليه جملة الأحكام التشريعية ومنظومة القيم الأخلاقية في الإسلام، سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غيرها مما دعا إليه الإسلام وسعى لتحقيق.

والمتمثل في كتاب الله عز وجل يجد الكثير من النصوص التي تؤكد على مكانة

البعد العقدي وأهميته في تحقيق التنمية المستدامة، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ

الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٤).



وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . . . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١﴾، فهذه المشاهد البيئية في كمها وكيفها تبين حقيقة ظاهرها المادي وبعدها العقدي المتمثل في شهادتها على وجود الله ووحدانيته، وهو ما يؤكد أهمية الحفاظ عليها والعمل على تنميتها بطريقة مستدامة تضمن حق الأجيال القادمة فيها.

كما تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية - كأساس من أسس الدعوة تجاه التنمية المستدامة- لطالما نظرنا إليها في ضوء العلاقة بين الطرفين، فالتنمية المستدامة وفقا للمفهوم الإسلامي تنبثق من أصل العقيدة الإسلامية التي يتحاكم إليها في العبادات والمعاملات، وينتج عن هذا أن التحاكم يعود إلى الضمير أو الوازع الديني الذي يعمره الإيمان لا إلى القوانين كما في التنمية المستدامة وفقا للمناهج الغربية والنظم الوضعية، فهي في الإسلام تخضع للنظام الرباني وتمثل جزء من عقيدة المسلم وإيمانه وطاعته لربه، فالالتزام بما حث عليه الإسلام من عدم الإسراف والتبذير والعدل والمساواة والتكافل وعدم الإسراف في الأرض ما هي إلا طاعة لله عز وجل وعبادة، قال الله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (٢).

وتأسيساً على ذلك فإن التنمية في الإسلام تقوم على إحالة سعي الإنسان في الدنيا إلى عبادة، تتضمن تحصيل العلم بطائع المخلوقات وخصائصها والمحافظة على

(١) سورة الشورى، الآية (٢٩).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

الطبيعة والرفق بها وتطهير وإصلاح ما فسد فيها وتزكيتها، وذلك بالتعامل معها وفق منهج الله والعقيدة الإسلامية (١).

وعليه، فإن العقيدة الإسلامية هي أولى الأسس الذي يرتكز عليه المنهج الدعوي نحو التنمية المستدامة وتنطلق منه مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهدافها، فبالعقيدة الإسلامية يتعرف الإنسان على طبيعة البيئة وأهميتها باعتبارها أحد الشواهد على وجود الله عز وجل ووحدانيته، وبالعقيدة أيضاً تتحول مواقف الإنسان مع البيئة وتعامله معها والحفاظ على مواردها من مجرد عادة أو طاعة للقوانين إلى عبادة لله عز وجل وطاعة.

### ثانياً: الكائن الإنساني:

الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة وهدفها وغايتها كما أنه القائم بها وصانعها والمستفيد الأول منها، لذلك أعلنت نصوص القرآن الكريم مكانة الإنسان واهتمت به وتنمية قدراته، باعتباره أهم عنصر من عناصر البيئة، بل إن البيئة نفسها مسخرة لخدمته، كما ميز الله الإنسان عن غيره بأن جعله مفضلاً على كثير من مخلوقاته، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٢).

(١) فلسفة التربية (رؤية تربوية إسلامية)، تأليف/ إبراهيم أحمد عمر، ص (٦٢، ٦٣)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٢م.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

وانطلاقاً من هذه المكانة وهذا التكريم الذي منحه الله عز وجل للإنسان فإن الواجب عليه هو شكر الله عز وجل على كافة نعمه وآلائه سواء أكانت تتعلق بالحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعية أم غيرها، فالواجب هو شكر النعمة بعدم الإسراف أو الإفساد فيها والحفاظ عليها بما يضمن الانتفاع بها وصيانتها لأجيال الحاضر والمستقبل. كما أن الله عز وجل قد أودع في الإنسان طاقات كثيرة منها القدرة العقلية على التعليم والقدرة الجسدية على العمل والتنفيذ والإبداع والإرادة الحرة، ليستخدمها في عمارة الأرض وسخر له ما في الكون من مخلوقاته ونعمه مما يوجب على الإنسان البحث في تلك الموارد والانتفاع بها وعدم إهدارها بل حفظها وصيانتها تحقيقاً للتوازن البيئي وحفظاً لأنواعها والتمسك بكافة التشريعات والقيم الإسلامية التي تساعد على تنميتها ودفع الضرر والفساد عنها بما يضمن كفايتها للأجيال الحاضرة والقادمة على حد سواء<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: مبدأ الاستخلاف:

أصل الاستخلاف من خلف، وهو مجيء الشيء بعد الشيء ليحل محله ويقوم مقامه، يقول ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والخلف: ما جاء بعد، وإنما سميت خلافة لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه. وتقول: قعدت خلف فلان، أي بعده"<sup>(٢)</sup>.

(١) دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، مرجع سابق، ص (١٣١، ١٣٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: "خلف"، (٢/ ٢١٠)،

وأما عن الاستخلاف في الاصطلاح: "تمكين الله للبشر عامة و لبعضهم خاصة في إحلالهم محل من قبلهم"<sup>(١)</sup>.

والاستخلاف من أهم وأبرز المبادئ التي أكدت عليها نصوص القرآن الكريم في غير موضع، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَحْنُ نُسَبَّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدَّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال جل شأنه على لسان موسى عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ففي هذه النصوص وغيرها دلالة واضحة على أن الله عز وجل خلق الإنسان واستخلفه في الأرض وسخرها لها؛ ليعمرها ويستثمر خيراتها، ولذا: فإن ضبط سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة وثروتها يؤدي إلى تحقيق الاستخلاف فيها بالمحافظة عليها

(١) مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، تأليف / د. عبد الله ب إبراهيم الناصر، ص (٣٣)، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣ م.

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) سورة فاطر، الآية (٣٩).

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٢٩).

وصياتنها من الملوثات التي تضر بها وعدم الإسراف والجور في استغلالها حتى نورثها سليمة قادرة على الإنتاج للأجيال القادمة.

وتؤكد إحدى الباحثات على أن التنمية المستدامة لا تأتي دون ارتكازها على الاستخلاف، فنقول: "الحفاظ على البيئة وتنميتها واجب مقدس على كل مستخلف فيها وليس توصية مؤتمر تنتهي بانفضاض المؤتمرين، ولا صحيحة دوى بها عالم رغم قوة حججه ووضوح بيانه، بل هو تشريع إلهي ملزم به عباده بحسابهم على تركه أو إهماله"<sup>(١)</sup>. وعليه، يمكن فهم علاقة الاستخلاف بالتنمية المستدامة في ضوء المبادئ الآتية:

- (١) أن الإنسان وصي على الأرض لا مالك لها.
- (٢) أنه أمين عليها ومسؤول عن إدارتها واستثمارها وتنميتها والحفاة عليها من التدريب والتخريب.
- (٣) أن البيئة بمواردها الطبيعية حق للأجيال القادمة.

#### رابعا: مبدأ التسخير:

التسخير في اللغة من سخر أي ذلل، يقول ابن فارس: "السين والحاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على استدلال. من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء، وذلك إذا ذلل الله لأمره وإرادته"<sup>(٢)</sup>.

(١) الإسلامية وحماية البيئة، إعداد/ د. آمنة نصير، ص (٩٠)، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ع (٧٦)، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.  
 (٢) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة: "خلف"، (٤/ ٢٣٣).

وأما التسخير في الاصطلاح فهو: "إجراء الشيء على مقتضى غرض ما سخر له" (١).

والمقصود بالتسخير باعتباره أحد الأسس التي يركز عليها المنهج الدعوي وتنطلق منه مسؤولية الدعوة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة ومقاصدها هو التسخير الكوني، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص منها قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَسْتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ .

وكما هو واضح من هذه الآيات فقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يُسخر للإنسان كل ما في الكون من مخلوقاته ونعمه، ولا شك أن مجيء الخطاب في هذه الآيات عاماً دليلاً على مقصد المولى أن تكون نعمه، وما منَّ به على عباده لينتفعوا به من موارد الطبيعة وخيرها، هو للناس والأجيال أجمعين في كل عصر، لا لجيل محدد، ولا لأناس بعينهم؛ وهو عين ما تهدف إليه التنمية المستدامة وتسعى لتحقيقه.

ومن جهة أخرى فإن كل شيء مما سخره الله عز وجل للإنسان إنما يعمل وفقاً لأوامر الله عز وجل وإرادته، وهو ما دل عليه معنى التسخير وأشار إليه قوله جل شأنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ ، أي أن جميع المسخرات مملوكة

(١) التوقيف على مهمات التعريف، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، (١/ ٩٦)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط ١، ١٤٤٠هـ.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان (١٢، ١٣).

لله عز وجل تعمل وفق إرادته وحكمته، فإن شاء جعله مسخرة للإنسان ونعمة من نعم الله عليه، وإن شاء سخرها عليه وجعلها نقمة ووبالاً، وهذا يبرهن على أن العلاقة التسخيرية بين الإنسان والكون أو البيئة لها مظهران: التسخير المادي للبيئة والتسخير الروحي، فالبيئة قد سخرت للإنسان مادياً بجعل العناصر التي تتكون منها البيئة الطبيعية قابلة لتلبية الحاجات المادية للإنسان، وحصوله على منافعها وهو ما يتطلب منه السعي فيها وتنميتها والحفاظ عليها بما يضمن حق الأجيال الحاضرة والقادمة في الانتفاع بها (١).

#### خامساً: الحفاظ على التوازن البيئي:

التوازن البيئي كما عرفه الباحثون هو: "ذلك الجزء من البيئة التي تسود مكوناته علاقات متبادلة متناسقة ومتكافئة تتجدد باستمرار، تؤدي في نهاية المطاف إلى بقاء الحياة واستمرارها" (٢).

وكما هو واضح من هذا التعريف فإن التوازن البيئي هو الوضع الوسط الذي يسود بين مكونات الكون والذي بفضلته تعمل وتتفاعل هذه المكونات وتقوم بينها علاقات متوازنة، من أجل الوصول إلى الغاية العظمى هو بقاء الحياة واستمرارها، على

(١) ينظر: الإسلام والبيئة، إعداد/ إبراهيم علي حسن، ص (٩٤)، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع (١)، القاهرة- جمهورية مصر العربية،  
 (٢) التوازن البيئي من منظور إسلامي، إعداد/ د. أحمد حطاب، ص (٤٤)، مجلة جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٤٦)، ١٩٩٩م.

مدار العصور ولكل الأجيال.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه المعاني في غير موضع من آياته، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويعد الحفاظ على التوازن البيئي أحد الأسس الدعوية التي تنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة، ذلك أنه لا سبيل للحياة إذا لم يكن هناك توازن في نظام الترابط البيئي، فإذا تغاضى الإنسان عن وحدة الكون وتخلّى عن أمانة الاستخلاف، فإنه يخل بالميزان الذي جعله الله كضامن لاستمرار الحياة في هذا الكون. والميزان هنا لا يجب أن يدركه الناس فقط بمعنى وزن الأشياء المادية. فكل نشاط يقوم به الإنسان للتعامل مع البيئة يجب أن يكونا موزونين ليتلاءما مع هذه البيئة ومواردها<sup>(٣)</sup>.

ويرى الباحث، أن من أهم وأبرز ما يساعد الإنسان على تحقيق هذا التوازن ما يأتي:

(١) سورة الحجر، الآية (١٩).

(٢) سورة الشورى، الآية (١٧).

(٣) ينظر: التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، إعداد/ د. مصطفى دسوقي كسبة، ص (٧٣)، ملخصات بحوث المؤتمر الدولي: التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة، جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨م.



(١) عدم الإفساد في الأرض أثناء التعامل مع مواردها، وهو ما دل عليه قول الله

جل شأنه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

(٢) عدم الإفساد في الأرض بظلم الآخرين وبخس حقوقهم، يقول الله جل شأنه

على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا

تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٢).

فالفساد بمعناه البيئي يكون بالإسراف وعدم التوازن والاعتدال في استخدام

موارد البيئة والتعامل معها، أو التعامل معها على نحو فيه ظلم لأجيال الحاضر ويضر

بقدره أجيال المستقبل على الحصول على احتياجاتهم.

#### سادسا: مبدأ التعمير:

التعمير في اللغة من عَمَرَ، يقول ابن فارس: "العين والميم والراء أصلان

صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان... ومن الباب عِمَارَةُ الأَرْضِ، يقال عَمَّرَ

الناسُ الأَرْضَ عِمَارَةً، وهم يَعْمُرُونَهَا ... وَاسْتَعَمَرَ اللَّهُ - تعالى - الناسَ في الأَرْضِ

لِيُعْمَرُوهَا" (٣).

(١) سورة البقرة، جزء من الآية (٦٠).

(٢) سورة، هود، الآية (٨٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة: "عمر"، (٤ / ١٤١).

وأما عن التعمير في الاصطلاح فهو: "تعمير الأرض بأنواع البناء والغرس  
والزرع"<sup>(١)</sup>.

والإعمار هو أحد غايات خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ  
مِمَّا عَمَرُوهَا﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول الله جل شأنه على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ  
أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا  
فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ففي هذه الآية دليل على وجوب العمارة  
بجميع صورها واشكالها، يقول الإمام القرطبي: " ومعنى ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي:  
جعلكم عمارها و وَسُكَّانَهَا"<sup>(٤)</sup>.

قلت: وليس هناك أدق من مفهوم التعمير للتعبير عن التنمية في مفهومها  
الإسلامي إذ ليس المقصود من ذلك هو التعمير المادي الحسي، بل التعمير بمعنى التطوير  
والتنمية، وقد ذهب الفقهاء إلى أن التعمير أو التنمية بالمفهوم الدقيق واجب على كل  
مسلم كما يشير إلى ذلك القرطبي في تفسير هذه الآية<sup>(٥)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، (١٢ / ١٠٨).

(٢) سورة الروم، الآية (٩).

(٣) سورة هود، الآية (٦١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٩ / ٥٦).

(٥) المرجع السابق، (٩ / ٥٧).

كما تتجلى مكانة التعمير وأهميته كأحد أسس الدعوة الإسلامية وركائزها تجاه

تحقيق التنمية المستدامة من خلال عدة أمور، أبرزها ما يأتي:

- (١) أن العمارة تعد واجباً شرعياً يجب على كل إنسان القيام والمحافظة عليه قدر طاقته واستطاعاته ووفقاً لقدراته وإمكاناته.
- (٢) اكتشاف المواد وتجديدها وتعظيم الاستفادة منها.
- (٣) أن العمارة تستلزم بذل الجهد والعمل الجاد المتقن.
- (٤) أنها تشمل أنشطة إنسانية مستدامة ومتنوعة، كالزراعة والصناعة والتعليم.
- (٥) أنها تعتمد على الإنسان وقدراته وعلى تنظيم العمل والاستفادة من الموارد<sup>(١)</sup>.

#### سابعاً: مبدأ محدودية الموارد:

لقد أقر القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من نصوصه وآياته، فمن ذلك قول

الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول جل شأنه: ﴿وَلَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

(١) ضوابط الانتاج في الاقتصاد الاسلامي وأثرها على الانتاج والانتاجية، إعداد/ خالد بن سعد المقرن، ص (٤٠، ٤١)، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ.

(٢) سورة القمر، الآية (٤٩).

عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١﴾، ففي هاتين الآيتين إشارة إلى أن الأشياء لم تخلق عبثاً وأن الكم والكيف ضمان للتوازن والتناسق.

ويؤكد الله عز وجل عن محدودية الماء باعتبارها عصب الحياة وأساسها الحياة :  
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ . وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ . فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢).

ففي هذه الآيات أيضاً دليل على محدودية المورد الأول للبيئة والحياة، يقول العلامة ابن السعدي: " ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرته منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضاً معداً في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلاً حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلاً لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدرها عدمها، ماذا

(١) سورة الحجر، الآية (٢١).

(٢) سورة المؤمنون، الآيات من (١٧ - ١٩).

يُحْصَلُ بِهِ مِنَ الضَّرَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وعليه، فالواجب هو الاستغلال الأمثل للماء وغيرها من الموارد بالعدالة في التوزيع نبد الإسراف بشتى صورته، بمعنى أن تستغل النظم البيئية استغلالاً علمياً رشيداً ومستداماً، وفقاً لمنهج "الوسطية"، فلا إفراط أو تفريط، بما يضمن تحقيق تنمية مستدامة. وبعد، فهذه أبرز الأسس التي يركز عليها منهج الدعوة الإسلامية وتنطلق منها مسؤولية الدعوة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها، والملاحظ مما جاء فيها أنها أسس ربانية ذات منطلقات إسلامية تبرز علو شأن التنمية المستدامة في الإسلام وتميزها عما نادى به الفكر الوضعي في ثقافته المعاصرة؛ وهذا يعكس لنا الحكمة من وراء تأكيد القيادة الرشيدة -حفظهم الله- في رؤية المملكة (٢٠٣٠م) على تبني منهج الإسلام وهديه في تحقيق التنمية، الأمر الذي عبروا عنه بقولهم: "يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (١/ ٥٤٩). مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة  
والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يعكس مدى حرص القيادة الرشيدة على تبني منهج الدعوة  
الإسلامية في تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في جميع المجالات.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

## المبحث الرابع

## الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة

أصل الأسلوب من "سلب"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان أبرزها الطريق والمذهب، فيقال: "سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه"<sup>(١)</sup>. وفي ضوء السياق ذاته عرف الدعاة إلى الله عز وجل الأساليب الدعوية بأنها: "عرض ما يراد عرضه من معاني وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة"<sup>(٢)</sup>.

والتأمل في مصادر الدعوة<sup>(٣)</sup> يجد العديد من الأساليب المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها، ولعل من أبرزها كما يرى الباحث ما يأتي:

- 
- (١) المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة "سلب" ص (٤٤١).
- (٢) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف الدكتور أبو المجد نوفل، (١/ ١٨٩)، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة- القاهرة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٣م.
- (٣) مصادر الدعوة هي: "ما يستقي منها الدعاة دعوتهم، والمنطلقات التي ينطلقون منها في عملهم، ويسرون على ضوئها، تتمثل مصادر الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح والتجارب بشكل عام للدعاة وغيرهم"، المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، تأليف/ د. عبد الله بن محمد الجلي، ص (٢٤١)، مجلة الدراسات الدعوية، ع (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

## أولاً: الترغيب:

عرف الدعاة إلى الله الترغيب الدعوي بأنه: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه"<sup>(١)</sup>.

والترغيب الذي أعنية في هذا المقام هو الترغيب في الحفاظ على موارد البيئة ومقومات التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من نصوص السنة النبوية المشرفة، فمن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة}<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: {من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له به صدقة}<sup>(٣)</sup>.

فيتبين من هذين النصين مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته للحفاظ على الثروة حماية الغطاء النباتي والموارد الزراعية، وذلك من خلال تشجيع المسلمين على النهوض بعملية التشجير، المتمثلة في غرس الأشجار وزراعتها وترغيبهم في ذلك ببيان الفضل والثواب المرتب على ذلك، وهو ما وجه إليه أحد الباحثين حيث علق على هذين الحديثين بقوله: "ففي كلا الحديثين ترغيب في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعل ثواب ذلك أجراً عظيماً، فكل ما يصاب من ثمار الأشجار والزرع هو

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص (٧٤٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٣/ ١٠٣)، حديث رقم (٢٣٢٠).

(٣) المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، (٢٧/ ٩٢، ٩٣)، حديث رقم (١٦٥٥٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وقال محققوه: "إسناده حسن".



صدقة ينميها الله عز وجل لصاحبها إلى يوم القيامة، بما في ذلك ما تصيبه أحياء البيئة من طير وسباع وحيوان ودواب وحشرات" (١).

ومن مظاهر ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: {إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته} (٢).

فالشاهد في هذا الحديث أيضا أنه صلى الله عليه وسلم يرغب في الحفاظ على الماء باعتبارها عصب الحياة وإحدى لوازم التنمية وتحقيق استدامتها وذلك من خلال الترغيب في حفر الأنهار وشق القنوات وجعلهما من جملة الصدقات التي يلحق ثوابها المؤمن يوم أن يلقي الله عز وجل.

ومن مظاهر الترغيب أيضا ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {من أعمار أرضا ليست لأحد فهو أحق} (٣)، أي هو أحق بها، قال القرطبي: "الموات الأرض التي لم تعمر، شبهت العمارة بالحياة وتعطيها بفقد الحياة. وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم مالك عليها لأحد

(١) ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، إعداد/ د. محمد عبد القادر الفقي، ص (٩)، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في السنة، الأمانة العامة لندوة الحديث، بدون تاريخ.

(٢) سنن ابن ماجه، للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق/ الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، باب ثواب معلم الناس الخير، (١ / ٨٨)، حديث رقم (٢٤٢)، دار إحياء الكتب العربية، وقال محققه: "إسناده حسن".

(٣) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: من أحيأ أرضا مواتا، (٣ / ١٠٦)، حديث رقم (٢٣٣٥).

فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواء أكانت فيما قرب من العمران أم بعد"<sup>(١)</sup>.

ويتبين من هذا النص ومما جاء في الهدى النبوي مدى ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الأخذ بمقومات التنمية والحرص عليها، حيث حث على إحياء الأرض الموات وزراعتها وإصلاحها وتنميتها، وذلك بتشجيع الناس على إحياء الأرض مقابل تملكهم إياها، وفي ذلك توسيع لحركة الجهد والنشاط في المجتمع، وفتح لباب العمل في استصلاح الأراضي والزراعة وما يتعلق بها، وخلق فرص للعمل في هذا الجانب المهم للمجتمع، فضلا عن محاربة البوار والتصحر وغيرهما مما يعوق عملية التنمية المستدامة ويجول دون تحقيق أهدافها.

#### ثانيا: الترهيب:

وقد عرفه الدعاة إلى الله بأنه: "كل ما يخيف المدعو ويجذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"<sup>(٢)</sup>.

وكما هو الحال بالنسبة للترغيب فإن الترهيب يُعد أيضاً من أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والمقصود به هنا هو التخويف والتحذير من المساس بمقومات التنمية المستدامة أو ارتكاب أي من المحظورات التي تحول دون تحقيقها، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن حُبشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {من قطع سدره صوب الله رأسه في النار}<sup>(٣)</sup>، ومنَ المعلوم أن السدر

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (٢٣/٥)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص (٧٤٨).

(٣) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الأدب، باب في قطع السدر، (٤/

ينبت في الصحارى ويصبر على العطش ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفويؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي في سفر أو في رحلة أو في بحثهم عن الكالأ والمرعى، والوعيد بالنار لمن قطع سدره يدل على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان وضمان التنمية وتحقيق استدامتها.

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل} (١)، و(الملاعن): جمع ملعنة، وهي مواضع اللعن. والمراد بالموارد: الحجاري، والطرق إلى الماء، واحدها مورد، يقال: وردت الماء إذا حضرته لتشرب. والورد: الماء الذي ترد عليه. (وقارعة الطريق): أي الطريقة التي يقرعها الناس بأرجلهم ونعالهم، أي يدقونها ويمرون عليها... وهي وسط الطريق. (والظل): أي ظل الشجرة وغيرها (٢).

ولا يخفى ما في هذا النص من تهيب وتحذير ووعيد لمن وقع في تلك الموبقات فهي تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء، كما أن ممارسة هذه

(٣٦١)، حديث رقم (٥٢٣٩)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ، وقال الإمام الألباني: "حديث صحيح"، ينظر: صحيح سنن أبي داود، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، (٣/ ٢٨٦)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب: المواضع التي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها، (٧/ ١)، حديث رقم (٢٦)، وقال العلامة الألباني: "حديث حسن"، صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، (١/ ١٩).

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، تأليف أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، (١/ ٤٧)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ.

السلوكيات (أي: التبول والتبرز في الموارد) تتسبب في إفسادها، فالتبول أو التبرز في الماء الراكذ يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية وسرعة تكاثرها وانتشارها<sup>(١)</sup>، وغير ذلك مما يضر بالماء والبيئة ويعوق التنمية من جميع جوانبها ويجول دون تحقيق أهدافها، ولذا فقد تواعد صلى الله عليه وسلم من يعتدي على الماء باللعن والطرده من رحمة الله عز وجل.

### ثالثاً: القدوة الحسنة:

أسلوب القدوة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية ، وذلك لما له من أثر مقصود وغير مقصود على المدعو، فضلاً عما يعكسه من سلوكيات الداعي وأخلاقه. وتعد القدوة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شاهد ودليل على ذلك، حيث ضرب أروع المثل في التحلي بالأخلاق الحسنة والسلوكيات الإيجابية المسهمة في رعاية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، فعن أنس رضي الله عنه قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل - أو كان يغتسل - بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد"<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أيضاً ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها أنها: "كانت تغتسل هي والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريبا من ذلك"<sup>(٣)</sup>،

---

(١) المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، إعداد/ د. عدنان أحمد البار، ص (١٠٤، ١٠٥)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع (١١) ١٩٩١م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، (١ / ٥١)، حديث رقم (٢٠١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب: القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر، (٢ / ٢٠٢)، حديث رقم (٣٢١).

وكان أبو جعفر عند جابر بن عبد الله هو وأبوه وعنده قوم فسألوه عن الغسل، فقال: يكفيك صاع، فقال رجل: ما يكفيني. فقال جابر: (كان يكفي من هو أوفى منك شعرا، وخير منك)<sup>(١)</sup>، يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

والشاهد في هذه النصوص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قدوة لأهل بيته ولغيرهم من الأمة في الحفاظ على الماء والاقتصاد في استخدامه حتى ولو كان ذلك من أجل الوضوء والعبادة، وقد كان لفعله صلى الله عليه وسلم خير قدوة وأسوة لجابر بن عبد الله رضي الله عنه ولمن دخلوا عليه يسألونه عن الغسل وسيظل هكذا لكل من اقتدى بهديه صلى الله عليه وسلم وتخلق بأخلاقه، مما يؤكد أهمية القدوة الحسنة كأسلوب دعوي في الحفاظ على موارد البيئة وتحقيق التنمية المستدامة وأهدافها.

#### رابعا: لفت الأنظار:

والمقصود هو لفت الدعاة إلى الله عزوجل أنظار المدعوين للبعد الجمالي للبيئة، وخلق روحاً من التآلف بينها وبينهم، من خلال الإحساس بما تنطوي عليه من متعة وبهجة وسرور، وكل ذلك لاستشعار قيمتها والحفاظة عليها فضلا عن تنميتها، ولنا في كتاب الله عز وجل خير شاهد ودليل على ذلك، حيث قال الله جل شأنه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>(٢)</sup>، والبهيج هو: "الشيء المشرق الجميل الذي

(١) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الغسل بالصاع ونحوه، (٦٠ / ١)، حديث رقم (٢٥٢).

(٢) سورة ق، الآيتان (٦، ٧).

يدخل البهجة والسعادة والسرور إلى من نظر إليه، وهذا الوصف يدل على دقة صنع الله تعالى" (١).

ويقول الله جل شأنه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾ (٢)، وقال تبارك اسمه ﴿وَمَا ذَرَأًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)، فهذه الآيات تشير إلى أن الله تعالى خلق الفضاء، والأرض، والبحار، والأشجار، ومصادر المياه، وغيرها من مظاهر البيئة وعناصرها، سليمة نقية طيبة نافعة للإنسان، بل إن هذه الآيات أضفت على هذه المذكورات بعداً جمالياً وذوقياً، لتنبه الإنسان على ضرورة مراعاة هذا الخلق النقي الجميل، والحرص على استمراره وتنميته، والحفاظة عليه (٤).

وقال أيضاً مفصلاً بعض هذه النعم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ فِي الْبَحْرِ بَأْمَرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ

(١) تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (٢٦ / ٢٨٩)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٨٤ م.

(٢) سورة الحج، جزء من الآية (٥)

(٣) سورة النحل، الآيتان (١٣، ١٤).

(٤) ينظر: الآيات والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطويرها، إعداد/ بكر مصطفى طه،

(ص ٩١)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣ م،

الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١﴾ .

فمن هذه الآيات ندرك مكانة البيئة في الإسلام، وأنَّ الله تعالى منح الإنسان الموارد الكونية والبيئية النافعة له، فيسرّها له للانتفاع بها في أغراض شتى، وجعل هذه الأغراض المادية سبيلاً من سبل الإعانة على الحياة، وعرض البعد الجمالي والمشرق للبيئة وحث الإنسان على ضرورة مراعاة هذا الخلق النقي الجميل، والحرص على استمراره وتنميته، والمحافظة عليه، وكذا تكفّل الله تعالى بحفظ النوع والسلالة لجميع المخلوقات، وجميع ما على ظهر الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

#### خامساً: النهي عن الإسراف:

الإسراف هو: " تجاوز الحد في النفقة، أو أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة " (٢).

ويعد النهي عن الإسراف من أهم الأساليب الدعوية المسهّمة في تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من الشواهد، منها قول: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣)، وقال الله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي

(١) سورة إبراهيم، الآيات (٣٢ - ٣٤).

(٢) التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص (٢٤)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٣١).

أَنْشَاءً جَنَاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَعَبِيرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ مُتَشَابِهًا وَعَبِيرَ  
مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾ .

ففي هاتين الآيتين دعوة للوسيطه والاعتدال ونهي واضح عن الإسراف باعتباره  
من أبرز الآفات التي تحول دون تحقيق التنمية، فقد: "أحل الله لعباده الأكل والشرب مما  
لم يحرمه ونهاهم عن الإسراف والتبذير، وهو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم التنمية  
المستدامة، أي الوسطية في الاستغلال والانتفاع بالثروات والموارد الطبيعية دون إسراف أو  
تبذير، وهو ما يحفظ حقوق الأجيال القادمة بالانتفاع مما انتفع به من قبلهم" (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبُسُوا، فِي غَيْرِ  
مَخِيلَةٍ وَلَا سَرْفٍ} (٣)، ففي هذا الحديث أيضا نهي واضح عن الإسراف؛ لما له من  
أضرار على حياة الناس ومعاشهم، يقول ابن حجر: "هذا الحديث جامع لفضائل تدبير  
الإنسان نفسه وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة فإن السرف في كل  
شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإلتلاف" (٤).

#### سادسا: النهي عن الفساد والتحديز منه:

يعد الفساد - بجميع صورته وأشكاله - من أخطر الآفات التي تُهدد الأمم  
والمجتمعات؛ ولذلك لما يترتب عليه من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية لا يمكن أن

(١) سورة الأنعام، الآية (١٤١).

(٢) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، تأليف / د.

سهيل زغدود، وآخرون، ص (١٦)، مج (٦)، ع (١)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م.

(٣) المسند، (١١ / ٣١٢)، حديث رقم (٦٧٠٨)، وقال محققوه: "إسناده حسن".

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (١٠ / ٢٥٣).



يتأتى معها أي نوع من التنمية؛ ولذا فإن النهي عن الفساد والتحذير من الوقوع في جرائمه يعد من أهم وأبرز الأساليب الدعوية المسهمة في القضاء على هذه الظاهرة والاتجاه نحو طريق التنمية والتقدم، قال الله تعالى: ﴿وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله جل شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>،

فالملاحظ أن الآيتين تناولتا موضوع الإفساد في الأرض، وجاء بصيغة النهي في قوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وعدم الإفساد في الأرض هو الركيزة الأساسية للفكر التنموي المستدام، فالإفساد يضر بحقوق الأجيال الحاضرة والقادمة، وهو من أكثر الأفعال المنهي عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية، لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض يجب عليه الحفاظ عليها وصورها لا الإفساد فيها<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

(٣) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق،

ص (١٧).

## سابعاً: الحث على الإيجابية:

الإيجابية كما عرفها الباحثون هي: "ترويض النفس على العمل الدؤوب بدون ملل بعيداً عن السلبية في مجالات الحياة، ومواجهة الصعاب بما يضمن خدمة المجتمع استجابة للتطور في إطار النظرة الإنسانية لله وللكون وللحياة"<sup>(١)</sup>.

والحث على الإيجابية- وفقاً لهذا المعنى- والدعوة للتحلي بها يعد من أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص الدعوية، فمن ذلك قول الله جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إن قامت على أحلكم القيامة، وفي يده فسيلة ليغرسها }<sup>(٣)</sup>، ففي الحديث النبوي الشريف دعوة من رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الغرس والزرع والتشجير، ولأهمية هذا العمل في الإسلام دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القيام به حتى وإن قامت الساعة، والغرس والزرع والتشجير من أهم أعمال المحافظة على البيئة والمحيط الحيوي للإنسان والتي بدورها تسهم في تنمية الفكر التنموي المستدام لدى عامة الناس<sup>(٤)</sup>.

(١) الإيجابية في التربية الإسلامية، تأليف/ توجان محمد الحوراني، ص (١١)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣م.

(٢) سورة الجمعة، الآية (١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٢٥١ / ٢٠)، حديث رقم (١٢٩٠٢)، وقال محققوه: "إسناده صحيح".

(٤) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص (١٧).

وبعد، فهذه أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة كما أشارت إليها نصوص الوحيين الشريفين وأكدت عليها كتابات الدعاة إلى الله عزوجل وغيرهم من أهل العلم، ولا يسع الباحث في هذا المقام سوى التأكيد على بعض الضوابط التي ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل مراعاتها أثناء استخدام هذه الأساليب وغيرها مما يسهم في تحقيق التنمية المستدامة، وهي ما يأتي:

(١) مراعاة أحوال المدعويين، وذلك باختيار أنسب الأساليب الدعوية ملائمة لظروفهم وأحوالهم الإيمانية والنفسية والسلوكية، فلا يصح الحث على الإيجابية أو الترغيب في تحقيق أي نوع من التنمية والتقدم لدى شخص متورط في جرائم الفساد وبرائته، بل الأولى نهي عن ذلك وحثه أولاً على الإقلاع عنه.

(٢) التحلي بالقدوة الحسنة، فقد أثبتت نتائج البحث حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استخدام هذا الأسلوب، ومدى أهميته في الحفاظ البيئة وتحقيق أهداف التنمية، ولذا فالأولى بالدعاة إلى الله عز وجل الاقتداء والتأسي بنبينا صلى الله عليه وسلم، وموافقة أفعالهم لأقوالهم، فقد أنكر الله عز وجل على أهل الإيمان مخالفة ذلك فقال جل شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا

لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

(١) سورة الصف، الآيتان (٢، ٣).

(١) التحلي بالوسطية والاعتدال في الخطاب الدعوي على وجه العموم، بغض النظر عن الأساليب المستخدمة في عرض الخطاب وطريقة إلقاءه، فإن المتأمل في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠) يجد بوضوح مدى تأكيد القيادة الرشيدة - حفظهم الله وسدد خطاهم - على ضرورة الوسطية والاعتدال لتحقيق محاور الرؤيا وأهدافها سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غيرها، حيث تقول: "يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والحث على إتقانه... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتيان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يعكس مدى حرص القيادة الرشيدة حفظهم الله على أن تكون الوسطية هي المنهج المستخدم تجاه تحقيق أهداف الرؤية المباركة سواء أكانت تتعلق بالتنمية أم غيرها، ولذا فالواجب على الدعاة إلى الله بل والبشرية كلها أن تتحلى بالوسطية وغيرها مما تدعو إليه الرؤية المباركة من قيم ومبادئ.

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تنجلي الظلمات، وبفضله وتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، وبعد:

فإن النهوض بالأمة والارتقاء بحياة أبنائها يعد من أعظم المسؤوليات التي تقع على عاتق الدعاة إلى الله عز وجل؛ ولذا فقد جاء هذا البحث لكي يُسلط الضوء على المسؤولية الدعوية تجاه تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في ضوء ما نصت عليه رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م، وقد تبين مما جاء فيه أن التنمية المستدامة التي يدعو الإسلام لتحقيقها هي تنمية شاملة لجميع مناحي الحياة ومجالاتها، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها من جوانب العبادة، فعبادة الله تعالى كما تكون بالصلاة والصيام والزكاة والحج تكون أيضاً بإعمار الأرض وإصلاحها والحفاظ على مقومات الحياة على نحو يضمن حق الأجيال الحاضرة والقادمة في الاستفادة منها والاستمتاع بها، ولذا فقد أولت الدعوة الإسلامية التنمية المستدامة رعايتها وجاءت نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية وحياة السلف الصالح لتوضح الأسس والأساليب التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها لتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، ولقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، يمكنه تصنيفها وسردها على النحو الآتي:

## أولاً: النتائج:

- (١) أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يعد أكثر شمولاً من الأنظمة الوضعية، فالتنمية المستدامة في الإسلام تنمية شاملة للإنسان الذي يؤدي وظيفته في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض وإعمارها، وهي واجبة على كل مسلم باعتبارها جانب من جوانب العبادة والطاعة لله عز وجل.

(٢) أن الدعوة الإسلامية قد أولت التنمية المستدامة عناية كبرى، وقدمت لتحدياتها الحلول الوقائية والعلاجية التي تجعل للإسلام قصب السبق في تقرير مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها قبل غيره من الأديان، المتصفح والمتمعن في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يعجز أمام هذه الحقائق المدهشة التي نادى بالتنمية المستدامة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

(٣) أن التنمية المستدامة في الدعوة الإسلامية ذات أسس وأهداف سامية تعني بتنمية الإنسان روحياً وأخلاقياً وفكرياً وحضارياً باستخدام أساليب مناسبة لتحسين جوانب التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

(٤) أن المملكة العربية السعودية تسعى لتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها عبر رؤية مستقبلية، مسترشدة في ذلك بمنهج الدعوة الإسلامية الذي يتسم بالوسطية والاعتدال في كافة مناحي الحياة وجوانبها.

(٥) أن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) تعد من أهم الركائز التي تركز عليها وتنطلق منها المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في الواقع المعاصر.

(٦) أن مسؤولية الدعوة إلى الله عز وجل لا تقل عن مسؤولية غيرهم من أبناء الأمة في تعزيز التنمية المستدامة والعمل على تحقيق أهدافها.

ثانياً: التوصيات:

(١) أوصى علماء الأمة وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسير على الناس في شئون حياتهم، فالمنهج الوسطي هو المنهج الذي رضيته

الله تعالى للأمة وهو أيضا ذات المنهج الذي اتخذته رؤية المملكة (٢٠٣٠) أساساً ومنطلقاً لتحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها.

(٢) تعزيز التعاون والشراكة بين وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدعوية والوزارات والمؤسسات المعنية بالبيئة في الدول الإسلامية وغيرها؛ من أجل القيام بمبادرات مشتركة تؤصل لأهمية الدعوة الإسلامية ودورها في الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(٣) تنظيم ندوات وبرامج دعوية بصفة مستمرة لجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله تناول أسس التنمية المستدامة وأساليب تحقيقها مؤشرات نجاحها، والاستعانة بالخبراء والتخصصيين والاستفادة من التجارب الآخرين في هذا الشأن.

(٤) تفعيل دور مراكز للدراسات والبحوث والجامعات من أجل إعداد الدراسات المتخصصة في مجال البيئة ومعالجة قضاياها المختلفة من تلوث ، أو تصحر، أو استنزاف الموارد، وغير ذلك من القضايا التي تعوق التنمية المستدامة وتحول دون تحقيق أهدافها.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٣. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٤. المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥. سنن ابن ماجه، للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
٦. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ.
٧. صحيح سنن أبي داود، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.



ثانياً: المراجع:

١. إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة تأليف/ خالد مصطفى قاسم، إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧م.
٢. أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٦م.
٣. الاستدامة التحديات والفرص، تأليف/ د. عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٠م.
٤. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، تأليف/ أ.د. عبد الرحيم محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
٥. الإسلام والبيئة، إعداد/ إبراهيم علي حسن، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع (١)، القاهرة- جمهورية مصر العربية،
٦. الإسلام وحماية البيئة، إعداد/ د. آمنة نصير، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ع (٧٦)، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٧. إعلان الحق في التنمية، الأمم المتحدة، مكتب المفوض السامي، الأمم المتحدة، بدون تاريخ.

٨. الآيات والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطويرها، إعداد/ بكر مصطفى طه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م.
٩. الإيجابية في التربية الإسلامية، تأليف/ توجان محمد الحوراني، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣م.
١٠. التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.
١١. تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٨٤م.
١٢. التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧م.
١٣. التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، إعداد/ د. مصطفى دسوقي كسبة، ملخصات بحوث المؤتمر الدولي: التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة، جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨م.
١٤. التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. سهيل زغدود، وآخرون، مج (٦)، ع (١)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م.
١٥. التوازن البيئي من منظور إسلامي، إعداد/ د. أحمد حطاب، مجلة جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٤٦)، ١٩٩٩م.

١٦. التوقيف على مهمات التعريف، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط ١، ١٤٤٠هـ.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحيق، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٨. التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، أعمال المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة، الرباط، المملكة المغربية، ٢، ٣، أكتوبر، ٢٠١٩م.
١٩. الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
٢٠. الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف الدكتور أبو المجد نوفل، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة- القاهرة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٣م.
٢١. دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية، إعداد/ عاطف عبد الواحد الجاك إدريس، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم- السودان، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٢٢. ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، إعداد/ د. محمد عبد القادر الفقي، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في السنة، الأمانة العامة لندوة الحديث، بدون تاريخ.
٢٣. رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).
٢٤. رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠): دراسة مرتكزاتها من القيم الثقافية والإسلامية، إعداد/ د. محمد أحمد الدش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة- جمهورية مصر العربية، ع (١٢٧)، ٢٠١٩م.
٢٥. ضوابط الانتاج في الاقتصاد الاسلامي وأثرها على الانتاج والانتاجية، إعداد/ خالد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.
٢٦. العالم الإسلامي والتنمية المستدامة: الخصوصيات والتحديات والإلتزامات، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، جدة- المملكة العربية السعودية، خلال الفترة من (١٠ - ١٢ / ٦ / ٢٠٠٢م)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢م.
٢٧. العريفي: رؤية ٢٠٣٠ لا تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، صحيفة سبق الإلكترونية، بتاريخ ٣٠/ مايو/ ٢٠١٧م.
٢٨. العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، تأليف محمد عبد الرحمن بيبصار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٠م.

٢٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، تأليف أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ.
٣٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٧٩ هـ.
٣١. فلسفة التربية (رؤية تربوية إسلامية)، تأليف / إبراهيم أحمد عمر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٢ م.
٣٢. اللجنة العالمية للتنمية والبيئة: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩ م.
٣٣. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
٣٤. المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغير المناخ: تقارير اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (٢٠١٠-٢٠١٥)، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ٢٠٢٠ م.
٣٥. المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، د. عدنان أحمد البار، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع (١١) ١٩٩١ م.

٣٦. المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف/ د. محمد محمد القاسم، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٧م.
٣٨. المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، تأليف/ د. عبد الله بن محمد المجلى، مجلة الدراسات الدعوية، ع (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ
٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف/ د. أحمد مختار عمر، وآخرون، عالم الكتب، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٤٠. المعجم الوسيط، إعداد/ مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجموعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤١٥هـ، ٢٠٠٤م.
٤١. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٢. مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. عبد الله ب إبراهيم الناصر، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م.
٤٣. مناهج البحث العلمي تطبيقات ادارية واقتصادية، تأليف/ د. أحمد حسين الرفاعي، دار وائل للطباعة، عمان- الأردن، ط ٦، ٢٠٠٩م.

٤٤ . الموقع الرسمي للرؤى:

<https://www.vision.gov.sa/ar/v2030/overview>

٤٥ . نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور

الحضاري الإسلامي، تأليف/ د. نصر محمد عارف، دار القارئ العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٢م.

٤٦ . معوقات التنمية المتسدامة في دول العالم الإسلامي، إعداد/ سمر خيرى

مرسي، (المقدمة)، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي، مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي، جامعة قلمة (٣-٤ ديسمبر ٢٠١٢م).





البحث رقم (٥)

معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن  
الكريم دراسة نظرية

إعداد

د. حسن بن يحيى ظافر الشهري

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

بكلية العلوم والدراسات الإسلامية بالدوامي - جامعة شقراء



## ملخص البحث

يعرض هذا البحث موضوع: معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام، ويهدف إلى التعرف على مفهوم الحسبة والقصص، وإبراز أهمية دراسة معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام، والتعرف على أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية، واستنباط الدروس المتعلقة بالحسبة من تلك القصص.

وقد عمد الباحث إلى عرض الآيات القرآنية التي تضمنت أربعاً من قصص موسى عليه السلام من خلال المنهجين: الاستقرائي والاستنباطي، وقد تكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: قصص موسى عليه السلام الاحتسابية، والمبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية، والمبحث الثالث: الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب.

وقد توصل البحث إلى نتائج منها: أن الاحتساب يحقق جميع أنواع الأمن - الفكري والسلوكي والمعيشي والأخلاقي، وتبين في البحث أهمية التطبيق العملي والتدريب الميداني في مجال الحسبة كما اتضح أن ما وضعه العلماء من شروط للاحتساب وصفات المحتسب وأدابه، وضوابط المنكر قد تجلت في قصص موسى عليه السلام، وأن الاحتساب من أصول الدين وأسسسه المتينة التي لا يقوم إلا بها، وأنه من مهام الرسل من أولهم إلى آخرهم - عليهم السلام -.

الكلمات المفتاحية: معالم، حسبة، قصص.

## Abstract

This research presents the theme of the features of Hesba in the stories of Moses (Pbuh), aims to learn about the concept of Hesba and stories, to highlight the importance of studying the features of Hesba in the stories of Moses (Pbuh), to learn about the methods of Moses (Pbuh) and to draw lessons related to the account from those stories.

The researcher presented the Qur'anic Verses, which included ٤ stories of Moses (Pbuh) through the inductive and inferstive approaches, and consisted of an introduction, three investigations and a conclusion, the first research: the stories of Moses (Pbuh) and the second: The Methods of Moses (Pbuh) and the third: Lessons learned from the stories of Moses in the field of calculation.

The research found conclusions, including that calculation achieves all kinds of intellectual, behavioral, living and moral security, and found in the research the importance of practical application and field training in the field in the field of Hesba, as it became clear that the conditions set by scientists to calculate the recipes and literature of the account, and the controls of vice were manifested in the stories of Moses (Pbuh) that the calculation of the origins of religion and its solid foundations, which he does only, and that it is the tasks of the apostles from the first to the end - peace be upon them.

**Keywords:** Landmarks, Hesba, Stories.

## المقدمة

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ء وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما بعد:

فإن المتأمل في قصص موسى عليه السلام يلحظ أن له مواقف احتسابية قصها علينا القرآن الكريم، يمكن في هذا البحث عرض بعضها وبيان أساليب موسى عليه السلام في ذلك واستنباط الدروس المستفادة منها، ويكون تناول الموضوع من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: عرض أربعاً من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية من خلال الآيات القرآنية.

المحور الثاني: أساليب موسى عليه السلام في الاحتساب.

المحور الثالث: الدروس المستنبطة من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

### أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- ١- جمع الآيات القرآنية المتضمنة قصص موسى عليه السلام الاحتسابية وعرض تفسيرها.
- ٢- ضرورة معرفة أساليب الأنبياء والرسل -عليهم السلام- في مجال الاحتساب.

(١) صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج النيسابوري، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ح(٨٦٨) ٢/٥٩٣، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

والاقتداء بهم امثالاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ  
أَقْتَدَ﴾<sup>(١)</sup> ومنها قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

٣- أهمية استنباط ما في قصص موسى عليه السلام من دروس احتسابية تنير طريق المحتسب  
والمحتسب عليه.

### أسباب اختيار الموضوع:

- ١- اهتمام القرآن الكريم بقصص احتساب موسى عليه السلام وإيرادها بأسلوب شيق.
- ٢- كثرة الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر موسى عليه السلام واشتمالها على صور من  
احتسابه عليه السلام.
- ٣- ضرورة بيان احتساب الأنبياء والرسل -عليهم السلام- والاستفادة من ذلك في  
حياتنا.

٤- لم أجد من تناول قصة موسى عليه السلام في مجال الحسبة بهذه الصورة.

### أهداف البحث:

- ١- عرض الآيات القرآنية التي تضمنت قصص موسى عليه السلام الاحتسابية وبيان  
تفسير العلماء لها.
- ٢- بيان أساليب موسى عليه السلام في الاحتساب والإنكار.
- ٣- استنباط الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الحسبة وتجليتها  
للاستفادة منها.

### تساؤلات البحث:

- ١- ما قصص موسى عليه السلام الاحتسابية الواردة في القرآن الكريم؟
- ٢- ما أهم أساليب موسى عليه السلام في مواقفه الاحتسابية؟
- ٣- ما الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب؟

(١) سورة الأنعام الآية (٩٠).

## حدود البحث:

نظراً لكثرة قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم، واشتمالها على جوانب احتسابية وهذا

البحث لا يحتمل تناولها كلها فقد اكتفى الباحث بتناول أربعاً منها، وهي:

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبط.

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء.

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر.

## الدراسات السابقة:

من خلال البحث عن دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع لم أجد من بحثه من

هذا الجانب وإنما كان تناوله في بعض المؤلفات من جوانب فقهية أو تفسير موضوعي أو

بيان عقيدة ضمن موضوعات متعددة أو استنباط فوائد من قصة موسى عليه السلام ولم أجد من

خص قصص موسى عليه السلام الاحتسابية بدراسة علمية متخصصة في مجال الحسبة.

## الإضافة العلمية للبحث:

يأمل الباحث أن يعرض مواقف موسى عليه السلام الاحتسابية من خلال الآيات القرآنية،

ويجلي أساليبه عليه السلام في مجال الاحتساب، ويستنبط الدروس الاحتسابية منها.

تقسيمات البحث: وقد انتظم البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس،

وقد جاءت الخطة على النحو الآتي:

## المقدمة

المبحث الأول: قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبط.

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء.

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر.

المبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

### نوع البحث ومناهجه:

نظراً لكون البحث تأصيلي نظري، فإن المناهج التي يرى الباحث أنها تناسبه.

١- المنهج الاستقرائي: وهو: «ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها، بالتتابع لما يعرض لها، والاستعانة بالملاحظة في هذه الجزئيات المختارة، وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة»<sup>(١)</sup>، وهذا المنهج يتناسب مع الدراسات الأصولية، وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية، فهو يساعد في الوصول إلى بعض القواعد أو الأصول المنهجية أو الفنية المهنية لإنجاز بعض الأعمال<sup>(٢)</sup> وعلى ذلك فاستخدام الباحث له يكون باستقراء وتبع ما ورد في القرآن الكريم من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

٢- المنهج الاستنباطي: هذا المنهج يستخدم في الدراسات الشرعية والقانونية، وفي غيرها «مثل بعض الدراسات المتصلة بالأساليب الدعوية الإقناعية أو الأساليب الأدبية وأساليب التعبير اللغوية وغيرها»<sup>(٣)</sup>، وهو المنهج الذي: «ينطلق من الحقائق العامة أو القواعد

(١) البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيع، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٧٨/١-١٧٩، ط ١، ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧٩، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٣) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل ٧٣.



العامّة المتفق عليها ذات القوة التشريعية للوصول إلى المسائل الواقعية الفرعية التي تستمد حلولها من تلك الحقائق العامة»<sup>(١)</sup>.

### تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح

الحسبة في اللغة: له عدة معان منها:

١- طلب الأجر: فنقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاسم الحسبة، وهو الأجر<sup>(٢)</sup>. وقد قال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>(٣)</sup>.

٢- الإنكار: فيقال: احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح عمله<sup>(٤)</sup>.

٣- الاختبار: فيقال: احتسب فلان فلاناً، اختبره، وسبر ما عنده<sup>(٥)</sup>.

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل ٧١.

(٢) انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت مادة (حسب)، ٣١٤/١، ط ١، ١٤١٠هـ، والقاموس المحيط، لمجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مادة (حسب)، ٧٤/١، ط ٥، ١٤١٦هـ.

(٣) صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، دار الشعب، القاهرة، حديث رقم (١٩٠١)، ٣٣/٣، ط ١، ١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٣١٧/١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٣١٧/١.

٤- الظن: من حَسِبْتُ أَحْسِبُ، أَي ظَنَنْتُ<sup>(١)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- حسن التدبير، فيقال: وإنه لحسن الحسبة في الأمر، أي: حسن التدبير والنظر فيه<sup>(٣)</sup>.

٦- الاعتداد، فيقال: «فلان لا يحتسب به، أي: لا يعتد به»<sup>(٤)</sup>.

**الحسبة في الاصطلاح:** وردت تعريفات عدة للحسبة في معناها الاصطلاحية ومنها:

١- «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(٥)</sup>.

٢- الحسبة: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس»<sup>(٦)</sup>.

٣- الحسبة: «عبارة عن المنع من منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة

(١) انظر: المرجع السابق، ٣١٤/١.

(٢) سورة الزمر آية (٤٧).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٣١٦/١-٣١٧.

(٤) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، مادة (حسب)، ٨٣، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤٠٢هـ.

(٥) الأحكام السلطانية، لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٦٣، بدون ذكر رقم الطبعة، وسنة الطبع.

(٦) معالم القرية في أحكام الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق المطيعي، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٥١، ط ١، ١٩٧٦م.

المنكر»<sup>(١)</sup>.٤- الحسبة: «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»<sup>(٢)</sup>.

٥- الحسبة: «رقابة إدارية، تقوم بها الدولة، عن طريق وال مختص، على أفعال الأفراد وتصرفاتهم؛ لصبغها بالصبغة الإسلامية، أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وفقاً لأحكام الشرع، وقواعده»<sup>(٣)</sup>.

٦- الحسبة: «ممارسة عملية الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(٤)</sup>، وبالمقارنة بين تلك التعريفات للحسبة، يتضح أن هناك من اشتمل تعريفه على الجانب الرسمي، والتطوعي، إلا أن هناك من اقتصر على الجانب الرسمي فقط. مما يمثل تضييقاً لمفهوم الحسبة الواسع، والشامل، كما بينه الشرع المطهر، لذا فإن أولها تعريف الماوردي-يرحمه الله- للأسباب التالية:

١- شمول المحتسب الرسمي، والمتطوع.

٢- سلامة أساسه؛ لارتكازه على جوهر الحسبة، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن

المنكر.

٣- انضباط عبارته؛ لإحاطته بكنه الحسبة.

(١) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ٢/٤٥٥ ط، ١٩٤١ هـ.

(٢) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٣٩٨ بدون رقم الطبعة، ١٩٨٢ م.

(٣) نظام الحسبة في الإسلام، لعبد العزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير من المعهد العالي للقضاء، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٦، ١٣٩٣ هـ.

(٤) شروط المحتسب وآدابه حافظ عابد إلهي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٠، ١٤٠٦ هـ.

٤- سلامة أسلوبه حيث استوحاه من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة<sup>(١)</sup>.

**تعريف القصص:** القَصُّ: «فعل القاصّ إذا قصَّ القِصصَ، والقِصَّةُ معروفة، ويقال: في رأسه قِصَّةٌ يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي نُبَيِّنُ لك أحسن البيان، والقِصَّةُ: الخبر، وهو القَصَصُ، وقصَّ عليّ خبره يُقْصُّه قِصًّا، وقَصَصًا أَوْزَدَه، والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصُوصُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الحسبة-تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها-، فضل إلهي، باكستان، نشر إدارة ترجمان

الإسلام، ٢٠، ط٧، ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة يوسف الآية رقم (٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور ٧/٧٣-٧٤.

## المبحث الأول

قصص موسى عليه السلام الاحتسابية في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال السعدي يرحمه الله: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالافتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة غيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به، وجاءك في هذه السورة الحق اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس، وموعظة وذكرى للمؤمنين، أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها»<sup>(٢)</sup>، وموسى عليه السلام ممن يقتدي به في إنكار المنكر لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدِهٖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>، وموسى عليه السلام مكنه الله في الأرض من بين بني إسرائيل واختاره لنفسه فكان عليه السلام يبادر في الاحتساب، وقصصه كثيرة، وقد اجتمع فيها الجانب الدعوي والاحتسابي، وسوف أقتصر على عرض أربع قصص تبرز فيها معالم الحسبة أكثر من غيرها وفيما يلي بيان ذلك:

(١) سورة هود الآية (١٢٠).

(٢) تفسير السعدي ٣٩٢/١.

(٣) سورة الأنعام (٩٠).

(٤) سورة الحج الآية (٤١).

**أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبطي:** ظهرت في قصة احتساب موسى عليه السلام على القبطي أركان الحسبة وبعض أساليبها ودرجات الإنكار، فاحتسب (موسى عليه السلام) واحتسب عليه (القبطي) واحتسب فيه (منكر الاقتتال) والوسيلة (اليد) والدرجة والأسلوب (التغيير باليد، والتوبيخ)، وقد عرض الله تعالى قصة احتساب موسى عليه السلام على القبطي وخصمه الإسرائيلي في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَنْ تُرِيدُ أَنْ تُتِثِّلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾<sup>(١)</sup>، قال السعدي-يرحمه الله- في تفسير الآيات: «ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، إما وقت القاتلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار، فوجد فيها رجلين يقتتلان، أي: يتخاصمان ويتضاربان، هذا من شيعته، أي: من بني إسرائيل، وهذا من عدوه، القبط، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثه موسى عليه السلام، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغاً يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان، فوكزه موسى عليه السلام، أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثته الإسرائيلي، فقضى عليه، أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى عليه السلام، فندم موسى عليه السلام على

(١) سورة القصص الآيات (١٥-١٩).

ما جرى منه، وقال: هذا من عمل الشيطان، أي: من تزيينه ووسوسته، إنه عدو مضل مبين، فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال، ثم استغفر ربه، قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، -خصوصاً للمخبتين، المبادرين للإجابة والتوبة-، كما جرى من موسى عليه السلام، فقال موسى عليه السلام: رب بما أنعمت عليّ، بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، فلن أكون ظهيراً، أي: معيماً ومساعداً، للمجرمين، أي: لا أعين أحداً على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرماً، كما فعل في قتل القبطي، وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر، ولما جرى منه قتل الذي هو من عدوه، أصبح في المدينة خائفاً يترقب هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى عليه السلام من بني إسرائيل، فبينما هو على تلك الحال، فإذا الذي استنصره بالأمس، على عدوه يستصرخه على قبطي آخر، قال له موسى عليه السلام: موجأً له على حاله، إنك لغوي مبين، أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة، فلما أن أراد أن يبطش، موسى عليه السلام، بالذي هو عدو لهما، أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى عليه السلام، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي، قال له القبطي زاجراً له عن قتله: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض؛ لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق، وما تريد أن تكون من المصلحين، وإلا فلو أردت الإصلاح لملت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عليه السلام عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى عليه السلام في هاتين القضيتين، حتى تراود ملاً فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك، وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى عليه السلام بما

اجتمع عليه رأي ملثهم، فقال: ...يا موسى إن الملائم يأترون، أي: يتشاورون فيك، ليقتلوك فاخرج، عن المدينة، إني لك من الناصحين، فامتثل نصحه»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء:

سبق في تعريف الحسبة أن من معانيها طلب الأجر، ولقد اعتاد موسى عليه السلام على فعل الخير ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف والمبادرة في ذلك لطلب الأجر من الله تعالى، ولما خرج من مصر بعد حادثة الأقباط دعا الله تعالى أن ينجيه من القوم الظالمين، والآيات الآتية: تقص علينا خروجه ووجهته وقصة احتسابه عليه السلام في مدين، قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِبَتِ اسْتَجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجْرْتَ الْقَوِيُّ لِلْأَمِينِ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَنِّي حِجْبٍ فَإِنِ اتَّمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>، قال ابن كثير - يرحمه الله تعالى - في تفسير الآيات: «ولما توجه لتقاء مدين، أي: أخذ طريقاً سالكاً مهيباً فرح بذلك، قال: عسى ربي أن يهديني سواء

(١) تفسير السعدي - (١ / ٦١٣)

(٢) سورة القصص الآيات (٢١-٢٨)



السبيل، أي: إلى الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعل هادياً مهدياً، ولما ورد ماء مدين، أي: ولما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء، وجد عليه أمة من الناس، أي: جماعة، يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان، أي: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا، فلما رآهما موسى عليه السلام، رق لهما ورحمهما، قال: ما خطبكما، أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟، قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبونا شيخ كبير، أي: فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى، فسقى لهما» (١).

**ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل:**

إن البحث عن معبود أمر فطري في الإنسان وإذا صاحب طلب المعبود جهل ضل صاحبه كما قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل لما طلبوا أن يجعل لهم إلهاً ﴿قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (٢)، ولما كان بنو إسرائيل حديثي عهد بدين ولازال الجهل فيهم هو الغالب طلبوا ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ﴾ (٣) وقد بين الله ذلك الطلب وجوابه في قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ﴾ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٥﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

(١) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٦/٢٢٦، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٣٨)

(٣) سورة الأعراف الآيات (١٣٨)

يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣٨﴾ (١)، قال القاسمي في تفسير الآية: « فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ أَي : يواظبون على عبادتها ويلازموها، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا أَي : صنماً نعكف عليه كما هم آلهة أَي : أصنام يعكفون عليها، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجْهَلُونَ أَي : شأن الألوهية وعظمتها، وأنه لا يستحقها إلا الله وحده، ثم قال: « إِنَّ هَؤُلَاءِ يَعْنِي عَبْدَةَ تِلْكَ التَّمَاثِيلِ (مُتَّبِعٌ) أَي : مهلك، مَا هُمْ فِيهِ، أَي : من الشرك، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أَي : عبادة الأصنام، وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى، فإنه كفر محض» (٢)، ثم قال: «أَي: موسى، مذكراً لقومه نعمه تعالى عليهم، الموجبة لتخصيصه تعالى بالعبادة: أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِيَكُمْ إِلَهًا أَي : أطلب لكم معبوداً» (٣)، ولما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه وأستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، حدثت لهم فتنة السامري فأخبر الله موسى عليه السلام بذلك قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٤)، ووصف الله فتنة قوم موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥)، وعاد موسى عليه السلام إلى قومه بالألواح غاضباً أسفاً ووجد القوم قد ضلوا، وعرض الله تعالى

(١) سورة الأعراف الآيات (١٣٨-١٤١)

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، بدون ذكر دار

النشر، ٢٨٤٦، ط١، ١٣٧٦هـ.

(٣) المرجع السابق الصفحة ٢٨٤٨.

(٤) سورة طه الآية (٨٥).

(٥) سورة الأعراف الآيات (١٤٨-١٤٩).

غضب موسى عليه السلام وأسفه وغيرته على دين الله وإنكاره الشديد لذلك المنكر المتعلق بالتوحيد، بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١)، وقد عاتب موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام وأخذ يجره بلحيته ورأسه من شدة الغضب لدين الله، قال تعالى: ﴿قَالَ يَهْلِكُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَاتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٤﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٢)، ثم رجع موسى عليه السلام يحاور قومه ويبحث أسباب هذا الافتتان، يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (٣)، وبعد هذا الحوار انتقل موسى عليه السلام إلى بحث السبب والاستفهام عن هذا المنكر الشنيع ومعرفة الدافع له لدى السامري، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٠)

(٢) سورة طه الآيات (٩٢-٩٤)

(٣) سورة طه الآيات (٨٦-٩١)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٦٦﴾ قَالَ فَأَدَّهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١﴾، بعد أن عَرَفَ موسى عليه السلام السبب ودوافع المنكر، عمل على إزالة ذلك المنكر من الوجود ليزول من قلوب القوم التي أُشربت حب العجل كما قال تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (٢)، قال السعدي -يرحمه الله- في تفسير الآيات: «فعل موسى عليه السلام ذلك، فلو كان إلهًا، لا تمتنع ممن يريد به بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة؛ لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له» (٣).

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر: عزم موسى عليه السلام أن يذهب إلى الخضر ليطلب منه العلم لما أخبره الله به، حيث «ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحيط به موسى عليه السلام، فأحب الذهاب إليه» (٤) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا آتِرُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٥)، فقرر موسى عليه السلام الذهاب إليه

(١) سورة طه الآيات (٩٥-٩٨)

(٢) سورة البقرة الآيات (٩٣)

(٣) تفسير السعدي ١/٥١٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ٥/١٧٣.

(٥) سورة الكهف الآية (٦٠)

مهما كلفه الأمر، ففعل، والآيات الآتية: تعرض لنا بعضاً من فصول تلك الرحلة العلمية العظيمة وما تخللها من مسائل علمية عملية ومواقف احتسابية قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١)، آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بما زاد علمه وحسن عمله، وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى عليه السلام، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية، والأصولية؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى عليه السلام قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً؟ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي،

(١) سورة الكهف الآيات (٦٥-٧٨)

وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك؛ ولكنك لن تستطيع معي صبراً، أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً؟! أي: كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟.

فقال موسى عليه السلام: ستجدني إن شاء الله صابراً، ولا أعصي لك أمراً، وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر.

فحينئذ قال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً أي: لا تتدعني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعدته أن يوقفه على حقيقة الأمر.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة حرقها! أي: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، سيبيته، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى عليه السلام: أخرجتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ، أي: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى عليه السلام نسياناً فقال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي أيها الخضر الشدة عليه، فسمح عنه الخضر، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً، أي: صغيراً، فقتله الخضر، قال موسى عليه السلام: أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً، وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحداً؟!!

وكانت الأولى من موسى عليه السلام نسياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر، فقال له الخضر: معاتباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟!، فقال موسى عليه السلام: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة، فلا تصاحبني، أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي، قد بلغت من لديني عذراً، أي: أعذرت مني، ولم تقصر، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، أي: استضافاهم، فلم يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، أي: قد عاب واستهدهم، فأقامه الخضر، أي: بناه وأعاده جديداً، فقال موسى عليه السلام: لو شئت لاتخذت عليه أجراً؟، أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجر؟!، وأنت تقدر عليها؟<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ل محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١١/١١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م، وتفسير ابن كثير، ٥/١٧٦، وجامع البيان في تأويل القرآن، ل محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٨/٦٢، ١٤٢٠هـ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر، بيروت، ١٠/١٨٣، ١٩٩٣ م، وانظر: تفسير السعدي، ١/٤٨٢.

## المبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح

الأسلوب في اللغة: «الأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، والفن، والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلانٌ في أساليب من القول، أي أفانين منه، ويجمع أساليب، وهي: الفنون المختلفة»<sup>(١)</sup>.

الأسلوب في الاصطلاح: هو «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه»<sup>(٢)</sup>، وقيل: «عرض ما يراد عرضه من معان، وأفكار، وقضايا، في عبارات، وجمل مختارة؛ لتناسب فكر المخاطبين، وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال»<sup>(٣)</sup>.

وقد استعمل موسى عليه السلام أساليب عدة منها:

**أولاً: أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة:** تستعمل الحكمة بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، وأحكم الأمر فاستحكم ومنعه عن الفساد<sup>(٤)</sup>.  
قال أبو بكر بن دريد-يرحمه الله-: «كل كلمة وعظمتك، وزجرتك، أو دعوتك إلى مكرمة، أو نعتك عن قبيح، فهي حكمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة(سلب) ٤٧٣/١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٣٠٣/٢، ط٣، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) المرأة المسلمة المعاصرة، لأحمد أبا بطين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ٥٢٣، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ١٤١٥، ومختار الصحاح، للرازي (مادة حكم) ٦٢.

(٥) جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد، ٢٩٣.



وقال الإمام النووي-يرحمه الله-الحكمة: «عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله-تعالى-المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقد تجلت حكمة موسى عليه السلام في كثرة استفهامه قبل احتسابه كما ورد ذلك في الآيات السابقة حين استفهم عن سبب ذود الرعا الغنم عن الماء، وسؤاله الخضر عن سبب قتل الغلام، وخرق السفينة وإقامة الجدار بلا أجر، وغير ذلك.

ثانياً: أسلوب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن:

المراد بالحوار في اللغة: «مصدر حاوره إذا راجعه في الكلام، وجاوبه»<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ وَصَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

الجدال والمجادلة: «المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله: من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله»<sup>(٤)</sup>.

ويراد بالحوار، والجدال في الاصطلاح: «مناقشة بين طرفين، أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول، والرأي»<sup>(٥)</sup>.

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١/١٣٣.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة(حور)، ٤/٢١٧.

(٣) سورة الكهف الآية (٣٧).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ٢٨/١٩٤.

(٥) التعريفات للجرجاني، مادة(جدل) ١٠٠، وانظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح

بن حميد، دار المنارة، جدة، ٦، ط ١، ١٤١٥هـ.

حيث إن من أسباب فعل المنكر، وترك المعروف: الخطأ، والجهل، والشهوة، والشبهة، واتباع الهوى، والكبر، والعناد، فموسى عليه السلام استعمل أسلوب الحوار، والمجادلة والتي هي أحسن، حتى يصبو المخطئ، ويعلم الجاهل، ويجلي الحق لصاحب الشبهة، ويقيم الحجة على المعاند، لعلمه عليه السلام أن الحوار من أنجح الأساليب في مجال الاحتساب، وقد اعتمد موسى عليه السلام في حواراته على الاستفهام بأنواعه ويتضح ذلك جلياً من الآيات الآتية: استعمل موسى عليه السلام أسلوب الاستفهام في الاحتساب لطلب الأجر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، واستعمل الاستفهام للإنكار على بني إسرائيل حين طلبوا الإله ليعبدوه تقريباً إلى الله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

كما استعمله عليه السلام لبحث سبب القول المنكر من قومه، قال عليه السلام: ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ومعرفة السبب الذي منع أخاه هارون من اتباعه حين ضل القوم ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٦﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾<sup>(٤)</sup>، واستعمل عليه السلام الاستفهام عن سبب إخلاف القوم وعد الله تعالى وسبب ذلك: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾<sup>(٥)</sup>، كما استعمل عليه السلام الاستفهام في الإنكار على

(١) سورة القصص الآية (٢٣).

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٤٠).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

(٤) سورة طه الآيتان (٩٢-٩٣).

(٥) سورة طه الآية (٨٦).

السامري وسبب ذلك المنكر الكبير والجرم العظيم الذي ارتكبه، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾<sup>(١)</sup>، واستعمل التعليل الاستفهام مع الخضر ﴿فَقَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: أسلوب التعرف على المحتسب فيه: لقد ظهر أسلوب التعرف على المحتسب فيه في احتساب موسى التعليل كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾<sup>(٦)</sup> وقوله عزوجل: ﴿قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(٩)</sup>.

رابعاً: أسلوب التعريف والتعليم: ويقصد بهما تعريف المحتسب عليه، وتعليمه الحكم الشرعي لما ارتكب من منكر، وبيان فضل ما ترك من معروف، فقد يكون جاهلاً، أو

(١) سورة طه الآية (٩٥).

(٢) سورة الكهف الآية (٧١).

(٣) سورة الكهف الآية (٧٤).

(٤) سورة الكهف الآية (٧٧).

(٥) سورة القصص الآية (٢٣).

(٦) سورة طه الآية (٩٥).

(٧) سورة الكهف الآية (٧١).

(٨) سورة الكهف الآية (٧٤).

(٩) سورة الكهف الآية (٧٧).

ناسياً، وقد تجلّى ذلك في احتساب موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١).

**خامساً: أسلوب الترغيب والترهيب من الله تعالى:** يظهر استعمال هذه الأساليب من قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (٢)، «فلما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وهو غضباناً أسفاً، أي: ممتلياً غيظاً وحنقاً وغماً، قال: لهم موبخاً ومقبحاً لفعالهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً، وذلك بإنزال التوراة» (٣).

**سادساً: أسلوب الغلظة في القول:** لقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب مع الإسرائيليين الذي تسبب في قتل موسى عليه السلام للقبطي واستعمله مع قومه عندما عبدوا العجل، ويتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيُّ مَبِينٌ﴾ (٤)، وقوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهَلُونَ﴾ (٥)، وقوله سبحانه ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ

(١) سورة طه الآيات (٩٧-٩٨).

(٢) سورة طه الآية (٨٦).

(٣) تفسير السعدي (١ / ٥١١).

(٤) سورة القصص الآية (١٨).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿١﴾، «فلما رجع موسى إلى قومه وهو غضبان أسف، أي: متلى غيضاً وحنقاً وغماً، قال لهم موجهاً ومقبحاً لفعالهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً، وذلك بإنزال التوراة» (٢)

**سابعاً: أسلوب المبادرة:** تجلى استعمال موسى ﷺ أسلوب المبادرة بالاحتساب في دفع القبطي الذي تقاتل مع الإسرائيلي ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

**ثامناً: أسلوب العفو:** وقد استعمل موسى ﷺ أسلوب العفو مع القبطي الذي قاتل الإسرائيلي للمرة الثانية لما استعطفه وطلب العفو منه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٥﴾﴾، وعفوه ﷺ عن أخيه هارون ﷺ وطلب العفو له من ربه، وقد بين الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا

(١) سورة طه الآية (٨٦).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٥١١).

(٣) سورة القصص الآية (١٥).

(٤) سورة القصص الآية (٢٤).

(٥) سورة القصص الآية (١٩).

يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي  
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١﴾.

**تاسعاً: أسلوب التهديد والتخويف:** وهذا الأسلوب آخر اجراء يمارسه المحتسب؛  
لنهي مرتكب المنكر باللسان ويليهِ الاحتساب باليد، وإيقاع الفعل، فيقال له: إن لم تنته  
لأضربنك، أو لأوذيتك، أو لأخبرن بك السلطات لتسحبك، وتعاقبك على فعلك، وينبغي  
أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً، وشرعاً، ونظاماً<sup>(٢)</sup>، وقد استعمل  
موسى عليه السلام هذا الأسلوب، كما فعل مع القبطي حيث إن كلامه يوحي بتهديد موسى  
عليه السلام له وأنه خاف منه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا  
قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا  
فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

**عاشراً: أسلوب التغيير باليد:** وقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب في أكثر من  
موضع من احتسابه عليه السلام، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي  
ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرٍ قَنُورٍ ثُمَّ لَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾<sup>(٤)</sup>، وعندما سقى للرعاء كما  
في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

(١) سورة الأعراف الآيتان (١٥٠-١٥١).

(٢) انظر: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الأمة، لعبد العزيز المسعود، ١/٥٢٥-٥٢٦.

(٣) سورة القصص الآية (١٩).

(٤) سورة طه الآية (٩٧).

فَقِيرٌ ﴿١﴾، وعند عتابه لأخيه هارون عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي ﴿٢﴾.

---

(١) سورة القصص الآية (٢٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

### المبحث الثالث

#### الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب

١- تجلّى في احتساب موسى عليه السلام تطبيق درجات إنكار المنكر وهي: الإنكار بالقلب والإنكار باللسان والتغيير باليد، كما ظهرت أركان الحسبة جلياً في قصص موسى عليه السلام الاحتسابية، وهي: المحتسب- وآدابه، والمحتسب عليه، والاحتساب ذاته- ودرجاته، ما يجعل قصص موسى عليه السلام سراجاً منيراً يُستضاء به في مجال الحسبة.

٢- تجلّى في قصص موسى عليه السلام أهمية طلب العلم والاستزادة للمحتسب والذي يعد من أهم صفات المحتسب، قال الشيخ السعدي- يرحمه الله تعالى: « في هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، فمنها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم»<sup>(١)</sup>، ومن الأمور المعلومة المقررة، أن من حالات الاحتساب أن يكون الاحتساب بالتعليم، وخاصة لمن يرتكب المنكر أو يقع فيه جاهلاً، وإن جهالة المحتسب فيما يأمر به، أو ينهى عنه، قد توقعه في الخطأ.

٣- تبين من قصة موسى عليه السلام صفة القوة والأمانة كما في قوله تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهي من أهم صفات المحتسب.

٤- استفاد من قصص موسى عليه السلام تعيّن الفرضية العينية على من تفرد بالعلم بموجب الحسبة، كما فعل عليه السلام مع القبطي والسقي للراء، وانحصار القدرة فيه عليه السلام.

(١) تفسير السعدي (٤٨٢/١) وانظر: تفسير القرطبي (١١ / ١١).

(٢) سورة القصص الآية (٢٦).



٥- تبين من قصص موسى عليه السلام وجوب التغيير باليد لمن توفرت فيه شروط ذلك، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِفَنَّهُ وُتَمَّ لَنْسِفَنَّهُ وُ فِي أَلِيمٍ نَسْفًا﴾ (١).

٦- تجلت في قصص موسى عليه السلام صفة المحتسب المثالي وهي: الشفقة والرحمة كما في قوله تعالى ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ (٢)، قال ابن كثير-يرحمه الله تعالى- في تفسيره: «فلما رآهما موسى عليه السلام، رق لهما ورحمهما، قال: ما خطبكما؟، أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟، قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبونا شيخ كبير، أي: فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى، فسقى لهما» (٣).

٧- يستفاد من قصص موسى عليه السلام ضرورة توقف المحتسب إذا ذكر بالله أو تبين له سبب مقنع في ظهور ما ينكره، كما فعل موسى عليه السلام مع القبطي الثاني، ومع أخيه هارون عليه السلام.

٨- من أهم صفات المحتسب الثبت وعدم الأخذ بالظنون وقد ظهرت تلك الصفة في قصص موسى عليه السلام يبين ذلك كثرة استفهاماته عليه السلام قبل أن يياشر الاحتساب من أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ (٤)، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَقْتَلْت نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٥).

(١) سورة طه الآية (٩٧).

(٢) سورة القصص الآية (٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير، ٢٢٦/٦.

(٤) سورة طه الآية (٩٥).

(٥) سورة الكهف الآية (٧٤).

٩- يستفاد من قصص موسى عليه السلام أهمية التعلم بالتطبيق العملي في حياة المحتسب قبل أن يمارس العمل في الميدان، حيث طلب موسى عليه السلام من الخضر أن يعلمه، فعلمه بالتطبيق العملي دون شرح نظري، كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۗ﴾ (١١) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ (١).

١٠- أهمية اعتبار مآلات الأمور في مجال الاحتساب إذا علم المحتسب ذلك، أو غلب على ظنه حصول المال المتوقع، ويتضح ذلك من خرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله الغلام وإقامة الجدار لما يعلم من المآلات المناسبة لذلك.

١١- يستفاد من قصص موسى عليه السلام أن المحتسب يختلف عن القاضي بكون المحتسب ينبغي أن يبادر ولو لم يستعدى، أما القاضي فيلزم أن يستعدى إليه ولا يبادر، كما ظهر ذلك في سقيه عليه السلام للرعاء، والإنكار على بني إسرائيل وإنكاره عليه السلام على الخضر، وافساد الخضر للسفينة دون طلب أصحابها، وقتله الغلام دون طلب والديه، وإقامة الجدار دون طلب اليتيمين.

١٢- يستفاد من قصص موسى عليه السلام أهمية الحوار وضرورة تفعيله في مجال الاحتساب وعدم أخذ المحتسب عليه دون تثبيت وتعريف، ويتضح ذلك من كثرة حوارات موسى عليه السلام واستفهاماته، مع الخضر عليه السلام والرعاء والسامري وهارون عليه السلام وبني إسرائيل.

١٣- من ثمرات الاحتساب أنه يحقق الأمن الاجتماعي والفكري والسلوكي والأخلاقي والمعيشي ويظهر ذلك جلياً في احتساب موسى عليه السلام على السقي للرعاء حيث نتج بسببه أن أمن موسى عليه السلام من القوم الظالمين، ووجد المأوى والعمل الوظيفي والزوجة،

(١) سورة الكهف الآيات (٦٦-٧٠).

قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْسِيًى عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ ۖ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَضَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَحَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَعْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِمَا كُنْتَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ فَاسْتَعْجِلْ لَئِنْ أَجَبْتَنِي فِي الْبَحْرِ بِسَافِرٍ فَادْبَرْتَنِي وَمَا كُنَّا بِمُرْسِيٍّ وَلَا مَاجِدٍ وَلَا مَحِلٍّ مِنَّا وَلَكِنَّا أَعْرَجْنَا وَأَصْلُنَا لَعْنَةُ اللَّهِ إِنَّ الظَّالِمِينَ خَالِفُوا بِحَمَلِ الْكَلْبِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ وَأَسْأَلُهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ (١).

والاحتساب يحمي من الانحراف الفكري بسبب الشبه، فقد قال قوم موسى عليه السلام له اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فمنعهم، وانطلت عليهم شبهة السامري بعبادة العجل، فأزاله موسى عليه السلام وبين لهم الحق في ذلك.

١٤- تجلت أهمية التحلي بصفة الصبر للمحتسب وضرورة تمالك الأعصاب وتحمل الغيرة على الدين التي قد تفقد المسلم صوابه أحياناً، ولا تدفعه شدة كره المنكر إلى الوقوع في منكر أكبر، وقد ظهرت تلك الأهمية في اشتراط الخضر على موسى عليه السلام الصبر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ۗ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ (٢)، لكن حرص موسى عليه السلام وصلاحه وطهارته نفسه وحبه للخير وشفقته على الغير وكرهه المنكر سبب في مجانبته تحمل الموقف، وقد كان موسى عليه السلام يتحمل أقصى الأذى من قومه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَلْقَوْنَ لِيَمَّ تُوذُونَنِي وَقَد تَّلَمُونَنِي أَنِّي

(١) سورة القصص الآيات (٢١-٢٨).

(٢) سورة الكهف الآيات (٦٦-٧٠).

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾،  
ويصعب عليه عليه السلام تحمل رؤية المنكر يمارس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله موسى لقد  
أوذى بأكثر من هذا فصبر»<sup>(٢)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص  
علينا من أمرهما»<sup>(٣)</sup>.

١٥- ضرورة صبر المحتسب في مجال طلب العلم ولا يستغرب من العالم بعض  
التصرفات التي قد تخالف ما عنده من العلم حتى يعرف سبب ذلك؛ لأن العالم قد يفعل  
أو يقول ما لا يراه المحتسب مناسباً لمصلحة يعرفها العالم، كما فعل الخضر مع الغلام  
وخرق السفينة وبناء الجدار.

(١) سورة الصف الآية (٥).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ح ٣١٥٠، ٢٢/٨.

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي: الناس أعلم فيكل العلم إلى  
الله تعالى، ح ١٢٢، ٤٢/١٠.

## الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده على ما من به عليّ من نعم عظيمة لا تحصى ولا تعد، ووفقي وأعاني على إتمام هذا البحث العلمي المتواضع الذي أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً لي ولوالدي وجميع من علمني ولكل من أعاني على إتمامه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

أما بعد:

فقد خلص هذا البحث إلى النتائج والتوصيات والمقترحات التالية:  
أبرز النتائج:

- ١- تبين أن قصص موسى عليه السلام كثيرة، وكل قصة تختلف عن غيرها.
- ٢- أبرز البحث كبير اهتمام القرآن الكريم بقصص موسى عليه السلام.
- ٣- تجلت في هذا البحث كثير من الدروس الاحتسابية الواردة في قصص موسى عليه السلام التي تناولها البحث.
- ٤- أبرز البحث أن الاحتساب من مهام الرسل -عليهم السلام- ومن أصول الدين وأساسه المتينة التي لا يقوم إلا بها.
- ٥- تبين أن إتلاف موسى عليه السلام للعجل أثمر صلاح حال بني إسرائيل في الدين والدنيا حيث قضاء على الشرك بذلك.
- ٦- بين البحث أن ما وضعه العلماء من شروط للاحتساب وصفات المحتسب وضوابط المنكر قد تجلت في قصص موسى عليه السلام.
- ٧- تبين في البحث أهمية التطبيق العملي والتدريب الميداني في مجال الحسبة، كما فعل الخضر في تعليم موسى -عليهما السلام-.

٨- تجلّى في البحث أن الاحتساب يحقق جميع أنواع الأمن- الفكري والسلوكي والمعيشي والأخلاقي وغيرها..

٩- تجلّى في البحث أن بعض المصالح ظاهرها منكر، فعلى المحتسب أن يتثبت ويتحلّى بصفة الحكمة.

١٠- تبين في البحث ضرورة وجود محتسبين في المجتمع؛ لأن ذلك أمان من الانحراف ومنع لظهور المنكرات.

#### أبرز التوصيات: يوصي الباحث:

- ١- بتناول قصص الأنبياء-عليهم السلام- بالبحث والدراسة في مجال الحسبة.
- ٢- بالتركيز على تعلم أساليب الرسل-عليهم السلام- في مجال الحسبة.
- ٣- بالحرص على استنباط الدروس الاحتسابية من قصص الرسل-عليهم السلام- في القرآن الكريم وإفادة الناس بها؛ ليتوارث الأجيال ثقافة التواصل بالحق.
- ٤- يوصى بضرورة تدريب المحتسب عملياً وملازمته لمتمرس في ميدان الحسبة.

#### أبرز المقترحات:

- ١- يقترح الباحث تناول جميع قصص موسى عليه السلام بالدراسة في جانب الحسبة.
  - ٢- يقترح تخصيص دروس ومحاضرات وندوات ودورات تدريبية تتناول بيان الحسبة في قصص الأنبياء-عليهم السلام- عامة وفي قصص موسى عليه السلام خاصة؛ لأنها ثرية بما يعين على الاحتساب في جميع المواقف ولجميع المسلمين.
  - ٣- يقترح إعداد دراسة علمية في موضوع احتساب الرسل-عليهم السلام-.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

## فهرس المصادر والمراجع

١. أثر الأمر بالمعروف والنهي في حفظ الأمة، لعبد العزيز المسعود، دار الوطن، ط١، ١٤١٣هـ.
٢. الأحكام السلطانية، لعلي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، وسنة الطبع.
٣. إحياء علوم الدين، لمحمد الغزالي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، بدون رقم الطبعة، ١٤١٩هـ.
٤. أساس البلاغة، لمحمود الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤٠٢هـ
٥. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤١٥هـ.
٦. البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيعة، مكتبة الملك فهد، ط١، ١٤١٨هـ.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
٨. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم اليباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ.
١٣. جمهرة اللغة، لمحمد بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧ م.
١٤. الحسبة-تعريفها، ومشروعيتها، ووجوبها-، فضل إلهي، باكستان، نشر إدارة ترجمان الإسلام، ط ٧، ١٤٢٠ هـ.
١٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣ م.
١٦. شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
١٧. شروط المحتسب وآدابه حافظ عابد إلهي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦ هـ.
١٨. صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغاء، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
١٩. القاموس المحيط لمجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٦ هـ.
٢٠. قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
٢١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط ١، ١٤١٠ هـ.



٢٢. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
٢٣. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤١٥ هـ.
٢٤. المرأة المسلمة المعاصرة، لأحمد أبا بطين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤١٢ هـ.
٢٥. معالم القرية في أحكام الحسبة، لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق المطيعي، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٧٦ م.
٢٦. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٢ م.
٢٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٣، بدون ذكر سنة الطبع.
٢٨. نظام الحسبة في الإسلام، لعبد العزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير من المعهد العالي للقضاء، في جامعة الإمام، ١٣٩٣ هـ.



البحث رقم (٦)

## معالجات التطرف في السنة النبوية

د. سعد بن عبيد الرفدي

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية  
بكلية التربية - جامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز.



## الملخص:

التَّطَرُّفُ آفةٌ مستشريةٌ في المجتمعات قديماً وحديثاً؛ لذا كان محل معالجات شريعة الله تعالى التي بَعَثَ بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وخاتمهم محمد ﷺ، وقد حذَّرَ نبينا محمد ﷺ من التَّطَرُّفِ بأقواله وأفعاله - كما سيأتي معنا في هذا البحث إن شاء الله تعالى - ، وأرشد ﷺ إلى الطريق الصَّوَابِ في الأقوال والأعمال حتَّى لا يقع الإنسان في التَّطَرُّفِ والغلوِّ، ويكون ذلك سجيّةً للمجتمعات والأفراد.

وبما أنَّ التَّطَرُّفَ في زماننا المعاصر أضحى أكثر اتساعاً، وأصحابه أكثر جُرْأة - سواء المتشدِّدون أو المتساهلون-؛ لذا تمَّ العمل في هذا البحث على جمع طائفة من النصوص الحديثية الشريفة التي عاجلت التطرف بنوعيه، وحصل التركيز على المعالجات من خلال مطالب أربعة: هي وأد الأفكار غير السليمة، والتنبيهات النبوية على دوافع التطرف والتحذير منها، والتحذير من تقليد الأمم الأخرى في الدِّين والأخلاق، والتوجيهات النبوية الشريفة الآخذة بالتيسير المنضبط.

وقد تمَّت الدراسة على أساس الشرح الموضوعي للأحاديث الشريفة المنتقاة لهذه الموضوعات، مع تحليل مضامينها، وذكر مقاصدها في تشخيص الإشكالية ثم المعالجة قدر الإمكان، ثم ختمت الدراسة بطائفة من النتائج والتوصيات تم تضمينها في الخاتمة.

## المقدمة

ولأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هي الخاتمة، فإن تلك المعالجات - كما هو أيضاً حال الشريعة كلها - صالحة لكل الأوقات والأزمان، ابتداء من وقت البعثة إلى أن يأتي أمر الله، فالله سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ومن خلقه ذلك الإنسان الذي يتجاذبه الخير والشر، والانضباط والتفلسف. ولأن الاستقامة لا تتحقق إلا مع الخيرة والانضباط الشرعي والاستمسك بشريعة الله تعالى، ونبذ الهوى، والتحرز من نزغات الشيطان؛ لذا حفلت النصوص الشرعية بالتوجيهات الكريمة الموجّهة والآمرة والناهية والزاجرة والمرغبة، ليبقى الإنسان المسلم في حالة من التوازن والاعتدال بعون الله تعالى.

والبحث الذي أقصد إلى تحريره يتركز على نوع معين من حالات الإنسان وهو (التطرف) الذي أجد التعريفات تحصره في جانب الغلو والتشدد، مع أن اللغة العربية تعطيه مدلولاً أوسع من ذلك كما سيأتي في التعريف بعد قليل.

كما أن تناول المعاصر للتطرف يتجه في معظمه إلى الغلو والتشدد، وهذا في الواقع أحد الطرفين، أما الطرف الآخر فهو الإفراط والتساهل، وهو تطرف أيضاً، فيتحصل بذلك أن (التطرف) بالمنظور الشمولي له يعني الخروج عن الاستقامة وحد الاعتدال، وأخص الاعتدال الشرعي فيما يخص قضايا الدين ومسائله.

وهذا هو المفهوم الذي سأعتمده في إجراء الدراسة الموضوعية على طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة المعالجة لمظاهر التطرف والانحراف تشدداً أو تساهلاً، بعون الله تعالى.

## الأهمية وأسباب الاختيار:

تكمن الأهمية وأسباب الاختيار في الآتي:

- ١ - المرجعية الشرعية لنصوص السنة المشرفة، وبما أنها مبيّنة للقرآن الكريم وشارحة له، فإن معالجتها صالحة لكل زمان ومكان.

- ٢- شمول المعالجات النبوية للجانبين: الوقائي والعلاجي، والتزامهما يعني السلامة من الإشكالات الحاضرة في عهد النبوة، ومما يأتي بعد ذلك .
- ٣- تناولت المعالجات النبوية إشكالات: عبادية، وسلوكية وفكرية وعلمية، وهذا ملحظ شمولي آخر للمعالجات النبوية، وينبغي الاستفادة منه عند تصدي العلماء والمصلحين لمعالجة الإشكالات المستجدة.
- ٤- الرغبة الذاتية للباحث في إجراء دراسة موضوعية تحليلية للنصوص الحديثية ذات الصلة بمعالجات التطرف.
- ٥- الإسهام بإضافة عمل علمي للمكتبة الإسلامية.

### تساؤلات البحث:

التساؤل الرئيس للبحث هو: كيف كانت المعالجات النبوية للتطرف الفكري؟ ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

- (أ) ما المعالجات النبوية لوأد الأفكار غير السليمة؟
- (ب) ما دوافع التطرف التي نبهت إليها السنة النبوية وحذرت منها؟
- (ت) ما موقف السنة النبوية من تقليد الأمم الأخرى في الدين والأخلاق؟
- (ث) ما التوجيهات النبوية الآخرة بالتيشير المنضبط؟

### الأهداف:

- يمكن تحديد أهداف البحث في الأمور التالية:
١. بيان موقف السنة من الأفكار غير السليمة.
  ٢. كشف دوافع التطرف والتحذير منها وفق التنبيهات النبوية الشريفة.
  ٣. إيضاح موقف السنة المشرفة من تقليد الأمم الأخرى في الدين والأخلاق.

٤. بيان التوجيهات النبوية الآمرة بالتيشير المنضبط.

### حدود البحث:

المعالجة النبوية للتطرف واسعة، وتتطلب كمًّا كبيراً من البحوث؛ لاستيعاب موضوعاتها على نحو مستفيض ومستوعب، ومن طبيعة البحوث المحكّمة ألاّ تحتمل مثل هذه التوسعات، ولذا آثرت تحديد الموضوع في الآتي:

١. انتقاء طائفة من الأحاديث النبوي الشريفة ذات الصلة المباشرة بمعالجات التطرف، وحرصت على ألاّ تنزل درجة الأحاديث عن الحسن، فاذا نزلت بينت ذلك في الحكم على الحديث.

٢. الاقتصار على موضوعات أربعة، وهي: وأد الأفكار غير السليمة، ودوافع التطرف، وتقليد الأمم في الدين والأخلاق، والتيشير المنضبط؛ لشعوري بأنّ هذه من أهم القضايا في المعالجات من جهة، ولأنّ مادتها العلمية تشتمل على تحديد مصادر التعلم الشرعي وكيفيته، وتنطبق للوسطية كذلك.

٣. اعتماد طريقة الشرح الموضوعي للأحاديث المنتقاة في معالجات التطرف قدر الإمكان.

### تعريف التطرف:

(التطرف) وجذره في اللغة يرجع إلى (طرف) يحمل معنى سرعة التحوّل، كحركة جفني العين السريعة، كما يتضمن معنى الانصراف عن الشيء<sup>(١)</sup>، ومن مدلولاته أيضاً المَلْكَ والرغبة في التغيير وعدم الاستمرار على حالة واحدة، يقال للرجل (طُرّف) إذا كان

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي ٧٠/٢٤، ٧٥ مادة (طرف).



لا يثبتُ على صُحبة أحدٍ لِمَلَكه<sup>(١)</sup>، ومن معانيه المهمة أيضاً: الجانبان المتضادان، فالطرفُ جانب الشيء وحده وحرفه<sup>(٢)</sup>.

وعند النظر في التعريف الاصطلاحي فإن معظم من تكلم فيه من المعاصرين يتجه إلى الغلو والتشدد، ومن ذلك قول خالد العك: "فالمتطرف في الدين هو: المتجاوز حدوده، والجائي عن أحكامه وهديه. فكل مغالٍ في دينه متطرفٌ فيه، مجفٍ لوسطيته ويُسرّه"<sup>(٣)</sup>. وهذا في الواقع أحد الطرفين، أما الطرف الآخر فهو الإفراط والتساهل، وهو تطرف أيضاً، لأن المعنى الذي أراه دقيقاً للتطرف هو: مجاوزة حد الاعتدال<sup>(٤)</sup>، وعدم التوسط الذي وسم الله تعالى به هذه الأمة في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الطبري: "وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"<sup>(٥)</sup>. ومما أكد لي شمول مفهوم (التطرف) للتشدد والتساهل كلمة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "التطرف: هو الأخذ

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي ٧٢/٢٤ (طرف).

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٧/٣ مادة (طرف). والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٥١٧.

(٣) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء الكتاب والسنة، للعك خالد عبد الرحمن، ص ١٦-١٥.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار وآخرين ١٣٩٦/٢ (تطرف).

(٥) تفسير الطبري ٦٢٧/٢.

بالرخص التي لا وجه لها ولا دليل عليها"<sup>(١)</sup>، ولاشك أن الأخذ بهذه الرخص إنما هو تطرف نحو التفريط.

### الدراسات السابقة:

مما لا شك فيه أن المعالجات مبثوثة في المصادر الأصيلة لدى شراح الحديث النبوي، وقد تمّ الاعتماد كثيراً على أقوالهم، بالإضافة إلى اجتهادات العلماء في المصادر العقدية القديمة منها والحديثة، وفيما يخص الدراسات المباشرة، فقد وقفت على رسالة علمية هي: "ظاهرة التطرف في المجتمع الباكستاني أسبابها وآثارها وعلاجها في ضوء السنة النبوية"، رسالة دكتوراه أعدها: حافظ نثار رانا<sup>(٢)</sup>، وركز الباحث فيها على مفهوم الغلوّ وحكمه، وتاريخه، ثم تناول مظاهر الغلو في العصر الحديث وفي باكستان على وجه التحديد، ثم تحدّث عن أسباب الغلو في العصر الحديث وآثاره، وبعد ذلك تناول علاج هذه الظاهرة من خلال عناصر ثلاثة: المسؤول عن العلاج، ووسائل العلاج، وواجب المصابين بهذه الظاهرة، والواضح أنّ وجه الرسالة مع أنّها جيدة، إلا أنّها تختلف عن مراد الباحث الذي يريد أن يجعل المعالجات النبويّة هي الأساس في التعامل مع التطرف.

### منهج البحث وإجراءاته:

وفقاً للمادة الأولى للبحث ظهر لي أنّ المنهج الاستقرائي يعين على تتبع المعالجات في الموضوعات الأربعة الآنفه، ولمّ أطرافها، وتوصيفها، ثم الانتقال إلى المنهج التحليلي لبيان مقاصدها، مع الاستعانة بالمنهج الاستدلالي في المواطن التي تستلزم ذلك.

### أبرز الإجراءات في البحث:

(١) دروس الشيخ عبد العزيز بن باز ١٧/١٣ (المكتبة الشاملة).

(٢) منشورة على الرابط: <https://n9.cl/u84qz>.

سلكت في كتابة البحث الإجراءات التالية:

١. عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها؛ بذكر: اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها وفقاً للرسم العثماني.
٢. توثيق الأدلة والتقول من مصادرها الأصلية.
٣. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما؛ اقتصرنا عليهما بذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، وإن كان في غيرهما؛ خرّجته من مظانه من كتب السنة.
٤. الحكم على الأحاديث صحةً وضعفًا، فإن كان أحد الأئمة نصَّ على درجة الحديث اكتفيت بحكمه، وإلاً حكمت على درجته - حسب ما يظهر لي - مستدلاً بأقوال أهل العلم في ذلك.
٥. التعريف بالألفاظ الغريبة التي يرد ذكرها في البحث.
٦. الإشارة إلى فقه الأحاديث، وشرح الحديث شرحاً موضوعياً.

#### خطة البحث:

- أولاً: المقدمة، وتشمل: الأهمية وسبب الاختيار، وتساؤلات البحث، وأهدافه، وحدوده، وتعريف التطرف، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وتقسيمات البحث.
- ثانياً: المطلب الأول: وأد الأفكار غير السليمة .
- ثالثاً: المطلب الثاني: التنبيه النبوي إلى دوافع التطرف والتحذير منها.
- رابعاً: المطلب الثالث: التحذير من تقليد الأمم في الدين والأخلاق.
- خامساً: المطلب الرابع: توجيه الأمة إلى التيسير المنضبط شرعاً.
- خامساً: الخاتمة.

## المطلب الأول

### وأد الأفكار غير السليمة

تقدم أن التطرف فعل فِكر، يتبعه فعل جوارح، وتطبيقات تبدأ صغيرة ثم لا تزال تتعاضد حتى يتسع الخرق على الرّاقع، والإسلام في أول أمره كان بحاجة إلى وجود دعوته أولاً، ثم وجود أتباعه وبقائهم؛ لأنهم العناصر التي ستحمل هذه الشريعة وتبلغها، وأي تصرف غير مدروس ستنتج عنه إشكالات كبيرة.

وهو أمر فطن له النبي ﷺ، فعمل على استبعاد ما يؤدي إليه منذ بدء الدعوة، ولعلّ أول شيء عاجله النبي ﷺ: نزع فكرة الاستعجال من أذهان الصحابة رضي الله عنهم، فهم مؤمنون حقاً، و متمسكون حقاً، لكن يرد على الذهن أن يصل صاحب الحق إلى النتيجة على الفور أو في وقت قريب للغاية، وهذا خلاف السنة الكونية، وبخاصة في مجال الأفكار وإعداد المجتمع المسلم.

وقد طرأت فكرة الاستعجال هذه لنفر من صحابة النبي ﷺ في مكة - وإن لم يصرحوا بها-، قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن

دينه، والله لَيُئَمِّنَنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»<sup>(١)</sup>.

وينبغي أمام هذه الأحاديث الشريفة أن يتأمل فيها المرء ويتدبر، فالدعاء مُخَّ العبادَة، وهو من أشرف الأمور التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه عزَّ وجل، والصَّحابة الكرام في مكة المكرمة كانوا في حالة ضعف، يتسلط عليهم كفارها بالتعذيب والتضييق والمقاطعة وغير ذلك من صنوف المحاربة، ومنهم من استشهد تحت التعذيب أمثال سمية رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>، ولكن الرسول ﷺ لفت أنظارهم إلى الصَّبر والتَّسَلِّي بما كان يحدث للمؤمنين في الأمم قبلهم، ثم بشرهم بانتشار الإسلام، وختم الحديث بجملة «ولكنكم تستعجلون»، وهنا موطن المعالجة التي نحن بصدددها.

فالدعوة تتطلب إعداداً قوياً ومتيناً، مع أخذ كافة أسباب التحرز والبعد عن مواطن الإشكالات قدر الإمكان، وهذا ما يفسر المرحلة السَّريَّة في الدَّعوة التي امتدت ثلاث سنوات<sup>(٣)</sup> على الأشهر، وليس ثَمَّة وسيلة للإعداد المتين كالصَّبر؛ لأنَّ المرحلة التَّالية بعد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٠١/٤) رقم (٣٦١٢).

(٢) سمية أم عمار بن ياسر، عدَّ بها آل بني المغيرة على الإسلام، وهي تأبى غيره حتى قتلوها، وكان رسول الله ﷺ يمرَّ بعمار وأمه وأبيه وهم يعدُّون بالأبطح في رمضان مكة فيقول: «صبرا يا آل ياسر، موعدكم الجنة»، وهي أول شهيدة في الإسلام، وجاءها أبو جهل بجرية في قبلها فقتلها، وماتت قبل الهجرة رضي الله عنها. ينظر: الاستيعاب (١٨٦٤/٤)، والإصابة في معرفة الصحابة (١٩٠/٨).

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٧/١.

الظهور والانتشار تتطلب صبراً لا يقل عن هذا، فهناك كثرة الأعداء، وأعباء نشر الدعوة، وفتن المال وزخرف الدنيا، فلولا الصبر الأول، لما حصل الصبر الثاني.

وفي هذا المشهد لو أنّ المسلمين اعتادوا إن حصل لهم إشكال دعا لهم رسول الله ﷺ، ولم يتعودوا على الصبر وتحمل المشاق، لما أمكنهم تحمل أمانة الرسالة وتبليغها. إذاً فالحكمة من قول النبي ﷺ: «ولكنكم تستعجلون» تشير - والله أعلم - إلى رغبة لدى الصحابة رضي الله عنهم في حصول النصر السريع والتمكين السريع بجهد يسير دون عناء، ولكن الشئ الكونية قائمة على أنّ استعجال النتائج أساس الإشكال، وما جاء عاجلاً فقد سريعاً، والعرب تُكفي العجلة "أم الندامات" (١)، فهي تفقد الإنسان الكثير من ضرورات الإعداد والتهيئة، ومن كان حاله كذلك سهّل عليه التنازل عن مكتسباته عند أول امتحان، وأحوال العرب المرتدين عقب وفاة النبي ﷺ مباشرة خير شاهد.

فالنبي ﷺ لم يترك الدعاء، بل نهى عن الاستعجال في الإجابة، قال الإمام ابن بطّال: "وفيه من الفقه: أنّ النبي ﷺ لم يترك الدعاء في ذلك على أنّ الله أمرهم بالدعاء أمراً عاماً بقوله: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وبقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣] إلا أنه ﷺ علم من الله أنّه قد سبق من قدره وعلمه أنّه يجرى عليهم ما جرى من البلوى والحن؛ ليؤجروا عليها على ما جرت عادته في سائر أتباع الأنبياء من الصبر على الشدة في ذات الله، ثم يعقبهم بالنصر، والتأييد، والظفر، وجزيل الأجر، وأمّا غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلة تنزل بهم؛ لأنهم لا يعلمون الغيب فيها، والدعاء من أفضل العبادة" (٢).

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (٢٣/٥).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢٩٧/٨).

وقال الإمام العيني: "هذا لا يدل على أنه دعا لهم بل هذا يدل على أنهم لا يستعجلون في إجابة الدعاء في الدنيا، على أن الظاهر منه ترك الاستعجال في هذا الوقت ولو كان يجاب لهم فيما بعد" (١).

وفيه أيضاً: علامة من علامات النبوة، لأنه ﷺ أخبرهم بما سيكون في المستقبل، قال الإمام ابن بطال: "وفيه: علامات النبوة، وذلك خروج ما قال ﷺ من تمام الدين، وانتشار الأمر، وإنجاز الله ما وعد نبيه ﷺ من ذلك" (٢).

وهذه الفكرة - أعني فكرة استعجال النتائج - نوع من البعد عن الاعتدال، فهي مخالفة لمنهج النبوة، ومخالفة للسنة الكونية، وهي ارتباط الأسباب بالمسببات في هذه الدنيا، فكان من تربية النبي ﷺ لصحابته رضي الله عنهم ولأمتهم أيضاً: عدم استعجال النتائج، والعمل وفق نظام الأسباب والمسببات، مع الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه، والثبات على القيم والمبادئ.

ولعل قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] يتضمن نوعاً من هذا التوجيه، فمن دلالاته: "أن لكل خبير أخبر الله تعالى به من وعد أو وعيد مستقراً في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره في الدنيا وفي الآخرة" (٣)، فلا مكان لاستعجال الأمر أو استبطائه، فكل وعدٍ آتٍ في أوانه.

ويدخل في هذا الباب قضية الاستعجال في القرارات دون دراستها، وهو أمر رفضه النبي ﷺ يوم العقبة، جاء في الخبر: أن العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ﷺ قال: "يا

(١) عمدة القاري (١٠٠/٢٤).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢٩٧/١).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١٢٩/٢).

رسول الله، والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ غداً على أهل منى بأسيا، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

واقترح الصحابي الجليل العباس بن عبادة رضي الله عنه واضح الاستعجال فيه، وربما كان دافعه ما ورد في القصة من نداء الشيطان (أَزْبُ الْعَقَبَةِ)<sup>(٢)</sup> ينذر قريشاً بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ اجتمع مع هؤلاء النَّفَرِ عَلَى حَرْبِهِمْ، ولأنَّه اقترح في غير محله، بل هو خطر للغاية، لذلك لم يقبل به النَّبِيُّ ﷺ، وعالجه بطريقتين: الأولى: أَنَّهُ نَبَّهَهُمْ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِتِمَانِ بِالتَّوْجِيهَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْبَالِغَةِ الْخَطُورَةِ وَتَرْكِهَا لِمَرْجِعَيْهَا، فقال ﷺ: «إِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ». والثانية: تقديم الحل المنطقي السريع، وهو «ارجعوا إلى رحالكم»، وفي هذا جانب تعليمي سأعرِّج عليه في مطلبٍ قادم بإذن الله تعالى.

(١) القصة رواها: ابن سعد في طبقاته (١/١٩٠) ولفظه: "فانفضوا إلى رحالكم"، وإسنادها ضعيف جداً، فيه الواقدي، قال الحافظ في التقریب (ص ٤٩٨): "متروك مع سعة علمه". وأخرجها الطبري في تاريخه (٢/٣٦٤) بإسنادين أحدهما ضعيف والآخر حسن، واللفظ له. وأخرجها الإمام أحمد في المسند (٨٩/٢٥) رقم (١٥٧٩٨)، وابن جِبَّان كما في الإحسان (٤٧١/١٥) رقم (٧٠١١)، والطبراني في الكبير (٤٦/١٩) رقم (٩١) كلهم من طريق محمد ابن إسحاق، قال: حدثني معبد بن كعب بن مالك، عن أخيه عبد الله، عن أبيه وغيره بمعناها. هذا الإسناد حسن، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٤٥): "رواه أحمد، والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع".

(٢) أَرْزُبُ الْعَقَبَةِ: هذا اسم شيطان وهو الحَيَّةُ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٤٣).



ولا يفوتني التنبيه إلى أنَّ استعجال أغلب الرُّماة رضي الله عنهم للغنيمة وعدم الالتزام بالأمر النبوي يوم أحد<sup>(١)</sup> نتج عنه انقلاب الحال من نصرٍ ظاهر، إلى خسارةٍ وجراح، ويلحظ هنا أنَّ ظرف المسلمين يوم أحد كان أفضل حالاً من ظرفهم يوم العقبة الثانية، فعلى سبيل الافتراض؛ لو أنَّ أولئك النَّفر سلَّوا سيوفهم وقاتلوا أهل مِئى لما بقي منهم أحد، ولفقد رسول الله ﷺ، وفقدت الدعوة أيضاً.

**خلاصة الأمر:** أنَّ استعجال النَّائج قبل تحصيل الأسباب والعدَّة الكافية خروج عن حدِّ الاعتدال، وكذلك اتخاذ القرارات المتعجَّلة دون تفكير عميق ودراسة جيدة أيضاً خروج عن حدِّ الاعتدال، ولو أنَّ الإنسان انتهج هذه الطريقة لأدَّى به ذلك إلى التطرف حتماً، إمَّا التساهل أو التشدد، وهذا ما يدفني للقول: إنَّ المعالجة النَّبوية لهذين الأمرين على هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٤/٦٥) رقم (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "جعل النبي ﷺ على الرَّجالة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا نحطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهموهم»، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهنَّ وأسوقهنَّ، رافعات ثيابهنَّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟! قالوا: والله لنأتينَّ النَّاس فلنصيبنَّ من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين". وينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن جِبَّان (١/٢٢١).

النحو الذي ورد في الحديث والخبر نبهت الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى التزام الاعتدال، وهو ما التزموه وساروا عليه فيما بعد<sup>(١)</sup>.

ولما انتقل رسول الله ﷺ والمهاجرون إلى المدينة المنورة، وأصبح لهم داراً مع الأنصار، وأمنوا بعد خوف، وصار أمر العبادة موضع تنافس بين المسلمين، وهنا بدت إشكالية أخرى خارجة عن حدِّ الاعتدال، ويبدو أنّها تكررت في أكثر من شخص وأكثر من حادثة ووصلت إلى حدِّ التطبيق، أذكر رواياتهما أولاً، ثم أعرج على المعالجة:

**الحديث الأول:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيّ

ﷺ، يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَفألُوها<sup>(٢)</sup>، فقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أمّا والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لَكِيّ أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مِنِّي»<sup>(٣)</sup>.

(١) فائدة: جاء في تفسير حقائق الروح والريحان للهرري (٣١/١٦): "قيل: العجلة من الشيطان، إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، وإطعام الضيف إذا نزل، وتعجيل التوبة إذا أذنب".

(٢) تَفألُوها: أي استَفألُوها، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْقِلَّةِ. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٠٤/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧) رقم (٥٠٦٣)

واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد

مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (١٠٢٠/٢) رقم (١٤٠١).

**الحديث الثاني:** عن مجاهد بن جبر قال: "دخلت أنا ويحيى بن جعدة على رجل من الأنصار من أصحاب الرسول ﷺ، قال: ذكروا عند رسول الله ﷺ مولاً لبني عبد المطلب، فقال: إنها تقوم الليل وتصوم النهار، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لكني أنا أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، فمن اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني، إن لكل عمل شرة»<sup>(١)</sup> ثم فتره<sup>(٢)</sup>، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضلَّ، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى»<sup>(٣)</sup>.

(١) الشَّرة: النشاط والرغبة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٥٨/٢).

(٢) الفتره: أي وهناً وضعفاً. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (٨/٣٣٣٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٥٧/٣٨) رقم (٢٣٤٧٤) واللفظ له، عن يحيى بن سعيد عن جرير عن منصور عن مجاهد به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٩٣): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

وجاء اللفظ المرفوع من الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، فأخرجه الإمام أحمد (١١/٥٤٧) رقم (٦٩٥٨)، والحاثر ابن أبي أسامة في مسنده (١/٣٤٢) رقم (٢٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧) رقم (٥١)، والبخاري في مسنده (٦/٣٣٧) رقم (٢٣٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/٢٦٦) رقم (١٢٣٦)، وابن جبان في صحيحه (١/١٨٧) رقم (١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي (٤/٢٤٣) رقم (٢٤٥٣)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/٤٣٤) رقم (٦٥٥٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/٢٦٩) رقم (١٢٤٢)، وابن جبان في صحيحه (٢/٦٢) رقم (٣٤٩)، وتمام في فوائده (٢/٢٩) رقم (١٠٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي عقب الحديث: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/٣٤٧) رقم (٧٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٣١٨) رقم (١٠٧٧٦) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

**الحديث الثالث:** عن عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رضي الله عنه قال: "رَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قَرِيْشٍ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيَّ جَعَلَتْ لَا أَنْحَاشَ لَهَا<sup>(١)</sup>، مِمَّا بِي مِنْ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى كَتِّبِهِ<sup>(٢)</sup> حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ وَجَدْتَ بَعْلَكَ؟ قَالَتْ: خَيْرَ الرِّجَالِ أَوْ كَخَيْرِ الْبَعُولَةِ، مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَفْتَشْ لَنَا كِنْفًا<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَعَدَمَنِي<sup>(٤)</sup> وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قَرِيْشٍ ذَاتِ حَسَبٍ، فَعَضَلْتَهَا<sup>(٥)</sup> وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَانِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ

وأخرجه أيضاً في الكبير (٢٨٤/٢) رقم (٢١٨٦) ومن طريقه أبو نُعَيْمٍ في معرفة الصحابة (٦١٨/٢) رقم (١٦٧٤) من حديث جعدة بن هُبَيْرَةَ رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني أيضاً في الكبير (٢٢٢/٨) رقم (٧٨٨٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. فالحديث صحيح، صححه الترمذي والهيتمي كما سبق.

(١) لا أنحاش لها: أي لا أكثرث بأمرها. الدلائل في غريب الحديث (١١٠٨/٣).

(٢) الكتِّبَةُ: امرأة الابن وامرأة الأخ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٦/٤).

(٣) الكنف: هو الوعاء، ومعناه: أنه لم يدخل يده معها، كما يدخل الرجل يده مع زوجته في دواخل أمرها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٤/٤).

(٤) العدم: أي الأخذ باللسان، وأصل العدم: العضُّ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٠/٣).

(٥) العضل: المنع، أراد أنك لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم، ولم تتركها تتصرف في نفسها، فكأنك قد منعتها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥٤/٣).

فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار؟» قلت: نعم، قال: «وتقوم الليل؟» قلت: نعم، قال: «لكي أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمَسُّ النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.  
**الحديث الرابع:** عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "دخلت امرأة عثمان بن مظعون، -واسمها خولة بنت حكيم- على عائشة وهي بدَّةُ الهيئة<sup>(٢)</sup>، فسألته عائشة: ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم اللَّيْل، ويصوم النهار، فدخل النَّبِيُّ ﷺ، فذكرت عائشة ذلك له، فلقي النَّبِيُّ ﷺ عثمان بن مظعون، فقال: «يا عثمان، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ<sup>(٣)</sup> لم تكتب علينا، أمَّا لك في أسوة حسنة؟! فوالله إني لأخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨/١١) رقم (٦٤٧٧) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (١٩٦/٦) رقم (٥٠٥٢) من طريق المغيرة بن مقسم الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) بدَّةُ الهيئة: أي هيئة سيئة رديئة، رثَّة اللبسة. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١١٠/١)، ولسان العرب (٤٧٧/٣).

(٣) الرَّهْبَانِيَّة: هي من رهبنة النصارى. وأصلها من الرهبة: الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعتمد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨٠/٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٠/٧) رقم (١٢٥٩١)، ومن طريقه أحمد في المسند (٧٠/٤٣) رقم (٢٥٨٩٣)، وابن حبان في الصحيح (١٨٥/١) رقم (٩) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٣٨/٩) رقم (٨٣١٩) عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها به. وهذا الإسناد صحيح، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٧/٤): "إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين".

**الحديث الخامس:** عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: "أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي

الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبَدِّلَةً<sup>(١)</sup>، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلَمَّا كان اللَّيْل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نَمِّ، فنَامَ، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمِّ، فلَمَّا كان من آخر اللَّيْل، قال سلمان: قم الآن، فصلياً، فقال له سلمان: إِنَّ لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعطِ كلَّ ذي حقِّ حَقَّهُ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»<sup>(٢)</sup>.

وبتحليل هذه الأحاديث الشريفة نجد أمامنا طائفة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم نظرت إلى الجانب العبادي بنوع من المبالغة. وقد أشارت الأحاديث السابقة إلى عدم الغلو في العبادة، والاعتصام فيها، وأن ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم هو التوسط في الأمور كلها، ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لكل شيءٍ شِرَّة» معناه: إِنَّ لكلِّ شيءٍ من الأعمال الظاهرة والأخلاق الباطنة طرفين: إفراطاً وتفريطاً، فالحمود القصد بينهما<sup>(٣)</sup>.

(١) مُتَبَدِّلَةً: التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١١١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (٣٨/٣)، رقم (١٩٦٨).

(٣) شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن الطيبي (١١ / ٣٣٧٤).

كما أوضحت الأحاديث بجلاء أنه ليس المراد ترك الأفضل والأكمل في العبادة، بل المقصود الاعتدال، حتى لا يُؤدِّي التشدد والتعمق إلى ترك الأفضل، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن المنير أنه قال: "ليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنَّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة" (١).

ويتجلى المنهج النبوي الشريف في قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ومؤداه الاعتدال والتوسط، فلا إفراط ولا تفريط، قال الإمام النووي: "وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة؛ بل هو عامٌّ في جميع أعمال البر" (٢).

والذي تدل عليه النصوص الآتية هو أنَّ المعالجة النبوية حصلت لهم سواء لأولئك نفر الثلاثة الذين يُشعَّر الحديث أنَّهم همُّوا بالتشديد على أنفسهم ولم يفعلوا؛ لأنَّ الخبر وصل إلى النبي ﷺ في الوقت ذاته، أو للذين شدَّدوا على أنفسهم بالفعل، ومنهم: عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو الدرداء رضي الله عنهم، فكانت المعالجة النبوية وفق الآتي:

- المبادرة إلى وأد الفكرة كما هو ظاهر في حديث نفر الثلاثة، وكان ذلك على نحو مباشر للنفر الثلاثة، كما سبق في الأحاديث السابقة.

(١) فتح الباري لابن حجر (٩٤/١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧١-٧٠/٦).

- المسارعة إلى منع استمرارية الخطأ، فالنبي ﷺ بادر إلى مخاطبة النَّفَر الذين شرعوا في تطبيق فكرهم المتشددة، ذات الصبغة الرهبانية، ولم يقبل استمرارها مطلقاً، بل حذّر من مغبة المداومة عليها، فنَبّه إلى أنّ من كُتِبَ عليهم الرهبانية لم يستطيعوا القيام بها، وكذلك غيرهم سيقعون في الإشكالية نفسها، ثم إنّ الخروج عن جادة الاستقامة سيوصل قطعاً إلى التطرف تشدداً أو تساهلاً، وكِلا الأمرين ذميم.
- تقديم القدوة من نفسه ﷺ، سواء بذكر أعماله ﷺ الدالة على الوسطية وعدم التشدد والمغالاة، أو بالتصريح بذكر القدوة كما في حديث عثمان بن مظعون رضي الله عنه.
- لفت أنظار الصحابة رضي الله عنهم إلى ضرورة التعلم ومعرفة الحكم الشرعي في مثل هذه الأمور الدينية، فهذه الأمور لا تقبل الرأي المجرد، بل لا بد فيها من المستند الشرعي، وإلا خرجت إلى حدّ الغلو والتشدد، ومن مظاهرها الرهبانية التي صرح النبي ﷺ برفضها كما في حديث عثمان بن مظعون، وفي عموم قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] توجيه كريم للصحابة وللأمة من بعدهم على ضرورة الرجوع إلى أهل العلم قبل الشروع في مثل هذه الأعمال التي لا مساغ فيها للرأي المجرد.
- تأكيد النبي ﷺ على وسطية الإسلام، وبَدَا ذلك في إخباره عن نفسه: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وكذلك في تصديقه لسلمان الفارسي رضي الله عنه الذي قال: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ".



• توجيه النبي ﷺ هؤلاء الصحابة الكرام والأمة من بعدهم إلى ضبط نوازع النفس، وحملها على الحق، مع التحذير البين جداً من مجاراتها، وذلك جلياً في قوله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ثُمَّ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ بَدْعَةٍ فَقَدْ ضَلَّ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ سُنَّةٍ فَقَدْ اهْتَدَىٰ».

• تعليم النبي ﷺ أمته أَنَّ الإنسان في الدين بين أمرين لا ثالث لهما: إمَّا السنة والاهتداء، أو البدعة والضلالة، ونحن نجد مصداق ذلك في حال المسلمين، فالخوارج مالوا إلى البدعة فضلوا<sup>(١)</sup>، والمعتزلة أيضاً ابتدعوا في العقيدة فضلوا<sup>(٢)</sup>، والرافضة أكثروا من الابتداع حتى خرج كثير منهم عن دين الله تعالى أو صاروا قاب قوسين أو أدنى منه<sup>(٣)</sup>، وهكذا الأمر دواليك مع عامة الفرق القديمة والحديثة التي خرجت عن السنة إلى البدعة.

هذا ما يتعلق بالمعالجة، ولكن بشأن تحليل التوجه المتشدد لدى هؤلاء الصحابة الكرام يمكن أن يقال:

• إِنَّ النفر الثلاثة لم يَتَنَبَّهوا إلى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ في كلِّ أحواله الدينية مشرِّعٌ، ومن ثم فالنظر إلى عبادته على نحوٍ منفرد، وإلى خصوصية النبي ﷺ في أَنَّ الله غفر له ما

(١) ينظر: الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، للصلاحي، ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: كتاب (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار) للعمري، نشر مؤسسة أضواء السلف بالرياض.

(٣) ينظر: السنة للخلال ٤٩٣/٣ ونقل في هذا الموضوع تكفير الإمام أحمد لشاتم أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهما. ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٤/٢٨، ٥٠٠.

تقدّم من ذنبه وما تأخر بمعزل عن حالة التشريع؛ نظرة غير سليمة، وهي منشأ الإشكال.

● حينما يخطو الإنسان الخطوة الأولى نحو التشدد فإنّه لن يتوقف عندها، بل سينطلق منها إلى الثانية، وهي إشكالية كذلك، وهذا ما صرّح به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: «رَدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على عثمان بن مظعون التَّبَتُّلَ<sup>(١)</sup>، ولو أذن له لاختصينا»<sup>(٢)</sup>. ولا يخفى أنّ الاختصاص محرّم في الإسلام، ولكن ربما لم يكن هذا الحكم معلوماً في ذلك الوقت، إلّا أنّ الذي يهمننا هو أنّه خطر على الأذهان في وقت مبكر، وهي خطوة أشد من سابقتها.

ولا يخفى أنّ التربية النبوية الشريفة، مع الاستعداد التام لدى الصحابة للانقياد والاتباع، وأدّت تلك الأفكار والتصرفات في مهدها، واختفت فكرتها طوال وقت النبوة من مجتمع الصحابة، ولكنّها ظهرت في آخر عهد النبوة لدى شخص أسلم ولم يكن له حظ من التربية النبوية، هذا الشخص ظهر عليه التعالم، حتى إنّّه تناول على مقام النبوة، جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من اليمن بِذُهَيْبَةٍ<sup>(٣)</sup> فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ<sup>(٤)</sup>، لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل،

(١) التَّبَتُّلُ: الانقطاع عن النساء وترك النكاح. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٩٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء (٤/٧) رقم (٥٠٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (٢/١٠٢٠) رقم (١٤٠٢).

(٣) ذُهَيْبَةٌ: هي تصغير ذهب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٧٣).

(٤) أديم مقروظ: أي مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤٣).

فقال رجل من أصحابه: كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَيْرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً»، قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنِينَ، مَشْرَفُ الْوَجْهَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجِبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ، أَوْلَسْتَ أَحَقُّ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ»، قَالَ: ثُمَّ وَلى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يَصْلِي»، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَمُرْ أَنْ أَنْثَبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشَقَّ بِطُونَهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفِّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ<sup>(١)</sup> هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا<sup>(٢)</sup>، لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ»، وَأَظْنُهُ قَالَ: «لَنْ أَدْرِكْتَهُمْ لِأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث بيان جواز قتال الخوارج؛ لأهمِّ غَلَاوًا وَتَشَدُّدًا، وَهَذَا الْغَلُوُّ وَالتَّشَدُّدُ يُؤَدِّي إِلَى مَفَاسِدَ كَبِيرَةٍ، مِثْلَ شَقِّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَطَّالٍ: " قَالَ الْمَهْلَبُ وَغَيْرُهُ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْخَوَارِجَ إِذَا خَرَجُوا عَلَى الْإِمَامِ الْعَدْلِ وَشَقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَنَصَبُوا رَايَةَ الْخِلَافِ؛ أَنَّ قِتَالَهُمْ وَاجِبٌ، وَأَنَّ دِمَائَهُمْ هَدْرٌ، وَأَنَّهُ لَا يَتَّبَعُ مِنْهُمْ وَلَا يَجْهَزُ عَلَى جَرِيحِهِمْ. قَالَ مَالِكٌ: إِنْ خِيفَ مِنْهُمْ عَوْدَةُ أَجْهَزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ وَأَتَبَعَ مَدْبَرَهُمْ، وَإِنَّمَا يَقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِ خُرُوجِهِمْ عَلَى الْجَمَاعَةِ"<sup>(٤)</sup>. وَالْخَوَارِجُ إِنَّمَا

(١) ضِئْضِئٌ: أَي أَسْلِبُهُ وَنَسْلُهُ وَعَقْبُهُ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٦٩/٣).

(٢) رَطْبًا: أَي لِينًا لَا شِدَّةَ فِي صَوْتِ قَارِئِهِ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٢٣٢/٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ (١٣٧/٤) رَقْمُ (٣٣٤٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ،

وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (٧٤١/٢) رَقْمُ (١٠٦٤).

(٤) شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ لِابْنِ بَطَّالٍ (٥٨٤/٨).

صاروا إلى ما صاروا إليه بالغلوّ في فهمهم لنصوص الكتاب والسنة، فجاءت المعالجة النبويّة بقتالهم وكفّ شرّهم حتى لا يؤدي هذا الغلو إلى مفاسد أكبر.

ولعلّ سؤالاً يرد هنا: لماذا لم يستوقفه النبيّ ﷺ ويحاوره كما هو شأنه في كثير من المواضيع، فعملّ الإجابة عنه - والله أعلم - وفق الآتي:

- استغلّ هذا الرجل المقولة التي أعقبت تقسيم الدّهية، فأفصح عما في صدره بعد سماعه لبيان النبيّ ﷺ، فدلّ ذلك على أنّه مُتَعَنِّتٌ ومتعالم، وليس مستعداً للتراجع عن رأيه.

- النقاش مع هذا الرجل ربما كان سيتفرع عنه حوارات أخرى لا تحمد عقباها، ولذا - والله أعلم - أغلظ له النبيّ ﷺ الجواب، وقطع مادة الكلام في هذا الأمر.

- يدلّ الحديث على أنّ الرّجل أراد فقط أن يسجل موقفاً ويظهر أفضليته على الآخرين بهذه المقولة، ولم يتأثر برّد النبيّ ﷺ بل سارع بالمغادرة في مظهر يشعر بسوء أدبه مع النبيّ ﷺ، أي: أنّه أساء قولاً وفعلاً، وهذا ما دفع خالد بن الوليد ﷺ للاستئذان في قتله، والله أعلم.

- يظهر من الحديث تعليم النبيّ ﷺ لأمته ألا يهدروا الوقت مع هذه الفئة من النّاس، إذ لا نتيجة ترجى منهم، بل وجهه ﷺ إلى الحسم الشديد إن هم أظهروا الخروج وشق عصا الطاعة، وعدم الرّأفة بهم.

وقد دلت الأحداث التي وقعت أيام علي بن أبي طالب ﷺ وبعد ذلك أنّهم عامل هدم وافتراق للأمة، وأشعلوا فتناً عظيمة، تضمنتها كتب التاريخ، وما تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في وقتنا الحاضر إلا امتداد للفكر الخارجي، على زيادة سوء فيه.

ولكن تجدر الملاحظة أنّ هذه الدعوات الخارجية تجمع أصحاب الفكر مع المخدوعين، وقد دلت محاوره عبدالله بن عباس ﷺ لأهل حروراء على أنّ أصحاب الفكر

لا يتراجعون، بينما المخدوعون تراجعوا وقبلوا الحق<sup>(١)</sup>، ولا شك عندي أنّ النبي ﷺ تعامل مع صاحب الفكر بهذه الطريقة، ولو كان مخدوعاً أو متأثراً ظاهرياً بفكرة لكان الأمر مختلفاً والله أعلم، فمثل هذا النوع يرجى صلاحه.

---

(١) قصة محاورة ابن عباس رضي الله عنه للحرورية أخرجها الإمام أحمد (٢٤/٥) رقم (٢٨١١) مختصرة، والسائي في الكبرى (٤٨٠/٧) رقم (٨٥٢٢)، والطبراني في الكبير (٢٥٧/١٠) رقم (١٠٥٩٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤١/٦): "رواه الطبراني، وأحمد ببعضه، ورجاهما رجال الصحيح". وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣/٣).

## المطلب الثاني

### التنبية النبويُّ إلى دوافع التَّطَرُّفِ والتحذير منها

تضمَّن المطلب الأول إشارات إلى بعض دوافع التطرف وهي التَّعالم وحب الظهور، وهي مستنبطة من دلالات الأحاديث الشريفة، ولكن بين أيدينا أحاديث شريفة تُنصُّ صراحة على بعض تلك الدوافع، وأذكر منها على سبيل المثال أربعة أحاديث:

**الحديث الأول:** حديث أبي جحيفة عبدة السوائي رضي الله عنه قال: "لغط قومٌ قرب النَّبيِّ ﷺ، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله، لو بعثت إلى هؤلاء بعض من ينهاهم عن هذا، فقال: «لو بعثت إليهم فنهيتهم أن لا يأتوا الحجون لأناه بعضهم وإن لم يكن له به حاجة»<sup>(١)</sup>.

والمأمل في هذا الحديث يلحظ أمرين يسيبان التطرف عند الإنسان:

**الأول:** التحوار الذي لا يوصل إلى نتيجة، فكلمة (لغط) تدل في أصلها على الكلام غير المفهوم<sup>(٢)</sup>، والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ طبيعة الكلام الدائر والذي سمَّاه أبو جحيفة "لغطاً" لم يكن ذا وجهة محددة، وإنما هو مرادةً وتجاذب غير مفيد ولا مفهوم ولا بيّن، وهذا حاصل عند العديد من المتناقشين، يتراذون الكلام دون فائدة تُذكر.

**الثاني:** نزوع النفس إلى المخالفة وطلب الممنوع، ويظهر -والله أعلم- أنَّ النَّبيَّ ﷺ أراد أن يُنبِّه الأمة إلى أمرٍ من يكثر النقاش بلا هدف، وليس لديه غاية مقصودة لها منفعة

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٥٧/١) رقم (٦٩)، والطبراني في الكبير (٨٦/١٨) رقم (١٥٩)، والخطابي في العزلة (ص٥٨)، وأبو نُعيم في الحلية (٣٤٧/٤) واللفظ له، كلهم من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة. في إسناده الأعمش وقد عدته، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/١): "رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح".

(٢) انظر: لسان العرب ٣٩١/٧ مادة (لغط).

شرعية، ثم يتطبع بهذا الخلق، وهو خُلُقٌ يُؤدِّي لا محالة إلى سلوك السبل البعيدة عن الجادة والاستقامة.

وإن كان الصحابة يستدركون على أنفسهم ويبادرون بالرجوع والتخلي عمّا لا يرضاه الرسول ﷺ؛ فإنَّ النَّاسَ من بعدهم ليسوا كذلك، بل إنَّ واقع الحال اليوم يؤكد أن هذين الأمرين: الثرثرة غير المفيدة ولغير ما غاية، والنزوع إلى المخالفة؛ سببان رئيسان للانحراف الفكري، ومن ثمَّ التطرف غلواً أو تفريطاً.

**الحديث الثاني:** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "لا تَعَلَّمُوا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك، فالنار النار" (١).

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١٧٠/١) رقم (٢٥٤)، وابن جِبَّان كما في الإحسان (٢٧٩/١) رقم (٧٧) من طريق يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير عن جابر به. قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص ٧٢): "أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد صحيح". وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٧/١): "هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم".

وجاء الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، فأخرجه الدارمي (٣٧٤/١) رقم (٣٧٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه الترمذي (٣٩٢/٤) رقم (٢٦٥٤) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (١٧٠/١) رقم (٢٥٣) بنحوه.

وأخرجه أيضاً (١٧٤/١) رقم (٢٥٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه أيضاً (١٧٥/١) رقم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه البزار في مسنده (٤٨٧/١٣) رقم (٧٢٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه.

وفي الحديث تحذير شديد من العمل لغير الله تعالى، وهو سلوك غير سبيل المؤمنين، فالرياء محبط للعمل، ويستحق تاركه العذاب؛ لأنه صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فاستحقّ بذلك النار، وقد جاء الكتاب والسنة بالتحذير من ذلك والتشديد فيه<sup>(١)</sup>.

والممارسة تعني المجادلة والمحااجة على سبيل التشكيك، لا على سبيل طلب الحق<sup>(٢)</sup>، فكأن هذا الرجل حينما يماري السفهاء يقول لهم: "أنا عالم، وأنتم لستم بعالمين، وأنا خير منكم"<sup>(٣)</sup>.

لفظة (يُباهي) جاء بدلها في لفظ آخر للحديث: (يجاري) وبين اللفظين معنى مشترك وهو المفاخرة والمغالبة والمراءاة<sup>(٤)</sup>.

والمراد بـ «يصرف وجوه الناس إليه»: جعل العلم وسيلة لتحصيل المال والجاه، وفيه معنى حب الرئاسة والتعاضم على الناس وبخاصة العوام أو المرئيين<sup>(٥)</sup>. وهذه المعاني تنطوي على جملة دلالات كلها من جنس التطرف:

= وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وأسانيدنا كلها لا تخلو من كلام، لكن بكثره طرقها يقوي بعضها بعضاً.

(١) ينظر: شرح حديث «ما ذئبان جائعان»، وجامع العلوم والحكم كلاهما للحافظ ابن رجب - رحمه الله - فقد توسّع في ذكر الأدلة وأقوال السلف في ذلك.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٦٨١/٢).

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٣٢١/١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٦٤/١)، وتاج العروس للزبيدي (٢٤٠/٣٧-٢٤١) مادة (بهو).

(٥) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٣٢١/١).



فالمرء المقصود في هذا الحديث معصية لا ريب، ف (الأنا) البغيضة -وهي فاشية عند كثير من الناس اليوم- ظاهرة فيها: أنا أعلم، أنا أفضل، أنا خير، كل هذه المعاني تُنطِقُ بها حالٌ الذي يماري السفهاء الذين ليس لديهم علم<sup>(١)</sup>، وهو تصرف لا تقبله الشريعة مطلقاً، فالعلم لا يبرر تفضيل النفس على الآخرين، بل يعلم التواضع ولين الجانب والإحسان في التعليم، ورسولنا ﷺ خير قدوة.

وتعود (الأنا) البغيضة للظهور مرة أخرى عند (التباهي) بالعلم، وهنا ثلاثة أخلاق رديئة: الكبر، والفخر، والرياء، وكلها تُنمُّ عن إشكالية فكرية شديدة لدى طالب العلم هذا، فهو لا يريد بعلمه وجه الله تعالى، وإنما يتعلم لحظ نفسه، ولتحصيل مكانة اجتماعية في الدنيا وسمعة بين الناس، وهذا نوع من المعاصي الذي يستحق فاعلها العقوبة إن لم يتب منها.

وتظهر الإشكالية الفكرية أيضاً في مقصد هذا الإنسان من طلب العلم: «يصرف وجهه الناس إليه»، فما تَعَلَّمَ إلا لغايات دنيوية: المال والرياسة وخدمة الأتباع وغير ذلك. والذي يبدو من هذا الحديث الشريف أن النبي ﷺ صَوَّرَ حالة فكرية لدى أشخاص من أمتهم يطلبون العلم الشرعي على هذا النحو، الذي هو تطرف فكري باعتباره خروجاً عن حد الاستقامة، ابتداءً بفساد نية هؤلاء الأشخاص، وترتب عليه انحرافات أخرى عديدة، مثل: الرِّياء، والكِبَر، والتَّفاخر، والتَّعالم، والتَّعاضم، وتحقير العوام، وتصيد أموال الناس بغير حق.

وجاءت صورة المعالجة النبوية الشريفة من جهتين -والله أعلم-:

(١) انظر: المصدر السابق (١/٣٢١).

**الأولى:** تصوير الحالة الرديئة لهذه الفئة من الناس، وهي حالة قديمة متجددة، بل كثيرة في واقعنا المعاصر، فهم متطرفون منحرفون سيئوا الأخلاق، تقبيحاً لهذه الحال، وتغييراً منها، لعلمهم يرجعون عنها، وليلفظهم المجتمع المسلم ولا يقيم لهم وزناً إن هم بقوا على تلك الحال.

**الثانية:** توعدهم بالنار، قال الإمام الطبري: "هذه وجوه ليس في شيء منها له رضى -يعني الله تعالى-، ولا هو مما أقرَّ به ولا ندب إليه، بل زجر عنه ونهى، فحظ طالبه منه التقدم على معصية الله، والمتقدم على معصية الله النار أولى به، إن لم يعف الله جل ثناؤه عنه بفضل" (١).

وقال الإمام الفيومي: "فمن يطلب بالعلم الرِّياسة على الخلق، والتعاضم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعوا له ويصرفوا إليه وجوههم، وأن يُظهر للناس زيادة علمه على العلماء أو ليعلوا به عليهم ونحو ذلك، فهذا وعيده النَّار؛ لأنَّ قَصْدَ التكبر على الخلق في نفسه محرم، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان" (٢).

وربما يقال: لماذا كانت المعالجة بهذه الشدة: التصوير الذي يكشف رداءة حال هؤلاء، والوعيد بالنار؟

فالجواب -والله أعلم-: أن هذه الفئة عرفت مما تعلمته أن الإخلاص شرطُ عمل كل مسلم، وأنَّ خُلُقَ العلماء التواضع ولين الجانب، وأنَّ هذه الأخلاق التي وقعوا فيها واستمرؤوها محرّمة، ومع ذلك لم يعملوا بما علموا، بل اتَّبَعُوا أهواءهم، وفضَّلُوا الدنيا على الآخرة، فكان التشديد بحقهم أليق، لعله يكون لهم رادعاً وصارفاً عما هم فيه.

(١) تهذيب الآثار للطبري (٢/٨٠٣).

(٢) فتح القريب المحيب للفيومي (٢/٣٧).

وأيضاً يقال هنا: هذا النوع من المخالفات والانحرافات تتشربها النفوس حتى تراها حسنة، فلا يرجع صاحبها عنها إلا من تداركته رحمة الله، وإذا نظرنا إلى مجريات تاريخ المجتمعات الإسلامية وما ظهر فيها من اتجاهات وفرق منحرفة لوجدنا حظ منظرها وعرايبها من هذا الحديث كبير والعياذ بالله.

**الحديث الثالث:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث ما يدل على كراهة المسائل وذمها، ولكن بعض الناس يزعم أن ذلك كان مختصاً بزمن النبي صلى الله عليه وسلم لما يخشى حينئذٍ من تحريم ما لم يُحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أمن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر، وهو الذي أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: "ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه"<sup>(٢)</sup>. ومعنى هذا: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لا بد أن يبيته الله تعالى في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله عنه، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال، فإن الله تعالى أعلم بمصالح عباده منهم، فما كان فيه هدايتهم ونفعهم، فإن الله لا بُدَّ أن يبينه لهم ابتداءً من غير سؤال، كما قال: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ﴾

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (٩٧٥/٢) رقم (١٣٣٧).

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/٩) وإسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء، لكن معناه صحيح، لذلك استدلل به الحافظ ابن رجب في أكثر من موضع من كتبه، والله أعلم.

لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴿ [النساء: ١٧٦]، وحينئذٍ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء، ولا سيما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله، ثم اتباع ذلك والعمل به، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يُسأل عن المسائل، فيحيل على القرآن" (١).

وفيه أيضاً: أَنَّ المنهي عنه كثرة السؤال، أو التكلف والتنطع في الأسئلة والتطرف فيها، والاختلاف عليه ﷺ؛ لأنَّ الاختلاف عليه ﷺ موجب للهلاك ولو من غير كثرة، وليس المقصود ترك الأسئلة بالكلية (٢)، فإنَّ السؤال من أجل العلم والعمل له مشروع وقد قال تعالى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

ويقرّر الحديث الشريف هنا الصفة التشريعية للنبي ﷺ، ومقتضاها أنه ﷺ سيبيّن كل ما يحتاج إليه من أمر الشريعة وفق أمر الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الدِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وعليه فإنَّ هذا الحديث يُنبّه الأمة إلى جملة من أسباب التطرف والانحراف عن الجادة، ومن ثم الهلاك، وهي -والله أعلم-:

١. الاستعجال على النَّبِيِّ ﷺ، ذلك أنَّ التشريع ينزل من الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين، والرسول ﷺ يبلغه، وهو ظاهر الحكم والتوجيه فيما نزل فيه، وبما أنَّ خطاب الحديث الشريف عام لجميع الأمة، ففيه تنبيه إلى أنَّه من شأن بعض النفوس أن تتطلع إلى تفاصيل إضافية، أو افتراض قضايا لم تقع، أو لا يحتملها النص والتوجيه الشرعي، فيحصل لديها دافع الاستعجال والإكثار من التساؤلات، وهو أمر لا ينبغي للمسلم أن يقع فيه بحضرة النَّبِيِّ ﷺ؛ لما قد يؤدي إليه من

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (ص ٢٢٤).

(٢) ينظر: طرح الشريب (١١٧/٢)، مرقاة المفاتيح (١٧٤٠/٥).

التشديد، ولما قد يُظن أن في التشريع شيء من النقص، فإذا وردت هذه الخواطر على الأذهان كانت سبباً في التطرف والانحراف.

والذي يظهر لي -والله أعلم- أن هذه الصورة لا تخص المهاجرين والانصار رضي الله عنهم -وإن كان الخطاب يشملهم- فقد تبين من التربية النبوية وما أخبرت به سيرتهم العطرة أنهم كانوا بعيدين عن ذلك، ولكن يأتي الصحابي من القبائل العربية خارج المدينة وهو مسافر فيكثر السؤال، أو يسأل عن أمر تشريعي يؤدي إلى التشديد كما في الحديث السابق، حيث قال الصحابي: "أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله؟"، فحاء التوجيه النبوي الشريف بال منع من هذه التساؤلات، لما تؤدي إليه من تشديد ومن ثم عجز عن القيام بالأمر، وإثماً الدين يسر.

وربما كان من مقاصد الحديث الشريف -والله أعلم- قطع ألسنة المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام، ولا يريدون الخير للمسلمين، ولا يبعد من مثل هؤلاء أن تصدر عنهم تلك الأسئلة غير المشروعة، أو الاختلافات على النبي ﷺ، وينسحب الأمر على كلِّ من يأتي بعد الرعيل الأول، فالحديث مانع لهم من التساؤل والاختلاف المؤدي إلى التشكيك، وهو الذي دأبت عليه فرقة الخوارج وبخاصة نافع بن الأزرق الذي كان يتعمد السؤال عن المتشابه<sup>(١)</sup>، وكذلك صبيغ بن عسئل الذي أكثر من السؤال عن القدر<sup>(٢)</sup>،

(١) له مسائل عن ابن عباس في غريب شعر العرب ومتشابه القرآن، مطبوع باسم: "مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"، رواية أبي بكر الختلي وأبي طاهر العلاف، تحقيق الدكتور أحمد الدالي، نشر مؤسسة الجفان والجبالي بقبرص عام ١٤١٣هـ.

(٢) قصة صبيغ وسؤاله عن القدر أخرجها الإمام مالك في الموطأ (٤٥٥/٢) رقم (١٩) بإسناد صحيح، والقصة مشهورة في كتب العقيدة.

وتتابع أهل الأهواء من بعدهم على هذا المنوال، فتطرفوا بُعداً عن الشريعة: إمّا غلواً كحال الخوارج، أو تفریطاً كحال ابن عربي وأشباهه.

٢. الاعتراض على التشريع، وهذا مفهوم من قول النَّبِيِّ ﷺ: «كثرة اختلافهم على أنبيائهم»، قال علي بن أحمد الحرّالي: "والاختلاف: انتقال من الخلاف وهو تقابل بين اثنين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه"<sup>(١)</sup>، وهنالك حادثة على عهد النَّبِيِّ ﷺ توحى بالاعتراض، ففي حديث أبي هريرة ؓ: "أنَّ رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقضى أنَّ دية ما في بطنها عُزَّةٌ، عبدٌ أو أمةٌ، فقال وليُّ المرأة التي عرّمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يُطَلَّ"<sup>(٢)</sup>، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «إمّا هذا من إخوان الكهان»<sup>(٣)</sup>.

٣. التعنت والتنطّع<sup>(٤)</sup>، وهو أمرٌ أكرم الله سبحانه وتعالى الصحابةَ بالبعد عنه، والذي يظهر -والله أعلم- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ حذّر منه حرصاً منه على صحابته الكرام وعلى سلامة دينهم، وتخويفاً للأمة عموماً من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل الذين

(١) فيض القدير للمناوي (٤/٣).

(٢) يُطَلَّ أي: يُهدر. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٣٦/٣. وفي المكتبة الشاملة (بطل) بالباء وهو خطأ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الكهانة (١٣٥/٧) رقم (٥٧٥٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاريب، باب دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمدة على عاقلة الجاني (١٣٠٩/٣) رقم (١٦٨١).

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٥، ١٣٩).

شَدَّدوا على أنفسهم في قصة البقرة، وتنطَّعوا وعاجزوا في الأسئلة، فشدد الله تعالى عليهم حتى كاد أن يعجزهم، وتلاعبوا بعد ذلك في الأحكام وتحايَلوا عليها، وهذا باب واسع من أبواب الاختلاف على الأنبياء، فكانت النتيجة العقوبات القاسية: اللعن، والمسوخ، والقتل.

وأما المعالجات النبوية فيمكن إيضاحها - والله أعلم - في الآتي:

أ. التنبيه إلى مقام النبوة، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ مشرَّع، ولا يخفى أنَّ الشريعة كانت تأتي منجَّمة وفق نزول القرآن الكريم الذي فيه العام والخاص، والمطلق والمقيد<sup>(١)</sup>، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، فيجب الإيمان بأنَّ الشريعة ستكمل في الحين الذي قدَّره الله تعالى، وقد تمَّ ذلك بنزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، كما قرَّر النَّبِيُّ ﷺ الصحابة على كمال تبليغه في حجة الوداع، وأشهد الله تعالى عليهم: «ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال: اللهم

(١) (المطلق) هو: "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه". و(المقيد) هو: "المتناول لمعيَّن، أو لغير معيَّن موصوفٍ بأمرٍ زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه". [روضة الناظر لابن قدامة ص ١٠١، ١٠٢].

اشهد»<sup>(١)</sup>. ومن ثم لا ينبغي أن يتعجل أحد شيئاً لم يرد فيه توجيهه، وإنما عليه التروي، والثوق بكمال تبليغ النبي ﷺ.

والذي يظهر - والله أعلم - أنَّ فكرة التعجل عموماً تحمل في طياتها سوء ظنّ، وربما انطوت على جانب - ولو يسير - من التباهي بالسؤال الذي يأتي لغير حاجة، لاسيما مع وجود اليهود في المدينة المنورة الذين كانوا يأتون ويتساءلون لغرض التعجيز أو التنطع أو الإساءة، فرمما خشى النبي ﷺ على أحد من المسلمين أن يتأثر بطريقتهم، فمنع ذلك وحذر منه.

ب. التذكير بحالات الإهلاك في الأمم السابقة التي اختلفت على أنبيائها، ويُلمح من اقتران ذكر كثرة المسائل، والاختلاف على الأنبياء، أنَّ كلَّ واحد منهما مهلك من جهة، وأنَّ أحدهما يؤدي إلى الآخر من جهة أخرى، فتلك الأمم كانت تقف في وجه الأنبياء وتعارضهم بكثرة المسائل التي لا تعنيهم ولا يمكن الوصول إليها وبخاصة مسائل الغيب وصفات الربّ تبارك وتعالى وأحوال يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، مصحوباً بالعزم على مخالفة النبي ﷺ، ومثل هذه الحالة تستحق العذاب العاجل والآجل وفق ما يقدره الله سبحانه وتعالى.

ومن شأن هذا التذكير والتحذير، أن يتعد مجتمع الصحابة أولاً ثم الأمة المسلمة من بعدهم عن مثل هذه الطريقة المهلكة التي ينشأ عنها الافتراق وفساد الاعتقاد.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٦/٢) رقم (١٧٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحارين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٣٠٧/٣) رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكره ﷺ.

(٢) انظر: السراج المنير للعزيري (١٦٨/٣)، وشرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٥).



وقد نبّه المناوي أنّ هذا الحديث الشريف، لا يشمل اختلاف الأئمة المجتهدين في الفروع، فإنهم جميعاً مُتَّبِعُونَ للكتاب والسنة، ومجتهدون في فهم دلالات النصوص والقياس عليها، وهذا الفهم وتلك المقاييس المستندة إلى النَّصِّ الشرعي يحصل فيها الاختلاف، ولا ضير فيه بإذن الله<sup>(١)</sup>، وإمّا هو من التوسعة على هذه الأئمة، وأدّل شاهد على ذلك أداء بعض الصحابة لصلاة العصر في الطريق إلى بني قريظة، وآخرون صلّوها في بني قريظة بعد فوات وقتها، وما لام النَّبِيُّ ﷺ أحداً منهم، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "قال النَّبِيُّ ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يُصَلِّينَ أحد العصر إلّا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك، فذكر للنَّبِيِّ ﷺ، فلم يُعَنَّفْ واحداً منهم"<sup>(٢)</sup>.

**الحديث الرابع:** حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: "أنّ نفرًا كانوا جلوساً بباب النَّبِيِّ ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج كأنما فقيء في وجهه حب الرمان، فقال: «بهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إمّا ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم ممّا هاهنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فاتتهوا»<sup>(٣)</sup>.

والحوار الذي دار بين الصحابة رضوان الله عليه كان في مسألة القَدَر، والإشكالية التي يمكن عزوها إلى التطرف تظهر - والله أعلم - في الآتي:

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (١/٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديثي خليفة (٥/٨٢) رقم (٤٠٠١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١/٤٣٤) رقم (٦٨٤٥) واللفظ له، وابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب في القدر (١/٦٣) رقم (٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/٧٩) رقم (١٣٠٨). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/١٤): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".

١. الخوض فيما لا يدركه العقل، فالصحابه رضي الله عنهم - وبعض الروايات تتحدث عن أربعين منهم - خاضوا في مسألة القدر هذه، والقَدَرُ المستَقْبَلُ من الغيب الذي خفي عنا، لذا استوقف النبي صلى الله عليه وسلم الجارية التي قالت: "وفينا نبيّ يعلم ما في غدٍ"، فقال لها: "لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين"<sup>(١)</sup>، وقد نصّت الآيات الكريمة على أن هنالك قضايا غيبية كثيرة أخبر الله تعالى أنّه خلقها وقدرها وأخفى علمها، منها مفاتيح الغيب الخمسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ وَعِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

٢. خروج الحوار عن المنهج الشرعي، فالنقاش كما يظهر من مجمل روايات الحديث الشريف خرج عن حدّ النقاش المفيد إلى التنازع، وهو ما صرحت به بعض ألفاظ الحديث، أي أنهم وصلوا إلى حدّ التناظر والخصومة، وكانت آيات القرآن الكريم هي مستند كل طرف من أطراف النزاع، جاء في بعض الروايات: "هذا ينزع آية، وهذا ينزع آية"<sup>(٢)</sup>، فبدت آيات القرآن الكريم متعارضة، وهذا ما يفسر قول النَّبِيِّ ﷺ: «أن تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض»، ومثل هذه الطريقة مفضية إلى ما هو أشد: أن يصير بعض أطراف النزاع إلى الجحود؛ لأنّ الكلام كلّ في شيء مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا سبيل للعقل إليه كما تقدم، وهذا ما وقع للقدرية فيما بعد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنّ القوم تنازعوا في علة فعل الله سبحانه وتعالى لما فعله، فأرادوا أن يثبتوا شيئاً يستقيم لهم به تعليل فعله بمقتضى قياسه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف (١٥/٢) رقم (٩٤٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/١٧٧).

سبحانه على المخلوقات، فوقعوا في غاية الضلال؛ إمّا بأنّ فعله ما زال لازماً له، وإمّا بأنّ الفاعل اثنان؛ وإمّا بأنّه يفعل البعض، والخلق يفعلون البعض، وإمّا بأنّ ما فعله لم يأمر بخلافه، وما أمر به لم يقدر خلافه وذلك حين عارضوا بين فعله وأمره، حتى أقر فريق بالقدر وكذبوا بالأمر، وأقر فريق بالأمر وكذبوا بالقدر، حين اعتقدوا جميعاً أنّ اجتماعهما محال، وكل منهما مبطل بالتكذيب بما صدق به الآخر" (١).

ويمكن بيان المعالجة النبوية لهذه المسألة -والله أعلم- في الآتي:

أ. التذكير بما يجب على المسلم فعله أو تركه في مسائل الغيب، وعدم الخوض فيما ليس من شأنه، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: «بهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟»، فالأصل في المسلم التسليم لأمر الله تعالى، وإن ظهر له شيء من حكمة تقدير الله ذلك فذلك خير، وإن لم يظهر له فليس له أن يتعمق وينتقب؛ لأنّه لن يستطيع إلى ذلك سبيلاً، يقول الإمام ابن بطّة: "فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَخْلُوقِ التَّلَطُّعُ إِلَى مَا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْحُكْمَةِ فِي الْقَدْرِ وَسِرِّ اللَّهِ فِيهِ فَالْوَاجِبُ الْإِيْمَانُ وَالتَّسْلِيمُ وَرَدَ مَا اسْتَشْكَلَ مِنْ حُكْمِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ أَنْ يَجْهَدَ نَفْسَهُ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْحُكْمَةِ وَالسَّرِّ فِيهِ" (٢)، وعلى هذا منهج السلف رضوان الله عليهم: الإمساك عن مسائل القدر، ولما أراد الحسن البصري رحمه الله -وهو من كبار التابعين- أن يشرح مسائل القدر ويتعرض لأولئك المجادلين فيه: "لامه أهل العلم؛ لأنهم -والله أعلم- خافوا أن يكون في ذلك تقويةٌ ما لبدعة القدرية مما

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/١٦٧).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطّة (٣/٢٢٥).

يجرُّ كثيراً من النَّاسِ إلى مقالتهم، وفوق ذلك رأوا أنَّ في الشرح والتفسير مخالفةً لصنيع الكتاب والسنة من الإجمال، وأنه ربَّما أدَّى إلى الاختلاف والافتراق في الدين، فكفَّ رحمه الله تعالى عن ذلك" (١).

ب. بيان المنهج الشرعي في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وهو المنهج التكاملي التوافقي، جاء في بعض ألفاظ الحديث: «وَأَيُّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وأمَّا الطريقة التي شاهدها النَّبِيُّ ﷺ وأغضبته فقد كانت معارضة آية بآية، وهذا هو مفهوم (الضرب)، ونتيجة مثل هذا النقاش -لو استمرَّ- الإيمان ببعض الآيات، وتعطيل بعضها الآخر، وربما جحود شيء من معاني الآيات القرآنية الكريمة (٢)، وربما تطور الأمر أكثر من ذلك فصار هذا قَدْرِيًّا وذاك جَبْرِيًّا، ولذا منع النَّبِيُّ ﷺ من النَّقاش، فمظهر الغضب الذي بدا على محياه ﷺ، وسؤاله الإنكاري؛ يفيدان ذلك بوضوح.

ت. بيان المنهج الشرعي في الفهم والتعلُّم، وهذا تابع في بعضه لمنهج التعامل مع آيات القرآن الكريم، ويضاف هنا أنَّ ذلك التعامل ينبغي أن يكون عن علم تامّ وفهم دقيق، وعند عدم العلم بالشيء، وخصوصاً في مثل قضايا القدر وعموم الغيبات؛ يتوقف الإنسان، ويسأل العالم به، جاء في بعض الروايات: «ما عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا لَا، فَكَلِمَةُ إِلَى عَالِمِهِ»، وكأنَّ النَّبِيَّ ﷺ يعاتبهم أن لم يرجعوا إليه ويسألوه عما جرى بينهم، فيما أن يحبرهم به أو يصرفهم عنه، وفق المصلحة الشرعية ومقتضى الحكمة، والأظهر هنا -والله أعلم- الصرف عن هذه المسائل؛ لأنَّه لو كان هنالك مصلحة شرعية في الشرح والتفصيل لبادر إليه

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله للمعلِّمي (١٦٩/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٨٥/٢).

المصطفى ﷺ ولما تأخر عنه، فعدم تعرضه لذلك يؤكد أنَّ المصلحة الشرعية في  
الاشتغال بما أمر به الإنسان، دون الذي لم يؤمر به، والله أعلم.

### المطلب الثالث

#### التحذير من تقليد الأمم في الدين والأخلاق

سبق معنا قضيتين حذّر النَّبِيُّ ﷺ فيهما أمته من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، وهما: ضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض، والاختلاف على الأنبياء، وفيما تقدم غنية عن الإعادة في هاتين القضيتين، وسأورد هنا ثلاثة أحاديث أخرى تحذّر صراحة من اتباع تطرفات الأمم الأخرى في الدين والأخلاق، وهي:

**الحديث الأول:** عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَتَسْبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ، وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ «فَمَنْ؟» (١).

من الواضح جداً أنّ معرفة النَّبِيِّ ﷺ بطبائع النفوس تصل إلى حدّ الإعجاز النبوي، وهذه الصورة المرسومة في هذا الحديث الشريف إنّما هو حديث عن طبع التقليد والتغيير الذي يقع للأمم حينما لا تلتزم بثوابتها وقيمها، وربما يكون في بعض الحالات نزوعاً إلى عادة قديمة مع غياب المعرفة الشرعية الدقيقة في الأمر، كما في حديث الحارث بن مالك أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج بنا معه قبل هوازن، حتى مررنا على سدرة الكفار، سدرة يعكفون حولها ويدعونها ذات أنواط، قلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنّها السنن، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٦٩/٤) رقم (٣٤٥٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤) رقم (٢٦٦٩).

تَجْهَلُونَ ﴿ [الأعراف: ١٣٨]، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنكم لتركبن سنن من قبلكم»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: "فالتشبه بالمشركين والمغضوب عليهم والضالين من أهل الكتاب منهي عنه ولا بد من وقوعه في هذه الأمة كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ...، قال ابن عيينة: "كان يقال من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى". ووجه هذا: أن الله ذم علماء اليهود بأكل السحت، وأكل الأموال بالباطل والصد عن سبيل الله، وبقتل النبيين بغير حق، وبقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، وبالتكبر عن الحق وتركه عمداً خوفاً من زوال المآكل والرياسات، وبالחסد وبقسوة القلب، وبكتمان الحق، وتلبيس الحق بالباطل، وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من أهل البدع ونحوهم، ولهذا تشبهت الرافضة باليهود في نحو من سبعين خصلة، وأمّا النصارى فذمهم الله بالجهل والضلالة، وباللغو في الدين بغير الحق، ورفع المخلوق إلى درجة

(١) أخرجه الإمام الشافعي في السنن المأثورة (ص ٣٣٨) رقم (٤٠٠)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٦٨٢/٢) رقم (١٤٤٣)، والحميدي في المسند (٩٨/٢) رقم (٨٧١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٨/٢١) رقم (٤٠١٥٨)، وأحمد في المسند (٢٢٥/٣٦) رقم (٢١٨٩٧)، والترمذي في الجامع (٤٩/٤) رقم (٢١٨٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٠/١٠) رقم (١١١٢١)، وابن حبان كما في الإحسان (٧٤/٦) رقم (٤٩٠٠) واللفظ له، وإسناده صحيح، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

لا يستحقها، حتى يدعى فيه الإلهية، واتباع الكبراء في التحليل والتحریم، وكلُّ هذا يجد في جهال المسلمين المنتسبين إلى العبادة من هذه الأمة" (١).

قلتُ: وإِثْمًا ذَمَّ اللهُ تعالى اليهود والنَّصارى لوقوعهم في الإفراط والتفريط، لذلك نهي اللهُ تعالى عن اتباع سبيلهم حتى لا يقع المسلمون بما وقعوا فيه، ولهذا وصفهم اللهُ تعالى في كتابه بأنهم أُمَّةٌ وسطاً، حيث قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدولاً، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ومما لا شك فيه -والله أعلم- أنَّ الحديث الشَّريف يصور أخطر حالات التطرف عند الإنسان، وهي التقليد العام الأعمى، وتتمثل في حالة التفريط في المعتقدات، وفي الأخلاق، بل يستغرق كذلك التصرفات السلوكية العادية التي من المفترض أن يكون لكلِّ إنسان سمَّةٌ خاصَّةٌ به، وكل ذلك ناشئ عن الإعراض عن الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "منْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَعَارَضَهُ بِالْمَعْقُولَاتِ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ كِتْمَانٍ أَوْ كَذِبٍ أَوْ تَحْرِيفٍ أَوْ أَمِيَّةٍ، مَعَ عَدَمِ عِلْمِهِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا مَذْمُومَةٌ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ مَذْمُومُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، كَمَا ذَمَّ اللَّهُ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ دَخَلُوا فِي قَوْلِهِ ﷺ الَّذِي ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقِدَّةِ بِالْقِدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»" (٢).

(١) الحكم الجديدة بالإذاعة (ص ٤٣-٤٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/٢٢٧).



وتأتي المعالجة النبوية من خلال إنكار هذه الحالة المزرية وتعير أهلها وتوبيخهم، وتقيح فعلهم<sup>(١)</sup>، الأمر الذي يعني النهي عن اتباع الأمم الأخرى غير المسلمة أو التشبه بهم، فالحق والباطل لا يجتمعان، ومن مال بهواه إلى تلك الأمم وشرائعها وأخلاقها فلا بد أن يترك دينه بقدر ذلك الميل.

وذكر النبي ﷺ لـ «جُحَرَ الضب» إنما هو -والله أعلم- للمبالغة في التوبيخ من جهة، والمبالغة في تصوير التقليد الأعمى، قال الإمام المناوي: "وخصَّ جُحَرَ الضب لشدة ضيقه، ومع ذلك فإنهم لاقتنائهم آثارهم واتباعهم مناهجهم لو دخلوا في مثل ذلك الضيق الرديء لوافقوهم"<sup>(٢)</sup>.

وما هذا النهي وذاك التقيح إلا لتبقى الأمة المسلمة محافظة على صبغتها وشخصيتها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ وَعِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وتبقى لها الريادة والمكانة الرفيعة بين الأمم.

وتجدر الإشارة إلى أن الحديث يتناول الأغلب من أفراد أمة الإسلام، ولا يشمل الجميع، فالطائفة المنصورة تسلم من ذلك كله، يقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»<sup>(٣)</sup>.

**الحديث الثاني:** حديث أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها: "أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلْمَةَ ذَكَرْنَا كَنِيسَةَ رَأَيْنَاهَا بِالْحَبِشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَذَكَرْنَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٦٥/٣).

(٢) فيض القدير للمناوي (٢٦١/٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (١٥٢٣/٣) رقم (١٩٢٠).

أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" (١).

في الحديث إشارة للنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن التصوير؛ لأن ذلك يؤدي إلى الغلو فيها مستقبلاً، قال الإمام ابن بطال: "فيه نهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن فعل التماوير. قال المهلب: وإنما نهي عن ذلك - والله أعلم - قطعاً للذريعة، ولتقرب عبادتهم الأصنام، واتخاذ القبور والصورة آلهة" (٢).

و(التوحيد) هي القضية الرئيسة في هذا الحديث الشريف، حتى وإن لم تذكر على نحو صريح، ولكن الحديث يتناول مشهداً رآه أمهات المؤمنين أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما بأرض الحبشة، رأتا كنيسة فيها تماوير، والمعهود في الكنائس أن توضع فيها صور يزعمون أنها لعيسى وأمه مريم عليهما السلام، بالإضافة إلى تماثيل لهما، وكذلك صور لرجال عندهم يسمونهم (فديسين)، والمتعارف عندهم عند الدخول إلى الكنائس الركوع أمام تلك التماوير والتماثيل على هيئة انحناء الرأس، وهو نوع من العبادة لغير الله تعالى، فهؤلاء جمعوا بين عدة أمور تدل على التطرف المؤدّي إلى الكفر والعياذ الله تعالى:

أولاً: اتخاذ تلك التماوير المحرّمة، وكان الغرض أن "يأتنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا

أفعالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عند قبورهم" (٣)، حتى دخلهم بعد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (٩٣/١) رقم (٤٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٣٧٥/١) رقم (٥٢٨).

(٢) شرح صحيح البخاري (٨٢/٢).

(٣) عمدة القاري للعيني (١٧٤/٤).

حين تعظيم هؤلاء، ثم لما تقادم عليهم العهد عبدوهم من دون الله، فكانت التصاوير، وهي محرمة ابتداءً، ذريعة إلى محرم أعظم وهو الكفر بالله تعالى.

ثانياً: اتخاذ واسطة بين هؤلاء وبين الله تعالى، ويظهر ذلك من الاستعانة بتلك التصاوير في بداية الأمر؛ لتكون دافعاً لهم على العبادة والاجتهاد، وهو خطأ وانحراف عقدي بحد ذاته، وهذا هو سبب ضلال المشركين وكل من شاكلهم على هذه الحال، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

ثالثاً: تغليب الأهواء على شرع الله تعالى، فاتخاذ التصاوير إنما هو من اتباع الهوى، وبناء القبور على المساجد كذلك اتباع للهوى، وعدم الرجوع إلى شريعة الله تعالى والالتزام بها اتباع للهوى أيضاً، وما زال لهم الحال في اتباع الهوى حتى خرجوا عن التوحيد إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية.

### وتبدو المعالجة النبوية -والله أعلم- فيما يأتي:

١. تحريم تصوير الآدميين على سبيل التعظيم، وجمهور العلماء على تحريم ذوات الأرواح مطلقاً<sup>(١)</sup>؛ لعموم الحديث الشريف: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَأَشْمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ، وَهَىٰ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ»<sup>(٢)</sup>، وأحاديث أخرى. والحديث الذي بين أيدينا يشير -والله أعلم- إلى إحدى حكيم تحريم تصوير الآدميين

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠٢/١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد (٦١/٧) رقم (٥٣٤٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

لأجل التعظيم، وبخاصة ما كان على هيئة التماثيل، وهي سد ذريعة عبادة هذه التصاوير من دون الله تعالى.

٢. تحريم اتخاذ المساجد على القبور، فقد وصف النبي ﷺ فاعلي ذلك بأنهم «شرار الخلق»، وإنما سُموا بذلك لضلالتهم، وسَنَّهُم لمن بعدهم العُلُوَّ في قبور صالحهم، حتى أفضى بهم ذلك الغلو إلى عبادتها، وهو عامٌّ فيمن فعل فعَلهم من هذه الأمة، وأي زجر وأي تَغْلِيظ وتَقْرِيع وتَعْيِير أبلغ من هذا؟! (١).

ومما يرد على الذَّهْن في تحريم اتخاذ المساجد على القبور؛ أَنَّ المسجد للعبادة، فإذا كان مَبْنِيًّا على قبر يعتقد العَامَّة في صاحبه أَنَّهُ صالحٌ أو مباركٌ؛ فَإِنَّ هذا التجاور يعجل في الانحراف العقدي، ويجعل عبادة الناس لتلك القبور وتعظيمها ميسراً، لذا كان التحريم والزجر، واللَّعْن كما سيأتي في الحديث التالي.

**الحديث الثالث:** عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: "لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرُحُ خَيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يُحَدِّثُ مَا صَنَعُوا" (٢).

وهذا الحديث مماثل للحديث الثاني، فإنه يتعلَّق بتوحيد الله تعالى ومنع الشرك. وتتجلى صورة النهي في التحذير من البناء على القبور وتصوير الصور من أجل سدِّ الطرق الموصلة إلى التشدد والغلو، فيقعوا فيما حَرَّمَ الله تعالى من الشرك، قال الإمام

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل (٤/١٦٩).

رقم (٣٤٥٣-٣٤٥٤).

القسطلاني: "فحذّر النَّبِيُّ ﷺ عن مثل ذلك سداً للذريعة المؤدية إلى ذلك"<sup>(١)</sup>، وهو الغلوُّ في تعظيم هذه القبور والوقوع في الشرك، فتظهر معالجة النَّبِيِّ ﷺ لهذا الموقف ابتداءً قبل أن تقع فيه أمته، والتحذير من اتخاذ سُبل من غلو في تعظيم صالحهم من اليهود والنَّصارى. وقد علم النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الأمة تعظّمه لما له من الخصائص التي امتنَّ الله تعالى عليه بها، فهو خليل الرحمن، وهو رسول الله، وهو المبعوث رحمة للعالمين، وهو أكمل النَّاس خُلُقاً، وقد أمرُوا بغضِّ الصَّوت عند مناجاته، وإجابته إذا دعاهم، وغير ذلك من السَّجايا التي تدفع بعض النَّاس إلى تجاوز الحدِّ الشرعي في التعظيم والاحترام.

وبما أنَّ نوازع النَّفوس نحو المبالغة متواتر بين بني الإنسان لدى الأمم السابقة منها واللاحقة، ولدى فئات من هذه الأمة؛ لذا عالج النَّبِيُّ ﷺ هذه القضية الأخيرة قُبيل وفاته ﷺ بخمسة أيام، فشَدَّد النَّهْي والتَّحذير، وذكر صنيع الأمم السابقة على سبيل الإنكار والتقبيح، وصرَّح بلعنهم، والملعون مطرود من رحمة الله.

والغاية من ذلك -والله أعلم- منع الوسائل الموصلة إلى الشُّرك، فمِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم لن يعبدوا قبر النَّبِيِّ ﷺ، ولكن فكرة التعظيم مع الحماسة واردة عند جيل التابعين، فقد قال فتى لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد. فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا"<sup>(٢)</sup>، ولا

(١) إرشاد الساري للقسطلاني (٤٣٠/١).

(٢) أخرجه ابن هشام في سيرته (٢٣١/٢) والإمام أحمد في المسند (٣٥٨/٣٨) رقم (٢٣٣٣٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٣٣/١) رقم (٢١٥)، والطبري في تفسيره (٢١٥/٢٠) قال محققوا المسند: "حديث صحيح".

يزال بالناس النزوع إلى المبالغة والتطرف حتى يأتي من يبدأ بتعظيم القبر، ومع جريان الأيام يعتاد الناس ذلك مع ازدياد المبالغة حتى يصلوا حتماً إلى الشرك، وقد وقع ذلك مما نراه اليوم لدى المتصوفة الغلاة، ولدى الشيعة الرافضة وغيرهم من أهل المبالغات البدعية، والإحداث في الدين ما ليس منه.

وهناك معالجة أخرى تمثلت في (لعن تلك الأمم) التي اتخذت قبور الأنبياء مساجد، واللعن يجعل المسلم يتوقف عند حدود النصوص الشرعية، ويستذكر حقائقها ودلالاتها، فهو ابتداءً لا يريد أن يقع في دائرة اللعن هذه التي تجعله مع الكفرة في دائرة واحدة، كما أنه يستحضر ما علم من الشريعة أنه ليس عند قبر النبي ﷺ مصلحة من مصالح الدين وقربة إلى رب العالمين إلا وهي مشروعة في جميع البقاع، فلا ينبغي أن يكون صاحبها غير معظم للرسول ﷺ التعظيم التام والمحبة التامة إلا عند قبره، بل هو مأمور بهذا في كل مكان (١)، ولذا كان من سمى السلف الصالح وكل من سار على هديهم أن يستقبلوا قبر النبي ﷺ بالسلام فقط، وإذا ما أرادوا الدعاء التفتوا إلى القبلة (٢).

(١) الإحنائية لابن تيمية (ص ٣٦٥).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٤٤٤).

## المطلب الرابع

## توجيه الأمة إلى التيسير المنضبط شرعاً

من كمال الشريعة، التيسير على العباد، ودفع المشقة عنهم، نصَّ على ذلك كتاب الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقد تواترت كلمات العلماء والمجتهدين في بيان تيسير الشريعة الإسلامية، وبخاصة عند حديثهم عن الرخصة والعزيمة في العديد من الأحكام الشرعية، وعُرفَ ذلك من عمل النَّبِيِّ ﷺ، وفيما يخص النص على التيسير في السُّنَّة المشرفة فأختار من جُملة ما ورد فيها؛ الأحاديث الآتية:

**الحديث الأول:** عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خيَّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين، أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه" (١).

الحديث فيه إشارة إلى التيسير على النَّاس وعدم الغلوِّ والتشديد، وهذا التيسير مشروطٌ بالألَّا يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان النَّبِيُّ ﷺ أبعد النَّاس عنه، قال الإمام ابن بطَّال: "ما لم يكن إثماً في أمور الدين، وذلك أنَّ الغلوَّ في الدِّين مذموم، والتشديد فيه غير محمود" (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠)، ومسلم في صحيحه -واللفظ له-، كتاب الفضائل، باب مبادئه ﷺ للإثام، واختياره من المباح أسهله (١٨١٣/٤) رقم (٢٣٢٧).

(٢) شرح صحيح البخاري (٤٠٥/٨).

والحديث هنا يعالج هذه الإشكالية وهي العُلُوّ التي تمثل الجانب الأكبر من التطرف بين الناس، وقد تقدم معنا التحذير من مظاهر عديدة كان الغلو والتشدد سبباً إليها، وربما أوصل إلى الكفر.

والمعالجة النبوية هنا تكمن في التيسير المنضبط، فقد كان النَّبِيُّ ﷺ مقصوداً من الصحابة بالمشورة والتوجيه والإرشاد، ويبدو من ظاهر كلام أمّ المؤمنين عائشة ؓ أنّ الصَّحابة كانوا يعرضون عليه أموراً فيها اختيارات، فيختار النَّبِيُّ ﷺ الأيسر لهم الذي لا يوقعهم في الحرج، فعلى سبيل المثال: في قصر الصلاة في السفر حال الأمن، قال ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»<sup>(١)</sup>.

ومع حالة التيسير العامة التي انتهجها النَّبِيُّ ﷺ وعلمها أمته، تنبّهنا أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى تقييد هذا العام بعدم المخالفة الشرعية، يقول الإمام ابن بطال: "ما خيّر رسول الله ﷺ أصحابه بين أن يختار لهم أمرين من أمور الدنيا على سبيل المشورة والإرشاد إلا اختار لهم أيسر الأمرين ما لم يكن عليهم في الأيسر إثم؛ لأنّ العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم"<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الباب كان النَّبِيُّ ﷺ يمنع الصحابة من التشديد على أنفسهم، ومثال ذلك منعه عبد الله بن عمرو ؓ من مواصلة الصيام، قال: "أخبر رسول الله ﷺ أنّي أقول: والله لأصومنّ النهار، ولأقومنّ الليل ما عشتُ. فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي، قال: «فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإنّ الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر»، قلت: إني أطيعُ أفضل من ذلك، قال: «فصم يوماً

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها (١/٤٧٨)

رقم (٦٨٦).

(٢) شرح صحيح البخاري (٨/٤٠٥).



وَأَفْطِرُ يَوْمِينَ»، قلت: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قال: «فصم يوماً، وَأَفْطِرُ يَوْماً، فَذَلِكَ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ»، فقلت: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وفي الجُمْلَةُ فَإِنَّ التَّوْحِيهَ النَّبَوِيَّ الْكَرِيمَ يَتَلَخَّصُ فِي الْأَخْذِ بِالْأَرْفَقِ وَالْأَيْسَرِ، وَتَرَكَ التَّكْلِفَ وَطَلَبَ مَا لَا يَطْأِقُ، وَفِي ذَلِكَ تَعَبُّدُ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ: "بِاسْمِهِ الْبَرُّ اللَّطِيفِ الْحَسَنِ الرَّفِيقِ، فَإِنَّهُ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، ... لِمَا فِيهِ مِنْ رُوحِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِ الرَّفِيقِ اللَّطِيفِ، وَإِجْمَامِ الْقَلْبِ بِهِ لِعِبُودِيَّةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَزَالُ يَتَنَقَّلُ فِي مَنَازِلِ الْعِبُودِيَّةِ، فَإِذَا أَخَذَ بِتَرْفِيهِ رِخْصَةً مَحْبُوبَةً اسْتَعَدَّ بِهَا لِعِبُودِيَّةٍ أُخْرَى، وَقَدْ تَقَطَّعَ عَزَمَتُهَا عَنْ عِبُودِيَّةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا، كَالصَّائِمِ فِي السَّفَرِ الَّذِي يَنْقَطِعُ عَنْ خِدْمَةِ أَصْحَابِهِ، وَالْمَفْطَرِ الَّذِي يَضْرِبُ الْأَبْنِيَّةَ، وَيَسْقِي الرِّكَّابَ، وَيَضْمُ الْمَتَاعَ"<sup>(٢)</sup>.

وَمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهِ إِلَيْهِ أَنَّ التَّيْسِيرَ الَّذِي اصْطَبَعَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، لَا يَكُونُ إِلَّا وَفْقَ النَّصِّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنْ تُفْهَمَ تِلْكَ التَّصَوُّصُ وَفْقَ الضُّوَابِطِ وَالقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ وَمَنْ قَبِلَ أَهْلَ الاجْتِهَادِ، وَلَا يَكُونُ التَّيْسِيرُ بِالْهَوَى أَوْ مَجَارَاةَ رَغْبَاتِ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنَ الْإِثْمِ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ الرَّسُولُ ﷺ، بَلْ هُوَ خُرُوجٌ عَنِ الْجَادَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم الدهر (٤٠/٣) رقم (١٩٧٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً (٨١٢/٢) رقم (١١٥٩).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٤٩/١).

الحديث الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأبا موسى

إلى اليمن، قال: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تُخْتَلَفًا»<sup>(١)</sup>.

في الحديث وصيته صلى الله عليه وسلم لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما بالتيشير على الناس وترك التشدد والغلو في الدعوة إلى الله تعالى، ولا سيّما لمن كان حديث عهدٍ بإسلام، قال القاضي عياض: "فيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور، والرّفق بالنّاس، وتجييب الإيمان إليهم، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم، لا سيّما فيمن كان قريب العهد به، وكذلك يجب فيمن قارب حد التكليف من الأطفال ولم يتمكن رسوخ الأعمال في قلبه ولا التمرن عليها، ألا يشدد عليه ابتداءً؛ لئلا ينفر عن عمل الطاعات، نعم وكذلك يجب للإنسان في نفسه في تدريبها على الأعمال إذا صدقت إرادته ألا يتدئها أولاً إلا بتدرّج وتيسير، حتى إذا أنست بحاله ودامت عليها، ينقلها لحال آخر، وزاد عليها في عمل أكثر من الأول، حتى يرى قدر احتمالها، ولا يكلفها ما لعلها تعجز عنه ولا يدوم عليه"<sup>(٢)</sup>.

والوصية في هذا الحديث الشريف تدخل في إطار التيسير العام المنضبط الذي شرعه لنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن الخطاب هنا إلى اثنين من ولاته صلى الله عليه وسلم، معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وخصّهما بهذه الوصية -والله أعلم-؛ لأنّه من شأن الأمانة أن يكون فيها شدة وحزم، والنّاس حديثو الإيمان، بل وفيهم من ليس بمؤمن (أهل كتاب)، فالعمل المناط بمعاذ وأبي موسى الأشعري ذو شقين: تعليمي للمؤمنين، ودعوى لغير المؤمنين، والحاجة إلى التيسير المنضبط قائمة في الحالتين، والقاسم المشترك أن كلا الفتنتين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب (٦٥/٤) رقم (٣٠٣٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٣٥٩/٣) رقم (١٧٣٣).

(٢) إكمال المُعلّم بفوائد مسلم (٣٧/٦).

تشتركان في الحاجة إلى الاستئناس والتيسير، وهذا ما يفسر ابتداء النَّبِيِّ ﷺ بالتيسير والتبشير، والتعقيب عليهما بالنهي عن التعسير والتنفير، وصياغة هذه الجملة فيها مقابلة معنوية كما قال الإمام الطيبي: "إذا الحقيقة أن يقال: بشروا ولا تنذروا، واستأنسوا ولا تنفروا، فجمع بينهما ليعم البشارة والندارة الاستئناس والتنفير"<sup>(١)</sup>.

وهناك إشكالية ضمنية تعيق التيسير والتبشير أشار إليها النَّبِيُّ ﷺ -والله أعلم- في قوله: «وَتَطَاوَعَا وَلَا تَحْتَلِفَا»، ذلك أَنَّ الاختلاف مؤدَّ حتماً إلى التشديد والتنفير، لما يعكسه من صورة ضبابية عن الدعوة وأحكامها، الأمر الذي يوقع حديثي الإسلام في حيرة، ويدفع غير المسلمين إلى التوقف عن القبول.

فالمعالجة النبوية هنا ظهرت في التوجيه أولاً إلى التبشير والتيسير ثم التحذير مما يؤثر عليهما.

وهناك معالجة أخرى تفهم -والله أعلم- من عموم هذا النص، ومن قول النَّبِيِّ ﷺ معاذ في حديث آخر: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»<sup>(٢)</sup>، هي ضرورة فهم العالم والداعية للواقع، فالتيسير والبشارة مرتبطة بواقع الناس وأحوالهم، وما الذي يناسبهم من التيسير، وما الذي يتألفهم ولا ينفهم، ومتى تكون الندارة ضرورية ومواتية، شريطة أن يبقى ذلك في إطار الشريعة ونصوصها.

(١) شرح المشكاة للطيبي (٨/٢٥٩٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٩٨/٣) رقم (٢٠٧١)، والدارمي في المسند، كتاب الزكاة، باب في فرض الزكاة (١٠٠٥/٢) رقم (١٦٥٥)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة (٣٤/٣) رقم (١٥٨٤)، والترمذي في جامعه، أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة (١٣/٢) رقم (٦٢٥)، والنسائي في السنن، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (٢/٥) رقم (٢٤٣٥)، وابن ماجه في السنن، أبواب الزكاة، باب فرض الزكاة (٥/٣) رقم (١٧٨٣). قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

**الحديث الثالث:** عن الأزرق بن قيس أنه قال: "كُنَّا بِالْأَهْوَاذِ نَقَاتِلُ الْحَرُورِيَّةَ، فَبِينَا أَنَا عَلَى جَرْفِ نَهْرٍ، إِذَا رَجُلٌ يَصِلُنِي، وَإِذَا لَجَامَ دَابَّتَهُ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تَنَازِعُهُ، وَجَعَلَ يَتَّبِعُهَا، قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ، فَلَمَّا انصَرَفَ الشَّيْخُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ، وَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتِّ غَزَوَاتٍ، أَوْ سَبْعِ غَزَوَاتٍ، أَوْ ثَمَانٍ، وَشَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ، أَنَّ كُنْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ دَائِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَاهَا تَرْجِعُ إِلَيَّ مَأْلُفَهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ" (١).

وفي لفظٍ آخر للإمام البخاري فيه زيادة: قال أبو برزة: "ما عَنَّقَنِي أَحَدٌ مِنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" (٢).

في الحديث بيان أبي برزة الأسلمي ؓ لحال النبي ﷺ في غزواته مع أصحابه، فكان أحسن الناس تعاملًا ﷺ مع أصحابه، فينقل حاله أنه شهد تيسيره في ستٍّ أو سبعٍ أو ثمانٍ غزواتٍ، وفي هذا ردُّ على غلوِّ الخارجي الذي جعل يدعو على أبي برزة لما رآه يتبع دابته حتى لا تنفلت منه، مع بيان أن هذا ليس منهج النبي ﷺ.

والغرض من إيراد هذا الحديث هنا هو: بيان سلبيات حالة الجهل ومثالب الغلوِّ والتطرف، وإشكالية تصدِّي أمثال هؤلاء للحكم على الآخرين، وأسوأ منه التصدي للفتوى، ويلحظ على هذا الرجل الخارجي أو الذي يرى رأيهم كما في الرواية الأخرى؛ أن جعل من نفسه مفتياً، مع جهله وسوء خلقه، فبادر إلى سبِّ الصحابي أبي برزة ؓ والدعاء عليه، ولو كان لديه عقل وعلم، لتأبى قليلاً واستفسر قبل أن يبادر إلى ما قال.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة (٦٤/٢) رقم (١٢١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا (٣٠/٨) رقم (٦١٢٧).

والمأمل في موقف أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه يجد معالجة راقية جداً، يتجلى فيها أثر التربية النبوية: ويمكن إجمالها في الآتي:

١. ترفعُ أبي برزة رضي الله عنه عن سلوك الخارجي، فلم يجاره في التعنيف ولا الدعاء الذي تفوّه به، بل يظهر أنه ترفع عن الخطاب المباشر مع ذلك الرجل ابتداءً.
٢. علّم أبو برزة رضي الله عنه الحاضرين ما جهلوه، فذكر لهم سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتواترة في التيسير، مؤكداً ذلك بذكر عدد الغزوات.
٣. أظهر عُذره في لحاقه بالقرس وهو في الصلاة وإمساكه بزمامها ثم إكمال الصلاة، وهو دفع المشقة عن نفسه لو تركها تذهب، وهو علّم تعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن حقّ المسلم أن يعمل بهذا التيسير، ويدفع المشقة عن نفسه.
٤. إشعار أبي برزة رضي الله عنه جماعة المسلمين الحاضرة إلى الأخذ على يد أمثال هؤلاء من الغلاة، وعدم إتاحة الفرصة لهم للتصدّي للفتوى والحكم على الناس، ويفهم ذلك من قوله رضي الله عنه: "ما عنّني أحد منذ فارقتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم". وبما أنّ الصّلاح في هذه الجماعة كان هو الأصل والأعمّ لذلك ظهرت استجابتهم على الفور، فقد ذكر الحميدي أنّهم قالوا للرجل: "ما نرى الله إلاّ مخزبك، سببت رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" (١).

(١) الجمع بين الصحيحين للحميدي (١/٥٦٧).

### الخاتمة

القضية الفكرية والسلوكية إشكالية بشرية، تستفزها الأهواء والرغبات والوساوس، فتأخذ بها ذات اليمن وذات الشمال، وتأتي الرسائل السماوية لتحافظ على الاستقامة الفكرية والسلوكية، ولتعالج ما انحرف منهما فوصل إلى حد التطرف المتشدد أو التطرف المفرط، وفي السنة النبوية معين لا ينضب من تلك المعالجات، وأبرز ما توصل إليه الباحث من النتائج هو:

**أولاً:** التطرف لا يتوقف عند حد الغلو، فهو يشمل الإفراط والتشدد، كما يشمل التفريط والتساهل، والمدلول اللغوي واضح في هذه الدلالة.

**ثانياً:** لم يخلُ زمن بشري - فيما ظهر لي من الاستقراء العام - من طروء التطرف إلى الفكر والسلوك البشري، ولكن إذا توفرت له المعالجة الناجعة كما هو حال المعالجات النبوية الشريفة؛ فإنه يتوقّف عند حدود الفكرة، ثم يحصل التراجع عنها، وإذا كانت المعالجات ضعيفة أو غير موجودة؛ فإنها تتطور إلى حدّ الانتشار.

**ثالثاً:** وجود تطبيقات غير سليمة للفكر والسلوك في عهد النبوة فيه فائدة عظيمة، أهمها صدور تلك المعالجات النبوية الشريفة التي منعت استمرارها، وهي معالجات ينبغي على كل مُرَبٍّ ومفكّرٍ مسلم أن يحيط بها، ومن ثمّ يستعين بها في معالجة ما يواجهه من حالات تطرف تُعَرِّض له.

**رابعاً:** وجود الإيمان القوي والقناعة التامة بكمال التشريع ووفائه بكل ما يصلح حال الإنسان؛ كفيل بتحجيم التطرف فكرةً كان أم تطبيقاً أولياً، وبعد ذلك التراجع عنها. ولكن الإشكالية تبقى موجودة مع ضعف الإيمان وضعف القناعة بالمعالجات الشرعية، وهو ما أدّى إلى شيوع البدع والانحرافات فيما بعد.

**خامساً:** المعالجات تتطلب تضافر الجهود، ويظهر ذلك من مبادرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ لإخبار النبي ﷺ بما سمعنَ ورأينَ، وكذا تصرف سلمان الفارسي وعمرو بن

العاص رضي الله عنهما، وبهذا يكون المجتمع بكافة أفرادهِ متعاوناً على الاستقامة، ورافضاً للتطرف بكافة أطيافه.

**سادساً:** معرفة دوافع التطرف تعين على تحديد مكامن الإشكالية، ومن ثمّ المعالجة المباشرة لتلك الدوافع.

**سابعاً:** التيسير في الإسلام سمة من سماته، ولكن الأدلة والتطبيقات النبوية الشريفة تدلّ على أنّه ليس منفتحاً على مصراعيه كما يزيّن بعض الناس لأنفسهم ذلك، بل هو تيسير ضمن حدود الشريعة، ولا يخرج بحال من الأحوال إلى الحرام، إلّا في حالات الضرورة التي تقدّر بقدرها، وينتهي بانتهاء الضرورة.

وإذا ما كان من توصية؛ فيظهر لي أنّ معالجات التطرف في السنّة باب واسع، له جوانب عدة، وما هذا البحث إلّا بعض جوانبه، ويمكن للباحثين النظر في الجوانب الأخرى، أو أخذ الموضوع وفق دراسة موضوعية: كمعالجة التّطرف في أركان الإسلام، ومعالجة التطرف في الإيمان بالله، ومعالجة التطرف في مقام النّبوة، ومعالجة التطرف في الأموال، فالذي بدا لي -والله أعلم- أنّ هذه الموضوعات يمكن أن تُبحث، وفي السنّة مادة ثرية لها، والله أعلم.

**تنويه:**

البحث مدعوم من قبل عمادة البحث العلمي بجامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز،

برقم ٢٠٠٩٤/٠٢/٢٠٢٢.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. الإبانة الكبرى، لابن بطة علي بن إسماعيل، تحقيق فوقية محمود، ط ١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧ هـ.
٢. الأحكام الوسطى، لابن الخراط، عبد الحق بن عبد الرحمن، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، ١٤١٦ هـ.
٣. أخبار مكة، للأزقي محمد بن عبد الله، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت.
٤. الإخنائية (الرد على الإخنائي)، لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق أحمد العنزي، ط ١، دار الخراز، جدة، ١٤٢٠ هـ.
٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر، ط ٧، مصر - المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣ هـ.
٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، بيروت - دار الجليل، ١٤١٢ هـ.
٧. الإصابة، لابن حجر أحمد بن علي، تحقيق عادل معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٨. الأفراد، للدراقطني علي بن عمر، عناية جابر السريع، ط ١، الرياض، ١٤٢٩ هـ.
٩. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق ناصر العقل، ط ٧، دار عالم الكتب، لبنان، ١٤١٩ هـ.



١٠. إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط١، مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ.
١١. الأمالي، لابن بشران عبد الملك بن محمد، عناية عادل العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.
١٢. الإبان، لابن منده محمد بن إسحاق، تحقيق علي الفقيهي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٣. البحر الزخار: البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.
١٤. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد، تحقيق وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٥. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: للإمام الحارث بن أبي أسامة، المنتقى: نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، ط١، المدينة المنورة - مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣هـ.
١٦. تاج العروس، للزبيدي محمد مرتضى، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ.
١٧. تاريخ ابن معين يحيى بن معين، تحقيق أحمد سيف، دار المأمون للتراث، دمشق.
١٨. تاريخ الرسل والملوك، للطبري محمد بن جرير، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٧٨هـ.
١٩. التاريخ الكبير، للبخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد الدباسي، ط١، الناشر المتميز، الرياض، ١٤٤٠هـ.

٢٠. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار)،  
للعراقي عبد الرحيم بن الحسين، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ.
٢١. الترغيب والترهيب، لِقَوْمِ السنة إسماعيل بن محمد، تحقيق أيمن شعبان، ط ١،  
دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٢٢. تعظيم قدر الصلاة: المروزي، محمد بن نصر، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار  
الفريوائي، ط ١، المدينة المنورة - مكتبة الدار، ١٤٠٦ هـ.
٢٣. التعيين في شرح الأربعين، للطوفي سليمان بن عبد القوي، تحقيق أحمد عثمان،  
ط ١، مؤسسة الريان بلبنان، والمكتبة المكية بمكة المكرمة، ١٤١٩ هـ.
٢٤. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري محمد بن جرير،  
تحقيق عبد الله التركي، ط ١، دار هجر، ١٤٢٢ هـ التمهيد، لابن عبد البر
٢٥. تقريب التهذيب: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة،  
ط ١، سوريا، دار الرشيد، ١٤٠٦ هـ.
٢٦. تهذيب الآثار (مسند عمر)، للطبري محمد بن جرير، تحقيق محمود شاكر،  
مطبعة المدني، القاهرة.
٢٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ابن رجب، زين  
الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل،  
ط ١، بيروت - دار ابن كثير، ١٤٢٩ هـ.
٢٨. جامع المسانيد والسنن، لابن كثير إسماعيل بن عمر، تحقيق عبد الملك الدهيش،  
ط ٢، دار خضر للطباعة ببيروت، ١٤١٩ هـ.

٢٩. الجامع، لمعمر بن راشد - مع مصنف عبد الرزاق-، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٣٠. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن الرازي، ط ١، الهند - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٢٧١ هـ.
٣١. جزء الألف دينار، للقطيعي أحمد بن جعفر، تحقيق بدر البدر، ط ١، دار النفائس، الكويت، ١٤١٤ هـ.
٣٢. الجمع بين الصحيحين، للحميدي محمد بن فتوح، تحقيق علي البواب، ط ٢، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٣٣. حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم عبد الرحمن بن محمد، ط ٣، ١٤٠٨ هـ.
٣٤. الحجّة في بيان المحجة، لِقَوْمِ السنة إسماعيل بن محمد الاصبهاني، تحقيق محمد المدخلي، ط ٢، دار الراية، الرياض، ١٤١٩ هـ.
٣٥. حدائق الروح والريحان، للهري محمد الأمين، عناية هاشم مهدي، ط ١، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
٣٦. الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط ١، دمشق- دار المأمون، - دمشق، ١٩٩٠ م.
٣٧. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله، مطبعة السعادة، مصر.
٣٨. الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، للصلاحي علي بن محمد، دار المعرفة، بيروت.

٣٩. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، تحقیق محمد سالم، ط ٢، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١ هـ.
٤٠. دروس الشيخ عبد العزيز بن باز (المكتبة الشاملة).
٤١. دلائل النبوة، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقیق عبد المعطي قلعجي، ط ١، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ.
٤٢. ذم النميمة، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقیق بشير عيون، ط ١، مكتبة دار البيان، دمشق ومكتبة المؤيد بالرياض، ١٤١٣ هـ.
٤٣. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، للمعلمي عبد الرحمن بن يحيى، تحقیق عثمان علي، ط ١، دار عالم الفوائد، ١٤٣٤ هـ.
٤٤. الزهد، لابن المبارك عبد الله بن المبارك المروزي، تحقیق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر محمد الزعبي بالاتفاق مع مجلس إحياء المعارف بالهند.
٤٥. السراج المنير، للعزيمي علي بن أحمد. ط ١، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، ١٣٠٤ هـ.
٤٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: الألباني، محمد ناصر الدين، ط ١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٤٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ط ١، الرياض - دار المعارف، ١٤١٢ هـ.
٤٨. السنة: ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقیق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ.

٤٩. السنة، لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو، تحقيق محمد الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
٥٠. السنة، للمروزي محمد بن نصر، تحقيق سالم السلفي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٥١. السنن الكبرى، للنسائي أحمد بن شعيب، تحقيق حسن شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
٥٢. السنن المأثورة، للشافعي محمد بن إدريس، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
٥٣. السنن، لابن ماجه محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية وفيصل الباي الحلبي.
٥٤. السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ.
٥٥. السنن، للترمذي محمد بن عيسى، تحقيق بشار معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦ م.
٥٦. السنن، للدارقطني علي بن عمر، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٢٤ هـ.
٥٧. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان البستي محمد، عناية عزيز بك وآخرون، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٧ هـ.
٥٨. السيرة النبوية: لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الروؤف سعد، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٥٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي هبة الله بن الحسن، تحقيق أحمد الغامدي، ط٨، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٣هـ.
٦٠. شرح الأربعين النووية، للشيخ ابن عثيمين محمد بن صالح، دار الثريا للنشر.
٦١. شرح السنة، للبعوي الحسين بن مسعود، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامية، دمشق وبيروت، ١٤٠٣ هـ.
٦٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، للحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ.
٦٣. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز محمد بن علاء الدين، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ.
٦٤. شرح صحيح البخاري، لابن بطلال علي بن خلف، تحفي ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٦٥. شرح مشكل الآثار، للطحاوي أحمد بن محمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٦٦. الشريعة، للآجري محمد بن الحسين، تحقيق عبد الله الدميحي، ط٢، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
٦٧. شعب الإيمان، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١ هـ.
٦٨. صحيح ابن حبان (التقاسيم والأنواع)، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق محمد سونمز وخالص دمير، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣ هـ.
٦٩. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٧٠. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، عناية زهير الناصر، ط ١، دار طوق النجاة، حلب، ١٤٢٢هـ
٧١. صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ
٧٢. الصمت، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق أبو إسحاق الحويني، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ.
٧٣. الضعفاء الكبير، للعقيلي محمد بن عمرو، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط ١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
٧٤. الطبقات الكبرى، لابن سعد محمد بن سعد بن منيع، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
٧٥. طرح الشريب في شرح التقريب: العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).
٧٦. العلل الكبير (ترتيب علل الترمذي الكبير)، للترمذي تحقيق صبحي السامرائي وآخرون، ط ١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
٧٧. العلل المتناهية، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط ٢، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ١٤٠١ هـ.
٧٨. العلل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد، تحقيق سعد الحميد وآخرون، ط ١، مطابع الحميضي، ١٤٢٧ هـ.
٧٩. عمدة القاري، لليعني محمود بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠. فتح الباري: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٨١. فتح الباري: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط ١، المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.
٨٢. فتح القريب المجيب، للفيومي حسن بن علي، تحقيق محمد آل إبراهيم، ط ١، مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤٣٩هـ.
٨٣. الفوائد المنتقاة عن الشيوخ، للحرثي علي بن عمر، تحقيق تيسير أبو حميد، ط ١، مؤسسة الوطن، السعودية، ١٤٢٠هـ.
٨٤. الفوائد: أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله، تحقيق: حمدي السلفي، ط ١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ.
٨٥. فيض القدير، للمناوي عبد الرؤوف بن علي، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
٨٦. القضاء والقدر، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد آل عامر، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.
٨٧. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٨٨. كشف الأستار عن زوائد البزار: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ.
٨٩. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، عناية اليازجي وجماعة من اللغويين، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.



٩٠. جمع الزوائد، للهيثمى علي بن أبي بكر، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٩١. المخلصيات، لمحمد بن عبد الرحمن المخلص، تقيق تبيل جرار، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ١٤٢٩ هـ.
٩٢. مدارج السالكين، لابن القيم محمد بن أبي بكر، ط٢، دار عطاءات العلم بالرياض ودار ابن حزم ببيروت، ١٤٤١ هـ.
٩٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: القاري، علي بن سلطان الملا، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢ هـ.
٩٤. المستخرج، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، محقق في رسائل جامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٣٥ - ١٤٣٨ هـ.
٩٥. المستدرك على الصحيحين، للحاكم محمد بن عبد الله، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.
٩٦. المسند (البحر الزخار)، للبزار أحمد بن عمرو، تحقيق محفوظ زين الله وصبري الشافعي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨ - ٢٠٠٩ م.
٩٧. المسند (سنن الدارمي)، للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق حسين أسد، ط١، دار المغني للنشر، السعودية، ١٤١٢ هـ.
٩٨. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، مصر، دار هجر، ١٤١٩ هـ.
٩٩. مسند الحارث (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث)، انتقاء نورد الدين الهيثمي، تحقيق حسين الباكري، ط١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، ١٤١٣ هـ.

١٠٠. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، تحقيق: حسن سليم أسد الداراني، ط١، دمشق، دار السقا ١٩٩٦م.
١٠١. مسند الشاميين، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي السلفي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
١٠٢. المسند، لأبي يعلى أحمد بن علي، تحقيق حسين أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ هـ.
١٠٣. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
١٠٤. المسند، للحميدي عبد الله بن الزبير، تحقيق حسين أسد، ط١، دار السقيا، دمشق، ١٩٩٦م.
١٠٥. المسند، للروياتي محمد بن هارون، تحقيق أيمن يماني، ط١، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ.
١٠٦. المسند، للشاشي الهيثم بن كليب، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠ هـ.
١٠٧. المسند، للطيالسي سليمان بن داود، تحقيق محمد التركي، ط١، دار هجر، مصر، ١٤١٩ هـ.
١٠٨. مصابيح السنة، للبعوي الحسين بن مسعود، تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ١٤٠٧ هـ.
١٠٩. مصباح الزجاجاة، للبوصيري أحمد بن أبي بكر، تحقيق محمد الكشناوي، ط٢، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١١٠. المصنف، لابن أبي شيببة عبد الله بن محمد، تحقيق سعد الشثري، ط ١، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٣٦ هـ.
١١١. المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعائي، تحقيق دار التأصيل، ط ٢، ١٤٣٧ هـ.
١١٢. المعجم الأوسط، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق طار محمد وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
١١٣. معجم الصحابة، لابن قانع عبد الباقي البغدادي، تحقيق صلاح المصري، ط ١، كتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨ هـ.
١١٤. المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١١٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار وآخرون، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٩ هـ.
١١٦. المعجم، لابن الأعرابي أحمد بن محمد، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط ١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨ هـ.
١١٧. معرفة السنن والآثار، لليهقي أحمد بن الحسين، تحقيق عبد المعطي قلججي، مصور عن جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي - باكستان، نشر دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٢ هـ.
١١٨. معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق عادل العزازي، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩ هـ.

١١٩. المفاتيح في شرح المصاييح، للمظهري الحسين بن محمود، تحقيق لجنة بإشراف نورالدين طالب، ط ١، دار النوادر، ١٤٣٣ هـ (من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية).
١٢٠. المفردات، للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، تحقيق صفوان الداودي، ط ١، دار القلم والدرر الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٢ هـ
١٢١. مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ
١٢٢. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق محمد سالم، ط ١، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦ هـ.
١٢٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ.
١٢٤. الموطأ: للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ.
١٢٥. النكت والعيون، للماوردي علي بن محمد، تحقيق السيد عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت
١٢٦. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير المبارك بن محمد، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ.